

دوغلاس
آدامز

بيع منها أكثر من ١٥ مليون نسخة

دليل المسافر إلى المجرة

الكتاب الأول

ترجمة:
علي ريشة

مكتبة

Telegram Network

2022





دليل

المسافر إلى المجرة

الجزء الأول



دليل
المسافر إلى المجرة

رواية

تأليف: دوغلاس آدامز

ترجمة: علي ريشة

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠٢٢م

العنوان الأصلي للكتاب:

The Hitchhiker's Guide to the Galaxy

الكاتب: **Douglas Adams**

الناشر: **Pan Box،1979**

المترجم: **علي ريشة**

تمهيــد

بعيدًا في المكان الضارب في التخلف والمهمش من النهاية الغربية غير المأهولة من ذراع المجرة تقع شمس صفراء صغيرة تافهة، يدور حولها على مسافة تقدر باثنين وتسعين مليون ميل كوكب صغير أزرق وأخضر غير مهم على الإطلاق، تتميز أشكال الحياة عليه، والمنحدرة من القردة، بأنها بدائية إذ إنها لا تزال تعتقد أن الساعات الرقمية فكرة أنيقة.

مشكلة هذا الكوكب هي، أو بالأحرى كانت كالتالي: كان معظم الناس على سطحه غير سعداء في أغلب الوقت. ولقد أُقترحَ العديد من الحلول لهذه المشكلة، لكن معظم هذه الحلول كانت تتركز حول حركة قطع خضراء صغيرة من الورق، الأمر الذي كان غريبًا؛ لأن هذه القطع الورقية بالمجمل لم تكن تعيسة.

وهكذا استمرت المشكلة، كثير من الناس كانوا وضيعين، وكثير منهم كانوا بائسين، حتى أولئك الذين يمتلكون ساعات رقمية.

ازداد اعتقاد الكثيرين منهم بالرأي القائل إنهم اقترفوا خطأً جسيمًا بنزولهم من على الأشجار في المقام الأول، وذهب البعض إلى أن حتى الأشجار كانت فكرة سيئة وما كان ينبغي لأحد أن يترك المحيطات.

في يوم خميس، بعد ألفي عام تقريبًا من صلب رجل على شجرة لقوله: من الرائع أن يكون المرء طيبًا مع الناس على سبيل التغيير، أدركت فتاة تجلس وحدها في مقهى صغير في ريكانسورث الخطأ الذي استمر كل ذلك الوقت، لقد عرفت في النهاية كيف يمكن للعالم أن يكون مكانًا سعيدًا وجيدًا. نعم، هذه المرّة كانت صحيحة، يمكن تطبيقها، ولا داعي لأن يُصلب أحد على أي شيء.

لكن، ويالِلأسف، قبل أن تتمكّن من الوصول إلى هاتف لتخبر أي أحد بذلك، حصلت كارثة مأساوية وغبية جدًّا، وضاعت الفكرة إلى الأبد. هذه ليست قصتها.

لكنها قصة الكارثة المأساوية شديدة الغباء وبعض من تبعاتها.

إنها أيضًا قصة كتاب يدعى «دليل المسافر إلى المجرة»، ليس كتابًا أرضيًّا، لم ينشر قط على الأرض، حتى لحظة وقوع الكارثة الرهيبة لم يكن قد رآه أو سمع به أي من سكان الأرض. ومع ذلك فهو كتاب رائع بامتياز.

في الواقع إنِّه الكتاب الأكثر روعة بين ما أصدرته دار النشر العظيمة في أورسا ماينور، التي لم يسمع بها أيضًا أي من سكان الأرض.

إنه ليس كتابًا رائعًا بامتياز فقط، بل هو كتاب ناجح على نحو كبير، أكثر شعبيّة من كتاب «الشامل في العناية المنزليّة السماوية»، حقق مبيعات أكثر من كتاب «خمسون شيئًا إضافيًا

لتفعله في انعدام الجاذبية»، ومثير للجدل أكثر من الثلاثية الفلسفية التي وضعها أوولون كولوفيد: «أين أخطأ الرب؟»، المزيد من أخطاء الرب الكبيرة»، و«من هو هذا الرب في أي حال؟»

في العديد من الحضارات الأكثر رفاه على الحافة الشرقية الخارجية للمجرة، حل كتاب دليل المسافر مكان موسوعة المجرة العظيمة كخازن للعلوم والحكمة كافة، لأنّه، على الرغم من وجود الكثير من الأخطاء واحتوائه عددًا لا يستهان به من المعلومات المشكوك بصحتها – أو على الأقل غير صحيحة على نطاق واسع – إلا أنه تفوق على الكتاب الأقدم والأكثر ابتذالًا بناحيتين مهمتين.

أولًا: هو أرخص ثمنًا بقليل، ثانيًا: قد نُقشت على غلافه وبحروف ودودة وكبيرة كلمتا: لا تخف.

لكن قصة هذا الخميس الرهيب والغبي، قصة تبعاته الاستثنائية، وقصة كيف تداخلت هذه التبعات بشكل معقد مع هذا الكتاب الرائع، تبدأ على نحو بسيط.

تبدأ القصة في منزل.

الجـزء الأول

الفصل الأول

انتصب المنزل فوق مرتفع خفيض على حافة القرية. انتصب وحيدًا ومطلًا على امتداد واسع من حقول الريف الغربي. لم يكن منزلًا مميزًا بأي شكل، كان عمره نحو الثلاثين عامًا، منخفضًا، مربع الشكل، مصنوعًا من القرميد، وله أربع نوافذ في مقدمته، ذات حجم واتساق فشل في أن يسر الناظر.

الشخص الوحيد الذي كان يرى المنزل مميزًا بطريقة ما هو آرثر دينت، ذلك لأنّه الشخص الذي كان يعيش في ذلك المنزل. عاش فيه قرابة ثلاث سنوات، منذ أن انتقل من لندن لأنها جعلته عصبيًا وسريع الغضب. كان عمره ثلاثين عامًا أيضًا، داكن الشعر وغير متصالح مع نفسه. أكثر ما سبب له القلق حقيقة أن الناس كانوا دائمًا يسألونه ما الذي يجعله يبدو قلقًا إلى هذا الحد. كان يعمل في إذاعة محلّيّة حيث اعتاد أن يخبر أصدقاءه أن العمل فيها ممتع أكثر مما يظنون، وكان معظم رفاقه يعملون في الإعلان أيضًا.

أمطرت السماء بغزارة ليلة الأربعاء، وكان الزقاق مبتلًا وموحلًا، لكن شمس الصباح في يوم الخميس كانت ساطعة وصافية وهي تشع على منزل آرثر دينت لآخر مرة.

لم يتقبل آرثر أن المجلس أراد أن يهدم منزله ويبني معبرًا بدلًا منه.

لم يكن آرثر يشعر بأنه في خير ما يرام في الثامنة من صباح يوم الخميس، فلقد استيقظ متعبًا، نهض من فراشه، وتجول بإعياء في غرفته، فتح نافذة، شاهد جرافة، وجد خفّيه، وتحرك بتثاقل نحو الحمام ليغتسل.

معجون أسنان على الفرشاة، وابدأ الفرك.

عدَّل وضعية مرآة الحلاقة التي كانت مائلة لجهة السقف، فعكست صورة جرَّافة ثانية عبر نافذة الحمام لوهلة، لكن مع تعديلها بشكلٍ جيّد عكست صورة ذقن آرثر دينت. حلق ذقنه، اغتسل، جفف نفسه، وتثاقل في خطاه نحو المطبخ ليبحث عن شيء لذيذ يضعه في فمه.

غلاية، قابس، براد، حليب، قهوة، تثاءب آرثر.

مرت كلمة جرافة في ذهنه للحظة وهي تبحث عن شيء تتصل به.

كانت الجرافة التي تظهر خارج نافذة المطبخ كبيرة.

حدّق آرثر إلى الجرّافة وفكر في كلمة «أصفر»، وتثاقل في خطاه إلى غرفة نومه كي يرتدي ملابسه.

مع عبوره الحمام توقف ليشرب كأسًا كبيرة من الماء، بل كأسين، وبدأ يعتقد أنه مصاب بصداع، لماذا كان مصابًا بالصداع؟ هل كان يحتسي الشراب في الليلة السابقة؟ ظن أنه لا بد كان يفعل ذلك. لمح شيئًا في مرآة الحلاقة وفكر في كلمة «أصفر» وهو يتثاقل متحركًا نحو غرفة

النوم.

وقف وفكر في الحانة، «يا إلهي الحانة»، تذكر بغموض اشتداد غضبه بسبب شيء كان يبدو مهمًا، كان يخبر الناس عنه ويستفيض في ذلك، كذلك ظنّ؛ كانت النظرة الجامدة على وجوه الناس أوضح ذاكرة صورية لديه، شيء ما اكتشفه للتو عن معبر جديد كان يتم التحضير له منذ أشهر عدة لكن لم يبد أن أحدًا قد علم بذلك. إنّه أمر سخيف، أخذ جرعة من الماء وقرر أن الأمور ستترتب في النهاية، لم يرد أحد المعبر لذا فليس للمجلس أدنى فرصة، سوف تحل المشكلة من تلقاء نفسها.

يا لهذا الصداع العنيف الذي تمكّن منه، نظر إلى نفسه في مرآة خزانة الملابس، ومد لسانه إلى الأمام وفكر: «أصفر»، جالت الكلمة في باله بحثًا عن شيء ترتبط به.

بعد خمس عشرة ثانية كان خارج المنزل ممددًا أمام جرافة صفراء كبيرة تتقدم على ممر حديقته.

كان السيد إل. بروسر إنسانًا فقط، كما يُقال، وبتعبير آخر كان شك من أشكال الحياة المبنية على الكربون والمنحدرة من القردة، وإن أردنا التحديد نقول إنّه كان في الأربعين من عمره، بدينًا، رث الملبس، يعمل للمجلس المحلي، وعلى الرغم من عدم معرفته، إلا أنه ينحدر من سلالة ذكورية تعود إلى جينكيز خان، لكن الأجيال المتداخلة والمزج العرقي تلاعب بجيناته كثيرة فلم تتبق لديه أي صفات منغولية قابلة للتمييز، أمّا الأثر الوحيد لأسلافه العظماء والمتبقي في السيد إل. بروسر كان بدانة ملحوظة حول المعدة وميلًا إلى قبعات الفرو الصغيرة.

لم يكن على أي نحو مقاتلًا عظيمًا، بل كان رجلًا قلقًا ومتوترًا، كان اليوم بالتحديد قلقًا ومتوترًا لأن شيئًا ما أفسد عمله على نحو كبير، وكان رؤية منزل آرثر دينت قد أزيح عن الطريق قبل نهاية النهار.

قال: «ابتعد عن الطريق يا سيد دينت، تعلم أنك لن تربح، ولا يُمكنك الاستلقاء أمام الجرافة إلى ما لا نهاية». وحاول أن يوقد عينيه غضبًا لكنّها لم تفعلا.

أصدر آرثر المستلقي في الوحل أصواتًا من الماء وقال: «أنا مستعد للمنافسة، سنرى من يصدأ أولًا».

قال السيد إل. بروسر وهو يمسك بقبعة الفرو خاصته ويحركها حول رأسه: «أخشى أن عليك القبول بالأمر، يجب بناء هذا الممر وسيتم بناؤه».

قال آرثر: «سمعت به، لم سيتم بناؤه؟»

هزّ السيد إل. بروسر إصبعه نحو آرثر قليلًا ثم أبعده مجددًا وقال: «ماذا تقصد به «لم سيتم بناؤه»؟ إنّه ممر، على المرء أن يبني ممرات».

الممرات سُبل تسمح للناس بالعبور من النقطة أ إلى النقطة ب بسرعة كبيرة بينما يندفع أناس آخرون من النقطة ب إلى النقطة أ بسرعة كبيرة. الناس الذين يعيشون في النقطة ج التي تقع بين النقطتين السابقتين غالبًا ما يتساءلون عن الشيء الرائع في النقطة أ حتى يكون كثير من سكان

النقطة ب متحمسين للمجيء إليها، وما الشيء الرائع في النقطة ب حتى يكون كثير من سكان النقطة أ متحمسين للمجيء إليها. غالبًا ما كانوا يتمنون أن يتمكّن الناس مرة وللأبد من معرفة أين يريدون أن يكونوا.

يتمني أراد السيد بروسر أن يكون في النقطة د، لم تكن النقطة د مكانًا محددًا، كانت أي مكان مريح وبعيد جدًّا عن النقاط أ، ب، وج. كان يتمنى أن يمتلك كوخًا صغيرًا على بابه فؤوس في النقطة د، وأن يمضي وقتًا ممتعًا في النقطة هـ، التي هي أقرب حانة إلى النقطة د. بالطبع كانت زوجته تريد وردًا متسلقًا، لكنه أراد فؤوسًا، لم يدر لماذا، لقد أحبها ببساطة، توهج بحرارة بتأثير الابتسامات الساخرة لسائقي الجرافة.

نقل ثقل جسمه من قدم إلى أخرى، لكنه لم يرتح على أي منهما، بدا جليًا بشكل مرعب أن أحدهما غير كفي، وتمنى من الله ألا يكون هو.

قال السيد بروسر: «لقد كنت مخولًا إلى حد بعيد أن تقدم أي اقتراحات أو اعتراضات في الوقت المناسب كما تعلم».

صاح آرثر مستهزئًا: «في الوقت المناسب؟ في الوقت المناسب؟ كانت أول معرفتي بالأمر حين مجيء عامل إلى منزلي في الأمس، سألته إن كان قد قدم لينظف النوافذ فقال، لا، أتى ليدمر المنزل. لم يخبرني مباشرة بطبيعة الحال، بل على العكس، بدأ بتنظيف بعض النوافذ وطلب خمسة باوندات، بعد ذلك أخبرني».

- «لكن يا سيد دينت كانت الخُطة موجودة في مكتب التخطيط المحلي في الأشهر التسعة الماضية».

- «نعم، ذهبت إلى هناك بمجرد سماعي بالأمر، بعد ظهر أمس، لم تكونوا قد خرقتم أي قانون فيما خص الإعلان عن الخطط؟ أقصد كإخباركم عن الموضوع؟»

- «لكن الخطط كانت معروضة»...

- «كانت معروضة؟ في النهاية كان عليَّ أن أنزل إلى القبو لأجدها».

- «ذلك هو قسم العرض».

- «مع المصباح الكهربائي.»

- «حسنًا، لربما غابت الإنارة.»

- «كما غابت السلالم.»

- «لكنك وجدت الملاحظة أليس كذلك؟»

قال آرثر: «نعم، وجدتها، كانت معروضة في قاع خزنة ملفات مقفولة وعالقة في حمام مهجور على بابه لوحة كتب عليها «احذر من النمر».

مرت سحابة في السماء رمت بظل على آرثر دينت المستلقي في الوحل البارد وهو مستند إلى

كوعه، كما رمت بظل على بيته، عبس بها السيد بروسر وقال: «ليس بالمنزل الجميل حقًّا».

- «آسف، لكنه يعجبني»

- «سيعجبك الممر».

- «اصمت، ابتعد، وخذ ممرك اللعين معك، ليس لديك أي حق تستند إليه وأنت تعرف ذلك».

فتح السيد بروسر فمه وأغلقه مرات عدة في حين كان عقله مشحونًا برؤىً، عصية على الفهم لكنّها جذابة بشكل فظيع، النار تلتهم منزل آرثر دينت والأخير يركض صارخًا من الحطام المشتعل وقد مزقت ظهره ثلاثة رماح ثقيلة على الأقل. غالبًا ما كان السيد بروسر يُزعج برؤىً كتلك، فقد كانت تجعله متوترًا، فتمتم للحظة واستجمع قواه قائلًا: «سيد دينت».

رد آرثر: «أهلًا؟ نعم؟»؟

- «سأعطيك بعض المعلومات العملية. هل لديك أدنى فكرة عن حجم الضرر الذي سيصيب الجرافة إن تركتها تمر عليك مباشرة؟»

سأل آرثر: «ما حجمه؟»

رد السيد بروسر: «لا شيء على الإطلاق». وقد غضب بعصبية متعجّبًا من امتلاء رأسه بآلاف الفرسان الفظين الذين كانوا يصيحون به جميعهم.

بمصادفة غريبة كان «لا شيء على الإطلاق» هو مقدار الشك الذي اعترى سليل القرود آرثر دينت حول أن واحدًا من أقرب أصدقائه لم يكن من سلالة القرود، بل في الواقع كان من كوكب صغير إلى جوار بيتلجوس، وليس من غيلدفورد كما كان يدعي عادة.

لم يكن آرثر دينت قد شك في ذلك أبدًا.

وصل صديقه هذا إلى الأرض منذ خمسة عشر عامًا وعمل جاهدًا ليختلط بالمجتمع الأرضي، وقد نجح في ذلك بعض الشيء. ففي سبيل المثال، أمضى فورد ما يقارب الخمسة عشر عامًا متظاهرًا بأنه ممثل عاطل من العمل، وكان ذلك جديرًا بالتصديق إلى حد بعيد.

لكنه مع ذلك، ارتكب خطأً فادحًا وحيدًا وطائشًا، لأنّه تعجل قليلًا في بحثه التمهيدي، فالمعلومات التي جمعها قادته إلى اختيار اسم «فورد بريفيكت» كونه لا يجذب الانتباه.

كان طوله لا يجذب الانتباه، ملامحه كانت صارخة لكنه لم يكن وسيم إلى حد يجذب الانتباه، كان شعره أشبه بالأسلاك، بني اللون ممشطًا للخلف من الصدغين. بدت بشرته كأنها مسحوبة للخلف من أنفه. كان هناك شيء غريب بشكل طفيف حوله، لكن من الصعب تحديد ماهية هذا الشيء. ربما أن عينيه لم تطرفا كفاية، وأنك لو تحدّثت إليه لأي مدة من الوقت لبدأت عيناك تدمعان لا إراديًا بدلًا عنه، وأن ابتسامته كانت عريضة قليلًا، وكان يعطي الناس انطباعًا مثيرًا للأعصاب بأنه يوشك أن يدق أعناقهم.

صدم معظم أصدقائه الذين التقى بهم على الأرض بكونه غريب الأطوار، إلا أنه غير مؤذ، وسكير جامح مع بعض العادات الغريبة. فمثلًا، كان غالبًا يتطفل على الحفلات الجامعية، يسكر

بشدة ويبدأ بالسخرية من علماء الفيزياء الفلكية الذين يلتقيهم حتى يتم إلقاؤه خارجًا.

في بعض الأحيان، كان يُؤخذ بحالات غريبة محيرة ويحدق إلى السماء كأنه منوم مغناطيسيًا حتى يأتي أحدهم فيسأله ماذا يفعل، عندها كان يبدو كمذنب لوهلة ثم يستعيد رباطة جأشه ويبتسم ويقول مازحًا: «آه، أبحث عن صحون طائرة»، فيضحك الجميع ويسألونه أي نوع من الصحون الطائرة هي التي يبحث عنها، فيجيب بابتسامة خبيثة: «خضراء» ويضحك بقوّة ويندفع فجأة إلى أقرب حانة ويشرب عددًا كبيرًا من كؤوس الشراب.

عادة ما كانت أمسيات كتلك تنتهي على نحو سيئ، وكان فورد يفقد عقله بالويسكي، يجتمع في زاوية مع إحدى الفتيات ليشرح لها بتعجل أنه صراحة لا يهم لون الصحون الطائرة.

بعد ذلك يمشي مذهولًا، نصف مشلول، في ليل الشارع، وغالبًا ما يسأل رجال الشرطة عن الطريق إلى بيتلجوس، وعادة ما يرد رجال الشرطة بما يلي: «ألا تظن أنه حان موعد ذهابك إلى البيت يا سيدي؟»

وعلى نحو مستمر، كان فورد يرد في هذه المناسبات: «أحاول، أحاول يا عزيزي».

في الواقع إن الشيء الذي كان يبحث عنه عندما ينظر دونما تركيز إلى سماء الليل هو أي نوع من أنواع الصحون الطائرة، وإن سبب قوله أخضر يعود إلى أن اللون الأخضر كان لون زي الفضاء المميز لمستكشفي بيتلجوس التجاريين.

كان فورد بريفيكت يائسًا من مجيء أي صحن طائر في القريب العاجل على الإطلاق لأن خمسة عشر عامًا كانت مدة طويلة كفاية لتنسى من جنح في أي مكان، تحديدًا في مكان ممل مثل الأرض.

تمنى فورد أن يأتي صحن طائر في القريب العاجل لأنّه كان يعرف كيف يشير إلى الصحون الطائرة كي تهبط ويركب فيها. كان يعرف كيف يرى معاجز الكون في أقل من ثلاثين دولارًا ألتيريًا في اليوم.

كان فورد بريفيكت في الحقيقة باحثًا جوالًا لذلك الكتاب الرائع دليل المسافر إلى المجرة.

إن الكائنات البشريّة عظيمة في التكيف، ومع موعد الغداء فإن الحياة في محيط منزل آرثر استقرت على روتين ثابت، كان دور آرثر في ذلك أن يتمدد في الماء الموحل ويطلب بين الفينة والأخرى رؤية محاميه، أمّه، أو كتاب جيد، وكان دور السيد بروسر أن يحاول ردع آرثر بحيلة عرضية مثل حديث أنه من أجل المصلحة العامة، أو حديث التقدم والتطور، أو حديث أنهم هدموا بيتي مرة كما تعلم، ولم أنتحب على الأطلال، والعديد من التملقات والتهديدات الأخرى، وكان دور سائقي الجرافة في ذلك أن يجلسوا ويحتسوا القهوة ويناقشوا قوانين الاتحاد ليروا كيف يمكنهم أن يديروا دفة الموقف لمصلحتهم المالية.

تحركت الأرض ببطء في مسارها اليومي.

بدأت الشمس بتجفيف الوحل الذي استلقى فيه آرثر.

تحرك ظل فوقه مجددًا وقال: «مرحبًا آرثر».

نظر آرثر إلى الأعلى، وبحرف نظره عن الشمس، أجفل من رؤية فورد بريفيكت يقف فوقه.

- «فورد! مرحبًا، كيف حالك؟»

قال فورد: «بخير، اسمعني، هل أنت مشغول؟»

صاح آرثر: «هل أنا مشغول؟ حسنًا، عليَّ الآن أن أستلقي أمام كل هذه الجرافات والأشياء لأنّهم سيهدمون بيتي إن لم أفعل، ما عدا ذلك... لا، لا شيء بالتحديد، لماذا؟»

ليس لديهم حس التهكم في بيتلجوس، وغالبًا ما كان فورد بريفيكت يفشل في تمييز التهكم، ما لم يكن مركزًا، فقال: «جيد، هل يوجد مكان لنتحدث فيه؟»

رد آرثر دينت: «ماذا؟»

لبضع ثوان بدا أن فورد يتجاهله، ونظر بشكل ثابت إلى السماء فبدا كأرنب يحاول أن تدهسه سيارة، ثم جثم فجأة إلى جانب آرثر وقال بإلحاح: «علينا أن نتكلم».

قال آرثر: «حسنًا، تكلّم».

«ونحتسي الشراب»، أضاف فورد وقال: «إنّه لذو أهميّة حيوية أن نتكلم ونحن نحتسي الشراب. الآن. سنذهب إلى الحانة في القرية».

نظر إلى السماء مجددًا وهو متوتر وكأنها يتوقع شيئًا.

صاح آرثر: «ألا تفهم؟ ذلك الرجل يريد أن يهدم منزلي». قالها وهو يشير إلى بروسر.

نظر إليه فورد مرتبكًا وسأله: «حسنًا، يمكنه أن يفعل ذلك وأنت بعيد أليس كذلك؟»

- «لكني لا أريده أن يفعل ذلك!»

قال آرثر: «ما خطبك يا فورد؟»

- «لا شيء، لا شيء، اسمعني جيدًا، سأخبرك بأهم شيء سمعته إطلاقًا. عليَّ أن أخبرك به الآن، وعليَّ أن أخبرك به في حانة السائس والحصان».

- «لكن لماذا؟»

- «لأنك ستحتاج إلى شراب قوي جدًّا».

حدق فورد إلى آرثر الذي كان مذهولًا لاكتشافه أن إرادته بدأت تضعف، لم يعلم أن ذلك كان بسبب لعبة احتساء شراب قديمة تعلم فورد أن يلعبها في معابر الفضاء الزمنية في نظام أورايون بيتا الشمسي.

لم تكن اللعبة مختلفة عن اللعبة الأرضية التي تدعى المصارعة الهنديّة وكانت تُلعب على النحو التالي:

يجلس متسابقان على طرفي طاولة مع كأس أمام كل منهما، توضع بينها زجاجة من شراب

جانكس الروحي (كالتي تم تخليدها في أغنية التنقيب القديمة في أورايون «لا تعطني شيئًا من شراب جانكس الروحي العتيق، كلا لا تعطني شيئًا من شراب جانكس الروحي العتيق، لأن رأسي سيطير، ولساني سيكذب، وعيني ستجفان وقد أموت، ألن تصب لي مرّة أخرى من شراب جانكس الروحي العتيق الشرير».)

عندئذٍ سيركز كل من المتسابقين قواه على تلك الزجاجة ويحاول إمالتها ليصب شرابًا روحيًا في كأس خصمه الذي سيكون عليه عند ذلك أن يشربه.

بعد ذلك يتم ملء الزجاجة من جديد ولعب اللعبة مرارًا وتكرارًا.

في الأغلب أن تستمر بالخسارة بمجرد أن تبدأ بالخسارة لأن أحد أعراض شراب جانكس الروحي إضعاف قوة التخاطر مع الوسيط الروحي.

بمجرد أن يتم استهلاك الكمية المقدرة يكون على الخاسر النهائي أن يؤدي غرامته التي غالبًا ما تكون جسدية وعلى نحو فاحش.

غالبًا ما كان فورد بريفيكت يلعب ليخسر.

نظر فورد إلى آرثر الذي بدأ يفكر في أنه، في الأغلب، وبعد كل شيء، أراد أن يذهب إلى حانة السائس والحصان.

سأل بحزن: «لكن ماذا عن منزلي؟»

نظر فورد إلى السيد بروسر وفجأة خطرت في باله فكرة شريرة.

- «أيريد أن يهدم منزلك؟»

- «نعم، يريد أن يبني»...

- «ولا يستطيع لأنك تستلقي أمام الجرافة؟»

- «نعم، و»...

قال فورد: «أنا واثق أنه يمكننا الوصول إلى اتفاق». وصاح: «أستميحك عذرًا!»

نظر السيد بروسر حوله (كان يتجادل مع متحدث باسم سائقي الجرافات حول ما إن كان آرثر دينت يشكل خطرًا من الناحية العقليّة وكم يجب أن يتقاضوا إن كان كذلك)، كان مدهوشًا وقلقًا من كون آرثر قد حصل على صحبة.

صاح قائلًا: «نعم؟ مرحبًا؟ هل عاد السيد دينت إلى رشده بعد؟»

صاح فورد: «هل يمكننا أن نفترض للحظة أنه لم يعد؟»

تنهد السيد بروسر وقال: «حسنًا؟»

قال فورد: «وهل يمكننا أن نفترض أيضًا أنه سيبقى هنا طوال اليوم؟»

- «إذًا؟»

- «إذًا سيبقى رجالك هنا كل اليوم من دون أن يعملوا شيئًا؟»

- «من الممكن، من الممكن»...

- «حسنًا، إن كنت ترضى منهم العمل بتلك الطريقة فلا تحتاجه لأن يستلقي هنا طوال الوقت، أليس كذلك؟»

- «ماذا؟» قال فورد بصبر: «لا تحتاجه هنا في الواقع».

فكر السيد بروسر في الأمر وقال: «حسنًا، لا، لا أحتاجه، لا أحتاجه بالتحديد»...

كان السيد بروسر قلقًا، كان يظن أن واحدًا منهما لا يتكلم على نحو سديد.

قال فورد: «إن تتفضل وتعد وجوده هنا أمر مفروغ منه، عندها يمكننا أنا وهو أن نذهب إلى الحانة لنصف ساعة، كيف يبدو لك ذلك؟»

اعتقد السيد بروسر أن ذلك ضرب تام من الخبل.

وبنبرة صوت مطمئنة قال: «يبدو ذلك معقولًا». ولم يكن يعرف بالضبط من يحاول أن يطمئن.

قال فورد: «وإن أردت الذهاب لاحقًا لقضاء بعض الوقت فسوف نقوم في المقابل بالتغطية على غيابك».

قال السيد بروسر، الذي لم يعد يعرف كيف يستمر بهذه الخدعة: «شكرًا جزيلًا لك، شكرًا جزيلًا لك، نعم، ذلك لطف كبير»... وعبس، ثم ابتسم، ثم حاول أن يعبس ويبتسم في آن واحد وفشل، أمسك بقبعة الفرو، خاصته وأدارها على قمة رأسه. كان يمكنه الافتراض أنه ربح.

تابع فورد بريفيكت: «حسنًا، لو تتفضل وتأتي إلى هنا لتستلقي»..

قال السيد بروسر: «ماذا؟»

قال فورد: «آه، أنا آسف، لربما لم أوضح وجهة نظري بصورة كاملة على أحدهم أن يستلقي أمام الجرافة، أليس كذلك؟ وإلا فلن يكون هنالك ما يمنعهم من تحطيم منزل السيد دينت، أليس كذلك؟»

قال السيد بروسر مجددًا: «ماذا؟»

قال فورد: «الأمر بسيط، إن موكلي السيد دينت يقول إنّه سيتوقف عن الاستلقاء هنا في الوحل في حالة واحدة هي أن تأتي وتأخذ مكانه».

قال آرثر: «ما الذي تتكلم عنه؟» لكن فورد لكزه بحذائه ليصمت.

قال السيد بروسر وهو يهجي هذه الفكرة الجديدة لنفسه: «تريدني أن آتي وأستلقي هناك»...

- «نعم».

- «أمام الجرافة؟»

- «نعم».

- «بدلًا من السيد دينت».

- «نعم».

- «في الوحل».

- «في، كما قلتها، الوحل».

ما إن أدرك السيد بروسر أنه الخاسر فعليًا بعد كل ذلك أحسّ كأن ثقلًا قد أزيح عن كاهله، هذا هو العالم كما يعرفه، تنهد.

- «وفي مقابل ذلك ستأخذ السيد دينت معك إلى الحانة؟»

قال فورد: «بالضبط، ذلكم الأمر بالضبط».

مشى السيد بروسر بضع خطوات إلى الأمام بعصبية وتوقف ثم قال: «أتقسم؟»

قال فورد: «أقسم». والتفت إلى آرثر قائلًا: «تعال، انهض ودع الرجل يستلقي».

نهض آرثر وهو يشعر كأنه في حلم.

أومأ فورد إلى بروسر الذي، بحزن وغرابة، جلس في الوحل. شعر الأخير بأن حياته برمتها كانت عبارة عن حلم، وكان يتساءل أحيانًا حلم من هو وإن كان صاحب الحلم يستمتع به. التف الوحل حول مؤخرته وحول ساعديه ونزَّ إلى داخل فردتي حذائه.

نظر إليه فورد بقسوة وقال: «لا داعي للتخادع وهدم منزل السيد دينت وهو بعيد».

دمدم السيد بروسر وهو يسوي نفسه للخلف قائلًا: «لم يطرأ على ذهني مجرد التفكير في الأمر لأفكر فيه أدني تفكير».

رأى ممثل اتحاد سائقي الجرافات قادمًا إليه فترك رأسه يغوص إلى الخلف وأغمض عينيه، حاول تنظيم حججه ليثبت أنه لا يشكل الآن بنفسه خطرًا على صحة العقل.

كان أكثر ما يكون أنه غير متأكد من ذلك، بدا ذهنه ممتلئًا بالضجيج، الأحصنة، الدخان ورائحة الدم. هذا ما كان يحدث دائمًا عندما يشعر بأنه مثير للشفقة وأن الناس يتحاملون عليه، ولم يكن بإمكانه أن يفسر ذلك لنفسه. في بُعد أسمى، الذي لا نعرف عنه شيئًا، خار جينكيز خان العظيم بغضب، لكن السيد بروسر ارتجف قليلًا ونشج، بدأ يشعر بقطع صغيرة من الماء خلف جفنيه.

بيروقراطيون فاسدون، رجال غاضبون مستلقون في الوحل، غرباء عصيون على الفهم

يوجهون إهانات لا يمكن تفسيرها وجيش غير معروف من الفرسان يضحكون عليه، كل ذلك في رأسه، يا له من يوم.

يا له من يوم، علم فورد بريفيكت أنه لم يكن مهمًّا على الإطلاق ما إن هُدم منزل آرثر أو لا.

بقي آرثر قلقًا جدًّا وقال: «لكن، هل يمكننا الوثوق به؟»

قال فورد: «أنا نفسي أثق به حتى نهاية العالم».

قال آرثر: «آه، نعم، وكم يبعد ذلك؟»

قال فورد: «زهاء الاثنتي عشرة دقيقة، تعال أريد شرابًا».

الفصل الثاني

تقول موسوعة المجرة عن الكحول أنه سائل طيار عديم اللون تشكل من تخّمر السُّكّر، كما تشير إلى أن له تأثيرًا مسكرًا في بعض أشكال الحياة المبنية على الكربون.

يذكر دليل المسافر إلى المجرة الكحول أيضًا، فيقول إن أفضل شراب في الوجود هو الـ (بان غالاكتيك غارغل بلاستر).

ويشبه الدليل تأثير هذا الشراب بأن تأخذ دماغك فتضربه بعنف بشريحة من الليمون ملفوفة حول قالب كبير من الذهب، ويخبرك الدليل أيضًا بالكواكب التي تقدم أفضل خلطات البان غالاكتيك غارغل بلاستر، وقيمة ما عليك أن تتوقع دفعه لقاء كأس منه، وما هي المنظمات التطوعية الموجودة لمساعدتك في إعادة التأهيل بعد ذلك.

كما يخبرك الدليل بالطريقة التي يُمكنك بها مزج كأس من الشراب، فيقول:

خذ عصارة من زجاجة شراب جانكس الروحي العتيق، صب فيها مقدرًا واحدًا من ماء بحار سانتراجينس (٥) - آه يا لمياه البحر السانتراجينسي، ويا لهذه الأسماك السانتراجينسية.

يتابع فيقول دع ثلاثة مكعبات من شراب أركوتران ميغا-جن تذوب في الخليط (يجب أن تكون قد ثلجت على نحو جيد وإلا فستفقد البنزين).

اسمح لأربعة ليترات من غاز مستنقع فاليا بأن تبقبق خلاله، لذكرى كل أولئك المسافرين السعداء الذين ماتوا بسبب المتعة في مستنقعات فاليا.

على ظهر ملعقة فضية عوّم مقدارًا من خلاصة كوالاستين هايبرمنت، معطرة بالروائح المسكرة كافة من مناطق كوالاستين المظلمة، حلوًا، رقيقًا، وغامضًا.

أسقط في الخليط سن نمر الشمس الألغولي، راقبه وهو يذوب وينشر نيران شموس ألغوليا عميقة في قلب الشراب.

انثر الزامفور.

أضف زيتونة.

اشرب... لكن... بحذر شديد...

إن دليل المسافر إلى المجرة يباع على نحو أفضل من موسوعة المجرة.

قال فورد بريفيكت للساقي في حانة السائس والحصان: «ستة أكواب من الجعة، وأرجو أن تسرع، فالعالم يوشك أن ينتهي».

لم يكن الساقي في حانة السائس والحصان يستحق معاملة كهذه، كان رجلًا عجوزًا وقورًا، دفع

نظارته أعلى أنفه ونظر خلسة إلى فورد بريفيكت. تجاهله فورد وحدق خارج النافذة، فنظر الساقي إلى آرثر الذي حرّك كتفيه على نحو بائس ولم يقل شيئًا.

فقال الساقي: «نعم يا سيدي؟ إنِّه طقس مناسب لذلك»، وراح يسحب الأكواب.

جرب مرّة أخرى وقال: «ستحضر المباراة بعد ظهر اليوم؟»

نظر إليه فورد وقال: «لا، لا داعي» وعاد لينظر من النافذة مجددًا.

قال الساقي: «ما يكون ذلك؟ استنتاج استباقي، أتظن ذلك يا سيدي؟ ألا توجد فرصة للآرسينال؟»

قال فورد: «لا، لا، إن العالم يوشك أن ينتهي، هذا كل ما في الأمر»..

قال الساقي: «آه، نعم يا سيدي، كما تقول». ونظر من فوق نظارته إلى آرثر هذه المرّة قائلًا: «لهو هروب موفق للآرسينال إن كان الأمر كذلك».

نظر إليه فورد مدهوشًا بشكل حقيقي وقال: «لا، ليس كذلك»، ثم عبس.

تنفس الساقي برصانة وقال: «هذه لك يا سيدي، ستة أكواب».

ابتسم آرثر في وجهه بضعف، وحرك كتفيه بتعاسة، ثم استدار وابتسم بضعف للموجودين في الحانة في حال كان أي منهم سمع الحديث الدائر.

لم يكن أحد من رواد الحانة قد سمع شيئًا، ولم يكن أحد منهم يفهم لماذا يبتسم لهم.

جلس رجل إلى جانب فورد في الحانة ونظر إلى الرجلين، نظر إلى الأكواب الستة، أجرى رشقة سريعة من العمليات الحسابية الذهنية، ووصل إلى جواب يحبه وابتسم لهما ابتسامة غبية مفعمة بالأمل.

قال فورد: «ابتعد، إنها لنا،» ونظر إليه نظرة تجعل نمر شمس ألغوليا يتابع ما كان يفعله.

وضع فورد ورقة من فئة خمسة باوندات على الطاولة وقال: «احتفظ بالباقي».

- «ماذا، من خمسة باوندات؟ شكرًا لك يا سيدي».

- «بقي لديك عشر دقائق لتصرفها».

قرر الساقي أن يبتعد قليلًا لوهلة.

قال آرثر: «فورد، هلا تخبرني من فضلك ما الذي يجري بحق الجحيم؟»

قال فورد: «اشرب، لديك ثلاثة أكواب لتنهيها».

قال آرثر: «ثلاثة أكواب؟ في وقت الغداء؟»

الرجل الجالس إلى جانب فورد ابتسم وأومأ بسعادة، تجاهله فورد وقال: «الوقت وهم، ووقت

الغداء وهم أكثر».

قال آرثر: «كلام عميق، عليك أن ترسل ذلك إلى ريدرز دايجيست، لديهم صفحة لأمثالك من الناس».

- «اشرب».

- «لماذا ثلاثة أكواب على حين غرة؟»

- «مرخٍّ عضلي، ستحتاجه».

- «مرخٍّ عضلي؟»

- «مرخٍّ عضلي».

حدق آرثر إلى جعته وقال: «هل ارتكبت أي خطأ اليوم، أو لطالما كان العالم كذلك وأنا كنت متقوقعًا على نفسي فلم ألاحظ؟»

قال فورد: «حسنًا، سأحاول أن أشرح لك، كم مضى على معرفتنا لبعضنا بعضًا؟»

فكر آرثر ثم قال: «كم من الوقت؟ نحو خمس سنوات، ربما ست، وكانت في معظمها منطقية إلى حدٍ ما».

قال فورد: «حسنًا، كيف ستكون ردة فعلك إن أخبرتك أني لست من غيلدفورد، بل من كوكب صغير بالقرب من بيتلجوس؟»

هزّ آرثر كتفيه مظهرًا الحيرة وقال: «لا أعرف»، وتجرع من جعته متابعًا: «لم تظن أنه الشيء الذي ترجح قوله؟»

استسلم فورد، لم يكن الأمر يستحق كل هذا العناء في تلك اللحظة، دعك عن كون العالم على حافة النهاية، فقال: «اشرب». وأضاف على نحو واقعي: «العالم يوشك أن ينتهي».

ابتسم آرثر لباقي نزلاء الحانة بوهن، فعبس باقي نزلاء الحانة في وجهه، أشار إليه أحدهم بأن يتوقف عن الابتسام لهم وأن يهتم بشؤونه.

قال آرثر وهو يقترب من جعته متأملًا نفسه: «لا بد أنه الخميس، لم أتمكن قط من معرفة ما يتوجّب علي أن أفعل يوم الخميس».

الفصل الثالث

في هذا الخميس تحديدًا كان شيء ما يتحرك بهدوء في الغلاف الأيوني على بعد العديد من الأميال من سطح الكوكب، في الحقيقة، بضعة أشياء، بضع دستات من أشياء صفراء ضخمة مكتنزة في شكل شرائح، ضخمة كمباني المكاتب، صامتة كالطيور. حلقت بيسر، متنعمة بالأشعة الكهرومغناطيسية من النجم سول[1]، بانتظار أوانها، تتجمع وتتحضّر.

كان الكوكب من تحتهم غافلًا كليًا عن وجودهم، وذلك ما كانوا يريدونه تمامًا في اللحظة الراهنة. الأشياء الصفراء الضخمة مضت من دون أن تُلاحظ في غوونهيلي، مرّت فوق كيب كانافيرال من دون أن تظهر على شاشات الرادار، مؤسف كان أن نظر إليهم مصرف ووميرا ووجودريل مباشرة، لأنّ ذلك هو ما كانوا يبحثون عنه كل تلك السنوات.

الشيء الوحيد الذي سجل حركتهم كان جهازًا أسود صغيرًا يدعى سب-إيثا سينس-و-ماتيك الذي أومض لنفسه بهدوء. كان محتضنًا في ظلمات حقيبة جلدية يرتديها فورد بريفيكت بحكم العادة حول عنقه. كانت محتويات حقيبة فورد بريفيكت في الواقع مثيرة للاهتمام وكانت لتجعل عيني أي فيزيائي أرضي تخرج من وجهه، لذا كان دائمًا يخفي هذه المحتويات تحت أوراق نصوص مسرحيات متآكلة الأطراف وضعها هناك متظاهرًا بأنه يتدرب لتجارب أدائها. وبالإضافة للسب-إيثا سينس-و-ماتيك والنصوص كان لديه إبهام إلكتروني - عبارة عن قضيب أسود قصير وثخين، صقيل وغير لامع، عليه مفتاحان مسطحان وأقراص مدرجة على إحدى نهايتيه؛ كان لديه أيضًا جهاز بدا كأنه آلة حاسبة متضخمة، كان على هذا الجهاز المئات من الأزرار المسطحة وشاشة بقياس أربعة إنشات مربعة التي عليها يمكن في أي لحظة استدعاء صفحة من مليون. بدا هذا الجهاز معقدًا على نحو جنوني، وكان ذلك أحد أسباب طباعة كلمتي «لا تخف» بأحرف كبيرة وودودة على غلافه البلاستيكي الجميل. السبب الآخر هو أنّ هذا الجهاز كان في الحقيقة أروع كتاب يصدر عن مؤسسات النشر الكبرى في أورسا ماينور، دليل المسافر إلى المجرة. ويعود السبب وراء نشره في شكل جهاز ميكروي إلكتروني صغير الحجم هو أنه إذا جرت طباعته في شكل كتاب عادي فإن المسافر سيحتاج إلى مبان ضخمة عدة بشكل غير ملائم ليحمله فيها معه.

تحت ذلك، في حقيبة فورد بريفيكت، يوجد بضعة أقلام، دفتر ملاحظات، ومنشفة حمام متضخمة من تصنيع ماركس آند سبينسر.

لدى دليل المسافر إلى المجرة بضعة أمور ليقولها عن موضوع المناشف.

يقول الكتاب: «إن المنشفة هي تقريبًا، وبشدة، أكثر شيء نفعًا يمكن المسافر بين النجوم أن يمتلكه. إن لها قيمة تطبيقية كبيرة إلى حدٍ ما، حيث يُمكنك لفها حول جسمك طلبًا للدفء بينها أنت تثب بين أقمار جاغلان بيتا الباردة، يُمكنك التمدد عليها على شواطئ سانتراجينوس (٥) رخاميّة الرمال والرائعة، مستنشقًا أبخرة البحر المسكرة، يُمكنك النوم تحتها تحت النجوم التي تشع باحمرار على صحراء عالم كاكرافون، كما يُمكنك استخدامها لتبحر طوفًا صغيرًا عبر نهر موث

البطيء والثقيل؛ بللها لتستخدمها في نزال قريب المدى، لفها حول رأسك لترد الأبخرة المؤذية أو لتتجنب تحديق وحش ترال الفوضوي والضاري (حيوان غبي بشكل يفوق الوصف يفترض بأنك إن لم تكن تراه فهو لا يراك، غبي مثل شجيرة، لكنه ضارٍ جدًا)؛ تستطيع أن تلوح بمنشفتك في حالات الطوارئ لتستخدمها كإشارة خطر ومِحَن، وبطبيعة الحال يُمكنك تجفيف جسمك بها إن كانت لا تزال تبدو نظيفة.

والأكثر أهميّة من كل ذلك أن للمنشفة قيمة سيكولوجية، فلسبب ما إن اكتشف الستراغ (ستراغ: أي شخص غير المسافر) أن المسافر يحمل منشفته معه فإنّه سيفترض تلقائيًا أن بحوزته فرشاة أسنان، ممسحة وجه، صابونة، علبة بسكويت، دورقًا، بوصلة، خريطة، كرة من الأسلاك، بخاخة للبعوض، عدة للطقس الرطب، بزة فضائيّة، إلخ، إلخ. بالإضافة إلى ذلك فإن الستراغ سيعير حينها وبسعادة المسافر أيًا من هذه الأشياء ودستة من الأشياء الأخرى يمكن أن يكون المسافر قد «أضاعها» مصادفة. ما سيفكر فيه الستراغ هو أن أي رجل يستطيع أن يسافر في طول المجرة وعرضها، يتعرض للفقر وشظف العيش، يكافح أهوالًا شاقة، ينجح في كل ذلك، ويبقى عالمًا بمكان وجود منشفته، فإنّه رجل يمكن الاعتماد عليه».

وهنا عبارة دخلت اللغة العامية للسفر كما في: «هيه، أأنت "ساس" ذلك الفورد بريفيكت "الهوبي"؟ هنالك "فروود" يعلم بحق أين منشفته» (ساس: يعلم، يدرك، يقابل، يمارس الجنس مع؛ هوبي: شخص متماسك بحق؛ فروود: شخص متماسك بحق بشكل مذهل).

راحت السب-إيثا سينس-و-ماتيك، القابعة بصمت على منشفة فورد بريفيكت في حقيبته، تومض على نحو متسارع، على ارتفاع أميال عدة فوق سطح الكوكب، راحت الأشياء الصفراء الكبيرة تتمدد، في مصرف جودريل قرر أحدهم أنه الوقت المناسب لكوب من الشاي المريح.

قال فورد بريفيكت لآرثر فجأة: «هل معك منشفة؟» نظر إليه آرثر، الذي كان يكافح بكوبه الثالث، وقال: «لِمَ؟ ماذا، لا... هل عليَّ أن تكون معي؟» وترك تظاهره بالدهشة، لم يكن هنالك أي داع لذلك.

طقطق فورد بلسانه بعصبية واستحثه قائلًا: «اشرب».

رشح في تلك اللحظة الصوت الباهت لقعقعة التحطم في الخارج عبر الهمسات في الحانة، عبر صوت آلة الموسيقا، عبر صوت فواق الرجل إلى جانب فورد، التي أصابته بسبب الويسكي التي اشتراها له فورد في النهاية.

اختنق آرثر بجعته وقفز على رجليه وصاح قائلًا: «ما هذا؟»

قال فورد: «لا تقلق، لم يبدؤوا بعد».

قال آرثر وقد ارتاح: «حمدًا لله على ذلك».

قال فورد وهو يشرب كوبه الأخير: «إنّه في الأغلب صوت تهديم منزلك».

صاح آرثر: «ماذا؟» فجأة انكسرت تعويذة فورد، ونظر آرثر حوله بهيجان وركض إلى النافذة.

- «يا إلهي، إنهم كذلك! إنهم يهدمون منزلي. ما الذي أفعله في الحانة بحق الجحيم يا فورد؟»

قال فورد: «من المستبعد أن يكون هناك أي فرق في هذه المرحلة، دعهم يستمتعون».

صاح آرثر قائلًا: «يستمتعون؟ يستمتعون!» بسرعة تفحص خارج النافذة ليتأكد من أنها يتكلمان عن الشيء نفسه.

صاح مستهزئًا: «اللعنة على متعتهم!» وخرج من الحانة راكضًا بغضب وهو يلوح بزجاجة جعة شبه فارغة، لم يتعرّف أصدقاء في الحانة إطلاقًا في وقت الغداء ذاك.

نادى آرثر: «توقفوا أيها المخربون، يا هادمي المباني، أيها الهمج أنصاف المجانين، توقفوا!»

كان على فورد أن يلحق به، وبسرعة التفت إلى الساقي وطلب إليه أربع عبوات من الفستق.

قال الساقي وهو يضع العبوات على الطاولة: «إليك ما طلبت يا سيدي، ثمانية وعشرون بنس لو تكرمت».

كان فورد لطيفًا جدًّا، فأعطى الساقي ورقة خمسة باوندات أخرى وأخبره بأن يحتفظ بالباقي. نظر الساقي إلى الورقة ومن ثم نظر إلى فورد، ارتجف فجأة: لقد اختبر شعورًا لحظيًا لم يفهمه لأن أحدًا على الأرض لم يختبره من قبل. في الأوقات العصيبة جدًّا تعطي أشكال الحياة كافة إشارة لا شعورية صغيرة، توصل هذه الإشارة إحساسًا مثيرًا للشفقة ومطابقًا تقريبًا لشعور هذا الكائن بالبعد عن مكان ولادته. على الأرض ليس ممكنًا أن تكون بعيدًا عن مكان ولادتك أكثر من ستة عشر ألف ميل، وذلك في الواقع ليس كثيرًا، لذا تكون إشارات كهذه أدق من أن تُلاحظ. في هذه اللحظة كان فورد بريفيكت تحت ضغط كبير، لقد وُلد على مسافة ٦٠٠ سنة ضوئية بالقرب من بيتلجوس.

ترنح الساقي لوهلة، وقد صدمه شعور بالبعد غير مفهوم، لم يدر ما يعني لكنه نظر إلى فورد بريفيكت بإحساس جديد من الاحترام يكاد يكون رهبة.

قال بهمسة خفيفة كان لها تأثير أن تُصمت الحانة: «هل أنت جاد يا سيدي؟ أتعتقد أن العالم سينتهي؟»

قال فورد: «نعم».

- «لكن، بعد ظهر اليوم؟»

استعاد فورد توازنه، لقد كاد ينقلب وقال بمرح: «نعم، في أقل من دقيقتين حسب تقديري».

لم يستطع الساقي أن يصدّق المحادثة التي كان يجريها، لكن لم يكن يستطيع تصديق الإحساس الذي أصابه أيضًا.

قال: «ألا يوجد شيء يمكن أن نفعله حيال الأمر؟»

قال فورد: «لا، لا شيء»، ثم حشا الفستق في جيوبه.

ضحك أحد نزلاء الخانة الصامتة على نحو أجش حول مقدار الغباء الذي أصاب الجميع.

كان الرجل إلى جانب فورد قد سكر بشدة الآن، وتموجت عيناه إلى الأعلى باتجاه فورد وقال: «أعتقد أنه إذا كان العالم سينتهي فعلينا أن نستلقي ونضع على رؤوسنا أكياسًا من الورق أو شيئًا من هذا القبيل».

قال فورد: «إن أحببت ذلك، نعم».

قال الرجل: «ذلك ما أخبرونا به في الجيش». وراحت عيناه تشقان طريقها ببطء نحو الويسكي خاصته.

سأل الساقي: «هل يساعد ذلك؟»

قال فورد: «لا». وابتسم بوجهه بود وأضاف: «اعذرني، عليَّ الذهاب». ولوح بيده وهو يخرج.

ظل الصمت يعم الحانة لدقيقة أخرى، وعند ذلك، وعلى نحو محرج، ضحك مجددًا الرجل الذي سبق له أن ضحك بصوت أجش، واشمأزت منه بشدة الفتاة التي كان قد جرها معه إلى الحانة في الساعة الأخيرة، لربما كان من دواعي سرورها أن تعرف أنه في غضون دقيقة ونصف سيتبخر إلى نشقة من الهيدروجين، الأوزون وأحادي أوكسيد الكربون. إنها، حينما تأتي اللحظة فستكون مشغولة بالتبخر هي نفسها ولن تلاحظه.

ابتلع الساقي ريقه وسمع نفسه يقول: «الطلب الأخير من فضلك».

بدأت الآلات الصفراء الضخمة بالاقتراب من الأرض بسرعة، وعلم فورد بأنهم وصلوا، لكنه لم يردها بتلك الطريقة.

اقترب آرثر من منزله وهو يركض على الزقاق لكنه لم يلاحظ اشتداد البرد المفاجئ، لم يلاحظ الرياح، ولم يلاحظ عاصفة الأمطار الهوجاء المفاجئة، ولم يلاحظ أي شيء سوى مجنزرة الكاتربيلر التي تزحف فوق الأنقاض التي كانت فيما مضى منزله.

صاح قائلًا: «أيها البرابرة، سأقاضي المجلس على كل قرش، سأسعى إلى شنقكم، وسأجعلكم مثيرين للشفقة، ستُجلدون، وتُعذبون، حتى... حتى... إلى أن تنالوا نصيبكم».

كان فورد يركض خلفه بسرعة كبيرة جدًّا، بسرعة كبيرة جدًّا جدًّا.

صاح آرثر: «ومن ثم سأعيد الكرة من جديد، وحينما أنتهي سآخذ ما بقي منكم، وسأقفز عليه!»

لم يلاحظ آرثر أن الرجال كانوا يهربون من الجرافات، ولم يلاحظ أن السيد بروسر كان ينظر إلى السماء بقلق. الشيء الذي لاحظه السيد بروسر أن الأشياء الصفراء الضخمة كانت تزأر بين الغيوم، أشياء صفراء ضخمة على نحو لا يصدّق.

صاح آرثر وهو لا يزال يركض: «وسأتابع القفز عليكم، إلى أن تصيبني القروح، أو إلى أن أستطيع أن أفكر في شيء أكثر بغضًا لأفعله، وعندها»...

تعثر آرثر وسقط على امتداد طوله، تدحرج واستقر مسطحًا على ظهره، في النهاية لاحظ أن شيئًا ما كان يحدث، وأشار إصبعه إلى الأعلى وصرخ قائلًا: «ما هذا بحق الجحيم؟»

مهما تكن تلك الأشياء، فلقد تسارعت عبر السماء باصفرار وحشي، ومزقت السماء بصوت مذهل، وانتقلت مبتعدة بسرعة تاركة فجوة الهواء خلفها لتنغلق بضجة تستطيع دفع أذنيك ست أقدام داخل جمجمتك.

واحدة أخرى فعلت الشيء نفسه إلا أنها أحدثت ضجيجًا أكثر ارتفاعًا.

من الصعب معرفة ما الذي كان يفعله الناس على سطح الكوكب في هذا الوقت، لأنّهم هم أنفسهم لم يكونوا يعرفون ما الذي يفعلونه. لا شيء كان منطقيًا، يركضون إلى داخل المنازل، ويركضون خارج المنازل، ويصرخون على الضجيج بلا ضجيج، شوارع المدن حول العالم غصت بالناس، وصدمت السيارات بعضها بعضًا عندما هبط الضجيج عليها وتحرك كموجة مد فوق الهضاب والوديان، والصحاري والمحيطات، ليبدو أنه يسطِّح كل شيء يضربه.

رجل واحد فقط راقب السماء بحزن عميق في عينيه وسدادات مطاطية في أذنيه، كان يعرف بالضبط ما الذي يحصل، كان يعرف ما يحصل منذ أن بدأت السب-إيثا سينس-و-ماتيك خاصته تومض في الليل الحالك إلى جانبه وأيقظته. لقد كان ما ينتظره كل هذه السنين، لكنه لما فك تشفير الإشارة وحيدًا في غرفته المظلمة الصغيرة شعر ببرودة تقبض عليه وتعتصر قلبه. أيجب أن يكون الڤوغونيين، بين كل الأجناس الموجودة في المجرة، التي كان يمكنها المجيء لتقول مرحبًا لكوكب الأرض؟

إلا أنه مع ذلك، كان يعرف ما عليه أن يفعله، فتح محفظته في حين كانت سفينة الڤوغون تزأر عبر الهواء فوقه، ورمى نسخة من جوزيف ومعطف أحلام التصوير بالألوان الرائع، رمى نسخة من لعنة الرب، لم يكن يحتاجها حيث كان ذاهبًا، تم تحضير كل شيء.

كان يعرف أين منشفته.

صمت مفاجئ عم الأرض، كان أسوأ من الضجيج.

اللحظة لم يحدث شيء.

تعلقت السفن الكبيرة من دون حراك في الهواء، فوق كل أمة على الأرض، تعلقت بلا حراك، ضخمة، ثقيلة وثابتة في السماء، كانت هرطقة بحق الطبيعة. أصيب الكثيرون بالصدمة مباشرة بينما كانت عقولهم تحاول استيعاب ما يرونه. تعلقت السفن في السماء بالطريقة نفسها التي لا تفعلها قطع القرميد، ولم يحدث شيء.

عند ذلك سُمعت همسة تافهة، همسة واسعة من صوت محيط، كل أجهزة الاستقبال والإرسال، الراديو، التلفاز، المسجلات، كل مضخمات الصوت، وحساسات الأصوات الدقيقة والمتوسطة شغلت نفسها بهدوء.

كل علبة صفيح، كل مستوعب غبار، كل نافذة، كل سيارة، كل زجاجة نبيذ، كل رقاقة معدن صدئ أصبحت فعّالة كلوح صوتي ممتاز.

فيما يخص إعادة إنتاج الصوت فإنّه ستتم معاملة الأرض قبل أن تموت بأفضل الطرائق وإلى أقصى حدود المستطاع، لقد تم بناء أعظم نظام مخاطبة. لكن لم تكن هنالك حفلة، ولا موسيقا، ولا حتى قعقعة، رسالة بسيطة فقط.

قال صوت على نحو رائع: «يا سكان الأرض، أعيروني انتباهكم من فضلكم». كان صوتًا رائعًا رباعي القنوات بنسبة تشوه خفيفة للغاية يمكن أن تجعل رجلًا شجاعًا يبكي.

تابع الصوت: «معكم الڤوغون البروستيتني جيلتز من مجلس التخطيط المجرّي الفضائي. ستدركون بلا شك أن خطط تطوير المناطق النائية من المجرة تتطلب بناء معبر فضائي سريع عبر نظامكم الشمسي، ومع الأسف فإن كوكبكم واحد من الكواكب التي ستُدمَّر، ستأخذ العملية أقل من دقيقتين من دقائقكم الأرضية، شكرًا». انطفأ نظام المخاطبة.

سيطر رعب غير مألوف على المتابعين من سكان الأرض، تحرك الرعب ببطء بين الجموع الغفيرة كأنهم نثرات حديد على ورق مقوى يتحرك تحتها مغناطيس. انبث الرعب من جديد، رعب بسبب الشعور باليأس وضرورة الهرب، لكن لم يكن هناك مكان للهرب إليه.

مع ملاحظتهم لذلك شغل الڤوغون نظام المخاطبة من جديد فقال: «لا نفع من التظاهر بأنكم مدهوشون من الأمر، فإن جدول المخططات وأوامر التدمير ظلت معروضة في قسم التخطيط المحلي خاصتكم على ألفا سينتاوري لمدّة خمسين عامًا أرضيًّا، فكان لديكم الوقت لتقديم شكوى رسمية، ولقد تأخر الوقت كثيرًا للاعتراض على ذلك الآن».

صمت نظام المخاطبة من جديد وتدفق صداه عبر الأرض، استدارت السفن الضخمة ببطء في السماء بقوّة صغيرة، في أسفل كل منها فتح باب وخلفه فراغ أسود.

في هذا الوقت، وفي مكان ما تمكّن أحدهم من التحكم بمرسل راديو، وجد طول الموجة وبث رسالة إلى سفن الڤوغونيين ليرد بالنيابة عن الكوكب. لم يسمع أحد ما قاله، لكنهم سمعوا الرد. عادت الحياة إلى نظام المخاطبة من جديد، كان الصوت منزعجًا، قال: «ما قصدك بأنك لم تذهب إلى ألفا سينتاوري من قبل؟ حبًّا بالسماء أيها البشر! إنها تبعد عنكم أربع سنين ضوئية فقط كا تعرفون. آسف، لكن إن لم تكونوا تريدون أن تزعجوا أنفسكم وتشاركوا في الأمور المحلّيّة فذلك أمر يخصكم».

«اشحن أشعة التدمير».

صدر ضوء من الأبواب السفلية.

قال صوت من نظام المخاطبة: «لا أعرف، كوكب لعين غير مبال، لا أتعاطف معهم إطلاقًا». ثم انقطع.

كان هناك صمت رهيب مروّع.

كانت هناك ضوضاء رهيبة مروّعة.

كان هناك صمت رهيب مروّع.

أبحر أسطول الڤوغون للإعمار بعيدًا في الفراغ الأسود المزدان بالنجوم.

الفصل الرابع

بعيدًا في الجهة المقابلة من ذراع المجرة وعلى مسافة خمسمئة ألف سنة ضوئية من النجم سول، أسرع زيفود بيبلبروكس، رئيس حكومة المجرة الإمبراطورية، عبر بحار داماغران، كان زورقه ذو القيادة الأيونية دلتا يومض ويلمع تحت شمس داماغران.

داماغران الحار، داماغران البعيد، داماغران الذي لم يسمع به أحد تقريبًا، داماغران، البيت السري لقلب الذهب.

أسرع القارب عبر المياه، لكنه سوف يأخذ بعض الوقت قبل أن يصل إلى وجهته لأن داماغران كوكب مرتب بشكل غير ملائم. لا يتألف سوى من جزر رملية متوسطة إلى كبيرة الحجم يفصلها عن بعضها امتدادات جميلة، لكنّها عريضة على نحو مزعج، من المحيط.

أسرع القارب.

بقي داماغران كوكبًا مهجورًا بسبب هذه الغرابة الطبوغرافية، لذا اختارته حكومة المجرة الإمبراطورية لمشروع قلب الذهب، فهو كان مهجورًا جدًا ومشروع قلب الذهب سرّي جدًا.

انطلق القارب بسرعة عبر البحر الذي يقع بين جزر الأرخبيل ذي الحجم المفيد الوحيد في كل الكوكب. كان زيفود بيبلبروكس في طريقه من القاعدة الفضائية الصغيرة على إيستر آيلاند (كان الاسم بالإجمال عبارة عن مصادفة لا معنى لها، ففي لغة المجرة إيستر تعني مسطحًا صغيرًا وبنيًا فاتحًا). إلى جزيرة قلب الذهب التي كانت، بمصادفة أخرى لا معنى لها، تدعى فرنسا.

أحد الآثار الجانبية للعمل في قلب الذهب كان سلسلة المصادفات التي لا معنى لها.

إنها لم يكن مصادفة أن اليوم، يوم الذروة في المشروع، اليوم العظيم لكشف الستار، اليوم الذي ستقدم فيه أخيرًا قلب الذهب إلى المجرة المدهشة، هو أيضًا يوم الذروة لزيفود بيبلبروكس. كان قد قرر أن يترشح للرئاسة من أجل هذا اليوم، قرار بعث بموجات من الذهول عبر المجرة الإمبراطورية، زيفود بيبلبروكس؟ رئيسًا؟ زيفود بيبلبروكس نفسه؟ الرئيس؟ رأى العديد ذلك برهانًا حاسمًا على أن جميع الخلق المعروف قد جن أخيرًا.

ابتسم زيفود وزاد من سرعة القارب.

زيفود بيبلبروكس، مغامر، هيبي سابق، ساع خلف الملذات، (فاسد؟ ممكن جدًّا) مرّوج مجنون لنفسه، سيئ جدًّا في العلاقات الشخصية، غالبًا ما يُعتَقد أنه غبي تمامًا.

رئيس؟

لم يجن أحد، على الأقل ليس هكذا.

ستة أشخاص فقط فهموا المبدأ الذي كانت تحكم بموجبه المجرة، وعلموا أن الأمر مقضي متى

أعلن زيفود بيبلبروكس عن نيته دخول مضار الرئاسة، لقد كان الشخص المناسب للأمر[2].

ما فشلوا في فهمه كان السبب الذي دفع زيفود بيبلبروكس للقيام بذلك.

انحدر بقاربه بعنف مطلقًا حائطًا جامحًا من الماء نحو الشمس.

إن اليوم يومه، اليوم سيدركون ما الذي يفعله زيفود بيبلبروكس، اليوم ستتلخص رئاسة زيفود بيبلبروكس، اليوم كان أيضًا عيد ميلاده المئتين، لكن كان ذلك مصادفة أخرى لا معنى لها.

ابتسم لنفسه بهدوء وهو يعبر بقاربه بحار داماغران فاليوم سيكون رائعًا ومدهشًا، استرخي ومد ذراعيه بكسل على ظهر المقعد. قاد القارب بذراع إضافية كان قد زرعها مؤخرًا تحت ذراعه اليمنى ليحسن أداءه في ملاكمة التزلج.

تحدث إلى نفسه بهدوء: «هيه، أنت فتي رائع». لكن أعصابه غنت أغنية أكثر حدة من صفارة الكلاب.

كان طول جزيرة فرنسا نحو العشرين ميلًا، في شكل هلال رملي عرضه في المنتصف خمسة أميال. لم تبد في الواقع جزيرة قائمة بحد ذاتها بل كوسيلة لإظهار امتداد وانحناء خليج ضخم، ترسخ هذا الانطباع بحقيقة أن خط الساحل الداخلي من الهلال كان مكونًا بمعظمه تقريبًا من جروف شديدة الانحدار. من قمة الجرف انحدرت الأرض ببطء لمسافة خمسة أميال لتصل إلى الشاطئ المقابل.

وقفت لجنة استقبال على قمة الجروف.

كانت تتكون بشكل كبير من المهندسين والباحثين الذين بنوا قلب الذهب، في معظمهم رجال آليون، لكن يوجد هنا وهناك بعض من الآلات التي تشبه السحالي: اثنان أو ثلاثة من الماكسيميغالاكتيين الخضر، أخطبوط آلي أو اثنان وهولوڤو (الهولوڤو هو طيف خارق الذكاء من اللون الأزرق). كلهم كانوا لامعين بمعاطف مختبراتهم الاحتفالية متعددة الألوان ما عدا الهولوڤو الذي، ومن أجل المناسبة، قد أعاد تشكيل نفسه في شكل موشور.

كانت هنالك حالة من الإثارة تسري بينهم جميعًا، تمكنوا مع بعضهم بعضًا من الوصول إلى أقصى حدود القوانين الفيزيائية، وأعادوا بناء تركيبة المادة الأساسية، شدوا، شوهوا وكسروا قوانين الممكن واللاممكن، لكن الإثارة الكبرى كانت بلقاء الرجل الذي يرتدي الوشاح البرتقالي حول عنقه (كانت العادة أن يرتدي رئيس المجرة وشاحًا برتقاليًا). لم يعنهم كثيرًا معرفة مقدار القوة التي يمثلها رئيس المجرة، إطلاقًا. علم ستة أشخاص فقط أن عمل رئيس المجرة هو تشتيت الانتباه عن القوة عوضًا عن التحكم بها.

كان زيفود بيبلبروكس جيدًا على نحو مذهل بعمله.

انبهر الحشد وحبس أنفاسه من الشمس وفن الملاحة مع التفاف القارب الرئاسي السريع حول الرأس البحري إلى داخل الخليج. فلمع القارب وومض مع قدومه متزلجًا فوق البحر بدورات زحلقة كبيرة.

في الواقع، لم يكن القارب في حاجة إلى أن يلمس الماء إطلاقًا لأنّه كان محمولًا على وسادة

غامضة من الذرات المؤينة، لكن بغرض التأثير زُود القارب بزعانف يمكن خفضها إلى الماء. شقت الزعانف ألواحًا من الماء راحت تئز في الهواء، حفرت جروحًا عميقة في البحر الذي تمايل بجنون وغار وهو يشكل رغوة في المكان الذي مر به القارب متقدمًا عبر الخليج.

كان ذلك التأثير الذي أحبه زيفود، ذلك ما يبرع به.

حرف المقود بحدة فاستدار القارب بانزلاقة منجلية عنيفة تحت سطح الجرف وتركه يستقر بخفة على الأمواج المتلاطمة.

قفز خارجًا إلى ظهر المركب في غضون ثوان وراح يحيي ويبتسم لأكثر ثلاثة مليارات إنسان. ثلاثة المليارات إنسان لم يكونوا هناك في الواقع، لكنهم شاهدوا كل إيماءة من إيماءاته عبر عيون كاميرات قري-دي على الروبوتات التي حامت بتذلل بالقرب منه، كانت التصرفات الغريبة للرئيس تجعل كاميرات تري-دي فائقة الشعبيّة، وهذا ما صممت لأجله.

ابتسم مجددًا، ثلاثة مليارات إنسان وستة لم يعرفوا أن اليوم سيكون تصرفه أغرب من كل ما راهنوا عليه.

اقتربت كاميرا روبوت من أجل صورة أقرب للأكثر شعبيّة بين رأسيه، ولوح من جديد. كان شكله بشريًّا بغضّ النظر عن الرأس الإضافي والذراع الثالثة.

كان شعره الأشعث الجميل يخرج باتجاهات عشوائية، عيناه الزرقاوان أومضتا بشيء غير قابل للتحديد، وذقناه كانتا دائمًا تقريبًا غير محلوقتين.

إلى جانب قاربه طافت كرة شفافة ارتفاعها عشرون قدمًا، راحت تدور وتتمايل وتلمع تحت الشمس الرائعة، بداخلها طافت أريكة نصف دائرية منجدة بجلد أحمر متألق، وكان يزداد ثبات الأريكة كلما ازداد دوران وتمايل الكرة، فكانت ثابتة كحجر تم تنجيده. ومن جديد نقول إن كل ما سبق فعله تم من أجل التأثير.

خطا زيفود عبر حائط الكرة واسترخي على الأريكة، مدد ذراعيه بتكاسل على طول ظهر الأريكة وراحت الذراع الثالثة تنظف بعض الغبار عن ركبته. راح رأساه ينظران حولهما وهما يبتسمان، ورفع رجله، فكر في أنه يمكن أن يصرخ في أي لحظة.

كان الماء يغلي تحت الفقاعة، يهتاج ويتدفق، اندفعت الفقاعة عبر الهواء وهي تدور وتتحايل على ينبوع الماء. تسلقت الماء أكثر فأكثر ناثرة أشعة من الضوء على المنحدر، واندفعت إلى الأعلى على المفيض والماء يهبط من تحتها مئات الأقدام إلى الأسفل ليرتطم بالبحر.

ابتسم زيفود وهو يتخيل نفسه.

كانت وسيلة نقل سخيفة تمامًا، لكنّها جميلة تمامًا أيضًا.

خفقت الكرة على قمة الجرف لوهلة، حطت على سكتها وتدحرجت إلى منصة صغيرة مقعرة وتباطأت حتى توقفت.

خطا زيفود بيبلبروكس خارج الفقاعة مع تصفيق ضخم ووشاحه البرتقالي يلمع في الضوء،

لقد وصل رئيس المجرة.

انتظر التصفيق حتى يخمد ثم رفع يديه بتحية وقال: «مرحبًا».

مشي بشكل جانبي نحوه عنكبوت حكومي حاول أن يضع بين يديه نسخة من خطابه المُحضر. فالصفحات من الرقم ثلاثة إلى الرقم سبعة من النسخة الأصلية كانت في هذه اللحظة تطفو ببلادة فوق بحر داماغران على مسافة خمسة أميال تقريبًا من الخليج. الصفحتان الأولى والثانية أنقذهما نسر داماغران المتوج بأوراق النخيل وأصبحتا مشتركتين في شكل جديد غير مألوف من الأعشاش التي اخترعها النسر. كان العش يتألف بشكل كبير من خليط أوراق وصمغ فكان من المستحيل افتراضيًا لأفراخ النسر التي فقست حديثًا أن تخرج من العش. سمع نسر داماغران المتوج بالنخيل بفكرة حفظ النوع لكنه لم يرد أن يتعامل بها.

لن يكون زيفود بيبلبروكس في حاجة إلى خطابه المُعد فأبعد الخطاب الذي قدمه إليه العنكبوت بلطف وقال مجددًا: «مرحبًا».

نظر إليه الكل، أو لنقل تقريبًا الكل، وأخرج تريليان من بين الحشد. كانت تريليان فتاة التقطها زيفود مؤخرًا لما كان يزور كوكبًا وهو يتستر باسم مستعار لغرض التسلية فقط. كانت سمراء نحيفة، تشبه البشر، مع تموجات طويلة من الشعر الأسود، فم مكتنز، أنف صغير وعينين بنيتين. بوشاح رأسها الأحمر المعقود بذلك الشكل وثوبها الحريري البني المتدلي بدت عربية بشكل غامض. لم يكن أحد هناك بالطبع قد سمع بالعرب. لقد انقرض العرب مؤخرًا، حتى عندما كانوا موجودين كانوا على بعد خمسمئة ألف سنة ضوئية من داماغران.

كانت تريليان شخصًا عاديًا، أو هذا ما كان يدعيه زيفود، كانت فقط تذهب معه كثيرًا وتخبره برأيها به.

قال لها: «مرحبًا عزيزتي»

ابتسمت في وجهه ابتسامة سريعة وصغيرة ونظرت بعيدًا، ثم أعادت النظر إليه للحظة وابتسمت بلطف أكبر - لكنه كان ينظر إلى شيء آخر.

قال: «مرحبًا» لعصبة صغيرة من المخلوقات الصحفية، الذين كانوا يقفون إلى جانبه ويتمنون أن يتوقف عن قول مرحبًا ويبدأ بالاقتباسات.

ابتسم لهم تحديدًا لعلمه أنه في لحظات سيعطيهم اقتباسًا عظيم الشأن.

إلا أنّ الشيء التالي الذي قاله لم يكن ذا نفع لهم، أحد المسؤولين في الحفل قرر بغضب أن من الواضح أن الرئيس ليس في المزاج المناسب لقراءة الخطاب الرائع الذي كُتب لأجله، فضغط زر جهاز التحكم الذي كان في جيبه.

أمامهم، وعلى مبعدة، كانت هناك قبة بيضاء كبيرة منتفخة نحو السماء، انبلجت في المنتصف وانشطرت وانطوت على نفسها على الأرض. تلهف الجميع من ذلك على الرغم من معرفتهم التامة بأنها ستفعل ذلك لأنّهم بنوها على هذا الشكل.

بقيت تحتها سفينة فضائيّة مكشوفة، طولها مئة وخمسون مترًا، يشبه شكلها شكل حذاء جري

أملس، بيضاء بشكل كامل وجمالها يخلب اللب. في منتصفها يقع صندوق ذهبي صغير غير مرئي حمل بداخله الجهاز الأكثر تعقيدًا على الإطلاق، الجهاز الذي جعل هذه السفينة الفضائية مميزة في المجرة، الجهاز الذي سميت به السفينة الفضائية - قلب الذهب.

قال زيفود بيبلبروكس لقلب الذهب: «واو» فلم يكن لديه ما يقوله أكثر من ذلك، قالها مجددًا: «واو». لأنّه علم أنها تزعج الصحافة.

ولَّاه من في الحشد وجوههم بترقب، غمز تريليان التي رفعت حاجبها واتسعت عيناها، كانت تعرف ما سيقوله وكانت تعتقد أنه متفاخر رديء.

قال: «ذلك مذهل حقًّا. ذلك مذهل حقًّا بحق. لشدة ما أذهلني هذا الشيء المذهل أعتقد أني سأسرقه».

كان ذلك اقتباسًا رئاسيًا رائعًا، حقيقي على نحو تام، ضحك من في الحشد تقديرًا له، وبمرح ضغط المراسلون على أزرار أجهزة السب-إيثا نيوز-ماتيك خاصتهم وابتسم الرئيس.

مع ابتسامته صاح قلبه على نحو لا يطاق، وراحت أصابعه تداعب قنبلة بارالايزو-ماتيك الصغيرة التي كانت في جيبه.

في النهاية، لم يعد يحتمل أكثر من ذلك، رفع رأسيه إلى السماء، وصاح بسعادة هستيرية، ورمى القنبلة على الأرض وركض عبر بحر من الابتسامات التي تجمدت على حين غرة.

الفصل الخامس

لم يكن من دواعي السرور رؤية الڤوغون البروستيتني جيلتز، حتى من قبل الڤوغونيين الآخرين، فقد اعتلى أنفه المقوس بشدة جبهته الخنزيرية، كانت بشرته الخضراء الداكنة والمطاطية سميكة بشكل كاف ليلعب لعبة سياسة الخدمة العامة للڤوغونيين، بل ليلعبها على نحو جيد، وكانت مضادة للماء على نحو يسمح له بالنجاة لفترات غير محدودة في أعماق بحر تصل حتى ألف قدم ومن دون أن يتأثر سلبًا.

بالطبع لم يكن يذهب للسباحة، فازدحام جدول أعماله لم يكن ليسمح بذلك. كان شكله على ما هو عليه لأنّه منذ مليارات السنين عندما زحف جنس الڤوغون أول مرة خارج بحار ڤوغوسفير البدائيّة والراكدة واستلقوا لاهثين من التعب على الشواطئ البكر للكوكب... عندما أشرقت أشعة شمس ڤوغول الفتية أول مرة عليهم في ذلك الصباح، بدا أن قوى التطور قد يئست منهم ببساطة في تلك اللحظة وفي ذلك المكان، وابتعدت وهي تشعر بالقرف بحسبانهم خطأً قبيحًا، مشؤومًا، وغير قابل للإصلاح. لم يتطوروا بعدها، ولم يكن يُراد لهم النجاة.

في الحقيقة كانوا نوعًا ما يقدرون ما تتميز به هذه المخلوقات من إرادة صلبة وعناد في تفكيرها البطيء، فكانوا يقولون لأنفسهم «تطور؟ من يحتاجه؟» وما رفضت الطبيعة أن تفعله لأجلهم فعلوه من دون مساعدتها حتى جاء الوقت الذي تمكنوا فيه من تصحيح العوائق التشريحية الضخمة من خلال الجراحة.

كانت القوى الطبيعية على كوكب ڤوغوسفير في تلك الأثناء تعمل بشكل إضافي لتعويض خطئهم الفادح آنف الذكر. كانوا يجلبون سرطانات ذات ظهور مشعة بالجواهر، ليأكلوها، حيث كان الڤوغونيون يحطمون دروعها بمطرقة حديدية. أشجار باسقة ذات ألوان، ونحالة تخطف الأنفاس كان الڤوغونيون يقطعونها ليحرقوا بها لحم السرطانات، مخلوقات أنيقة تشبه الغزلان يكسوها الحرير وعيونها تشبه حبات الندى، كان يمسك بها الڤوغونيون ويجلسون عليها. لم يكن بالإمكان الاستفادة منها للنقل لأن ظهورها كانت تنكسر على الفور لكن الڤوغونيين جلسوا عليها بكل الأحوال.

هكذا أمضي كوكب ڤوغوسفير الألفية التعيسة حتى اكتشف الڤوغونيون فجأة مبادئ السفر بين النجوم. في غضون بضع سنوات ڤوغ قصيرة كان الڤوغون قد هاجروا بكاملهم إلى قطاع ميغابرانتيس، المركز السياسي في المجرة، وشكلوا الأساس هائل القوة للخدمة العامة المجرية. حاولوا أن يكتسبوا التعليم، حاولوا أن يكتسبوا الأناقة والكياسة الاجتماعية، لكن في معظم الأصعدة لم يختلف الڤوغون العصري كثيرًا عن سلفه البدائي. فهم يستوردون كل سنة سبعة وعشرين ألفًا من السرطانات ذات الظهور المشعة بالجواهر من كوكبهم الأصلي ويمضون ليلة مخمورين وسعداء وهم يحطمونها إلى كسرات بمطارقهم الحديدية.

كان الڤوغون البروستيتني جيلتز ڤوغونًا أنموذجيًا تمامًا، كان رديئًا بشكل تام، بالإضافة إلى أنه لم يكن يحبّ المسافرين.

***

اشتعل عود ثقاب بشكل متوتر في مكان ما من قمرة مظلمة مطمورة عميقة في أحشاء بارجة الأميرال الڤوغون البروستيتني جيلتز. صاحب عود الثقاب ذلك لم يكن ڤوغونًا، لكنه كان يعرف كل شيء عنهم ومن حقه أن يكون متوترة، كان اسمه فورد بريفيكت[3].

نظر في أرجاء القمرة، لكنه لم يستطع مشاهدة الكثير، أخذت أطياف هائلة تتراقص وتتموج على ضوء عود الثقاب الصغير، لكن الصمت كان مطبقًا. تفوّه بشكر صامت للدينتراسيين. الدينتراسيون هم قبيلة جامحة في نهمها للطعام، جماعة متطرفة لكن لطيفة، وظفهم الڤوغونيون مؤخرة كمقدمي طعام على أساطيلهم المهيبة، وهم على فهم صارم بأنهم - الدينتراسيين - يبقون منشغلين تمامًا بأنفسهم.

هذا الشيء كان مناسبًا للدينتراسيين لأنّهم أحبوا أموال الڤوغونيين التي كانت عملتهم من أغلى العملات في الفضاء، لكنهم اشمأزوا من الڤوغونيين أنفسهم. النوع الوحيد من الڤوغونيين الذي يحبّ أن يراه الدينتراسي هو ڤوغون منزعج.

كانت هذه المعلومة الصغيرة سببًا في كون فورد بريفيكت الآن ليس عبارة عن نفخة من الهيدروجين، الأوزون وأحادي أكسيد الكربون.

سمع أنينًا خافتًا، وفي ضوء عود الثقاب شاهد جسمًا ثقيلًا يمشي برشاقة على الأرض، بسرعة أخمد عود الثقاب ومد يده في جيبه، وجد ما كان يبحث عنه وأخرجه وجثا على الأرض، وتحرك الشكل مجددًا.

قال فورد بريفيكت: «لقد اشتريت بعض الفستق».

تحرك آرثر دينت، تأوه مجددًا، دمدم على نحو غير مفهوم.

ألح عليه فورد قائلًا وهو يهز العبوة: «هنا، خذ قليلًا. إن لم تكن قد تعرضت قبل الآن لشعاع نقل المادة فلا بد أنك قد خسرت بعض الأملاح والبروتين. الجعة التي تناولتها منذ قليل خففت من صدمة نظامك قليلًا».

قال آرثر دينت: «ماذا».... فتح عينيه وقال: «المكان مظلم».

قال فورد بريفيكت: «نعم المكان مظلم».

قال آرثر دينت: «لا يوجد ضوء، مظلم، لا يوجد ضوء».

من أكثر الأشياء التي لطالما وجدها فورد بريفيكت صعبة الفهم حول البشر هي عادتهم في الاستمرار بالتصريح وتكرار ما هو واضح، مثل أن تقول: إنّه يوم جميل، أو إنك طويل جدًّا، أو يا إلهي يبدو أنك سقطت في بئر عمقها ثلاثون قدمًا، هل أنت بخير؟ في البداية ابتدع فورد نظرية لتقييم هذا السلوك الغريب، فظن أنه إن لم يستمر البشر في تمرين شفاههم فمن الممكن أن تغلق أفواههم. بعد شهور عدة من التمحيص والمراقبة تنازل عن هذه النظرية لصالح نظرية جديدة، فظن أنه إن لم يستمر البشر في تمرين شفاههم فإن أدمغتهم تبدأ بالعمل، بعد فترة تخلى عن هذه

النظرية أيضًا كونها ساخرة إلى درجة الإعاقة، وقرر أنه بغضّ النظر عن أي شيء فهو يحبّ المخلوقات البشريّة، لكن ظل قلقًا على نحو مفرط حول العدد الكبير من الأشياء التي لا يعرفونها.

وافق آرثر قائلًا: «نعم، لا يوجد ضوء». ساعد آرثر ليتناول بعض الفستق وسأله: «كيف تشعر؟»

قال آرثر: «كأكاديمية عسكرية، أجزاء مني لا يزال يغمى عليها».

حدقه فورد بانشداه في الظلمة.

قال آرثر بضعف: «إن سألتك أين نحن بحق الجحيم، فهل سأندم على ذلك؟»

وقف فورد وقال: «نحن في مأمن».

قال آرثر: «آه، جيد».

قال فورد: «نحن في قمرة مطبخ صغيرة، في إحدى سفن فضاء الأسطول القوغوني المعماري».

قال آرثر: «آه، هذا دون شك أحد الاستخدامات الغريبة لكلمة آمن التي لم أكن واعيًا لها من قبل».

أشعل فورد عود ثقاب آخر ليساعده في البحث عن مفتاح الإنارة. أطياف هائلة أخذت تتراقص وتتموج من جديد، كافح آرثر ليقف على رجليه وحضن نفسه بشكل قلق، أشكال غريبة وشنيعة بدأت تزدحم حوله، كان الهواء مشبعة بروائح عفنة انسلت إلى رئتيه من دون أن تعرف عن نفسها، وبقيت دندنة منخفضة ومزعجة تمنع دماغه من التركيز.

سأل وقد انتابته رجفة خفيفة: «كيف وصلنا إلى هنا؟»

قال فورد: «لقد صعدنا على نحو غير شرعي».

قال آرثر: «معذرة؟ هل تحاول أن تقول لي إننا رفعنا إبهامينا فمد وحش أخضر جاحظ العينين رأسه وقال مرحبًا يا أصحاب، اقفزوا، أستطيع إيصالكم إلى مستديرة بازينغستوك؟»

قال فورد: «حسنًا، الإبهام هو جهاز الإشارة سب-إيثا الإلكتروني، المستديرة هي في نجم بارنارد على بعد ست سنوات ضوئية، لكن بخلاف ذلك، يمكن عد ما قلته صحيحًا».

- «والوحش جاحظ العينين؟»

- «أخضر، نعم».

قال آرثر: «حسنًا، متى أستطيع الوصول إلى البيت؟»

قال فورد: «لا تستطيع»، وقد وجد مفتاح المصباح.

وقال: «احجب عينيك»... ثم أنار المصباح.

حتى فورد فوجئ.

قال آرثر: «يا للهول، هل هذا حقًّا القسم الداخلي لصحن طائر؟»

تحرك الڤوغون البروستيتني جيلتز بجسمه الأخضر والكريه حول منصة التحكم، لطالما شعر بغضب غريب بعد تدميره كواكب مأهولة. تمنى أن يأتي أحدهم ويقول له إن ذلك خطأ ليصيح بنفسه عليه فيتحسن مزاجه. ارتمى بكل ثقله على كرسي التحكم آملًا أن يتحطم حتى يكون لديه شيء يستحق الغضب لأجله، لكن الكرسي أصدر صريرًا متذمرًا.

«ابتعد!» قالها صائحًا بوجه حارس ڤوغوني شاب كان قد دخل المنصة في تلك اللحظة. اختفى الحارس من فوره وهو يشعر بالراحة، كان سعيدًا بأنه لن يكون الشخص الذي سيوصل التقرير الذي حصلوا عليه للتو. كان التقرير عبارة عن بيان رسمي يقول إن هناك نوعًا جديدًا ورائعًا من السفن الفضائية يتم الكشف عنه في تلك اللحظة في قاعدة أبحاث حكومية في داماغران، الذي سيتسبب بجعل كل الطرق الفضائية السريعة غير ضروريّة.

انفتح باب آخر منزلقًا، لكن الكابتن الڤوغوني لم يصح لأنّه كان باب قسم المطبخ حيث أعد الدينتراسيون وجبته. الوجبة كانت جدُّ مرحبًا بها.

وثب مخلوق ضخم يكسوه الفرو عبر الباب ومعه صينية، كان يبتسم كالمعتوه.

كان الڤوغون البروستيتني جيلتز مبتهجًا، فلقد كان يعلم أنه عندما يأتيه دينتراسي مسرورًا بنفسه في تلك الشاكلة فإن هنالك شيئًا ما في مكان ما على السفينة يستدعي أن يكون بحق غاضبًا جدًّا لأجله.

حدق فورد وآرثر حولهما.

قال فورد: «حسنًا، ما رأيك؟»

- «إنّه قذر بعض الشيء، أليس كذلك؟»

قطب فورد وجهه ونظر إلى الفراش الوسخ، والكؤوس غير المغسولة وأجزاء كريهة الرائحة من ثياب داخلية غريبة مبعثرة في أرجاء القمرة الضيقة.

قال فورد: «حسنًا، إنها سفينة عمل كما ترى، وهذا قسم منامة الدينتراسيين».

- «ظننتك تقول إن اسمهم ڤوغونيون أو ما شابه».

قال فورد: «نعم، الڤوغونيون يديرون السفينة، أمّا الدينتراسيون فهم الطباخون، لقد سمحوا لنا أن نصعد».

قال آرثر: «أنا مشوش».

قال فورد: «هنا، انظر إلى هذا» جلس على أحد الفرش وفتش في حقيبته. وكز آرثر الفراش بقلق ومن ثم جلس، في الواقع لم يكن لديه الكثير ليقلق من أجله، فكل الفرش التي نمت في مستنقعات سكورنشيلوس زيتا كانت تُقتل وتُجفف بشكل كامل قبل وضعها في الخدمة، القليل منها

عاد إلى الحياة مجددًا.

أعطى فورد الكتاب لآرثر.

سأل آرثر: «ما هذا؟»

«دليل المسافر إلى المجرة، إنّه كتاب إلكتروني، يخبرك بكل ما تحتاج إلى معرفته عن أي شيء، تلك هي وظيفته».

قلبه آرثر بعصبية بين يديه.

قال: «أعجبني الغلاف، لا تخف، إنّه أول شيء مفيد أو واضح يقوله أحد لي هذا اليوم».

قال فورد: «سأريك كيف يعمل،» خطف الكتاب من آرثر، الذي كان لا يزال ممسكًا به كأنه قبّرة ميتة منذ أسبوعين، وأخرجه من غلافه.

- «تضغط على هذا الزر هنا كما ترى وتضيء الشاشة لتعطيك الفهرس».

أضاءت الشاشة ذات الأبعاد ثلاثة بأربعة إنشات وراحت الأشكال تومض على سطحها.

«تريد أن تعرف عن الڤوغونيين، سأدخل الاسم إذًا»، وضغطت أصابعه على بعض المفاتيح الأخرى و «ها نحن ذان».

توهجت الكلمات «أساطيل الڤوغونيين المعمارية» عبر الشاشة. ضغط فورد على زر أحمر كبير بأسفل الشاشة فبدأت الكلمات بالتموج عبرها. وفي الوقت نفسه بدأ الكتاب يقرأ المدخل بصوت ثابت وهادئ. هذا ما قاله الكتاب.

«أساطيل الڤوغونيين المعمارية. إليك ما يجب فعله إن أردت أن يُقلك ڤوغون: انس الأمر. إنهم أحد أبغض الأعراق في المجرة، ليسوا شريرين حقًّا، لكنهم ذوو مزاج سيئ، بيروقراطيون، فضوليون وقساة، لن يحركوا ساكنًا لينقذوا جدتهم من وحش ترال الفوضوي والضاري من دون أوامر موقعة بثلاث نسخ، تُرسل إليهم، تُعاد، يُشك في أمرها، تُفقد، تُوجد، تُعرض لتحقيق عمومي، تُفقد من جديد، وفي النهاية تُدفن في خث ناعم ويعاد تدويرها كعيدان ثقاب.

أفضل طريقة للحصول على شراب من ڤوغون هي بوضع إصبعك في حلقه، وأفضل طريقة لإغضابه هي أن تُطعم جدته إلى وحش ترال الفوضوي والضاري.

لا تسمح على أي نحو لڤوغون أن يقرأ لك الشعر».

طرفت عين آرثر على الشاشة.

- «يا له من كتاب غريب، كيف صعدنا إذًا؟»

قال فورد: «هذه هي الفكرة، لقد انتهت صلاحيته الآن». وأعاد الكتاب إلى غلافه قائلًا: «أقوم ببحث ميداني للنسخة الجديدة المعدلة، ومن الأشياء التي يجب أن أضمنها هي كيف أن الڤوغونيين يوظفون الآن الدينتراسيين طباخين ما يعطينا منفذًا مفيدًا».

ارتسم على وجه آرثر تعبير مؤلم وقال: «لكن من هم الدينتراسيون؟»

قال فورد: «أشخاص رائعون، إنهم أفضل الطباخين، وأفضل مازجي الشراب، لا يهمهم أي شيء آخر، ودائمًا يساعدون المسافرين في الصعود إلى السفينة، لأنّهم يحبون الصحبة إلى حدٍ ما، وعلى نحو أكبر لأنّ ذلك يزعج القُوغونيين. تلكم بالضبط هي الأشياء التي عليك معرفتها إن كنت مسافرًا فقيرًا يحاول رؤية أعاجيب الكون بأقل من ثلاثين دولارًا ألتيريًا لليوم الواحد. وذلك هو عملي، ممتع أليس كذلك؟»

بدا آرثر تائهًا.

قال: «إنِّه مدهش»، وقطب وجهه على أحد الفرش.

- «لسوء الحظ فلقد علقت على الأرض لأطول مما كنت أنوي. قدمت لأسبوع وعلقت لمدّة خمس عشرة سنة».

- «لكن كيف وصلت إلى هناك أساسًا؟»

- «بسهولة، حصلت على توصيلة من شخص مضايق».

- «شخص مضايق؟»

- «نعم»

- «آه... وما هو»...

- «الشخص المضايق؟ الأشخاص المضايقون هم عادة أولاد أغنياء ليس لديهم ما يفعلونه، يجوبون الأرجاء ويبحثون عن كواكب لم تقم برحلات بين النجوم بعد، وينشرون الشائعات».

«ينشرون الشائعات؟» قالها آرثر وقد بدأ يشعر أن فورد يحاول أن يجعل الحياة صعبة عليه.

قال فورد: «نعم، ينشرون الشائعات، يبحثون عن رقعة مهجورة لا يقطنها إلا القليل من الناس، ومن ثم يهبطون جانب أحد المساكين الذين لن يصدقهم أحد ويأخذون في التأرجح أمامه إلى أعلى وأسفل مرتدين هوائيات سخيفة على رؤوسهم، ويصدرون أصوات بييب بييب، شيء صبياني إلى حدٍ ما في الواقع». اتكأ فورد إلى الخلف على الفراش ويداه خلف رأسه وبدا بشكل مغيظ مسرورًا بنفسه.

أصر آرثر قائلًا: «فورد، لا أعلم إن كان سيبدو السؤال سخيفًا، لكن ما الذي أفعله هنا؟»

قال فورد: «حسنًا، تعرف ذلك، لقد أنقذتك من الأرض».

- وما الذي حصل للأرض؟»

- «آه، لقد تم تدميرها».

قال آرثر بهدوء: «دمرت؟»

- «نعم، تبخرت في الفضاء».

قال آرثر: «انظر، إنني منزعج قليلًا من ذلك».

عبس فورد في نفسه وبدا كأنه يدير الفكرة في رأسه وقال أخيرة: «نعم، أتفهم ذلك».

صرخ آرثر: «تتفهم ذلك! تتفهم ذلك!»

قفز فورد وه بإلحاح: «أمعن النظر في الكتاب!»

- «ماذا؟»

- «لا تخف».

- «أنا لست خائفًا»

- «نعم أنت كذلك».

- «حسنًا أنا خائف، ما الذي يمكنني فعله غير ذلك؟»

- «تعال معي فقط واستمتع بوقتك، إن المجرة مكان ممتع، ستحتاج إلى وضع هذه السمكة في أذنك».

تساءل آرثر، بتهذيب كما ظن: «أستميحك عذرًا؟»

كان فورد يمسك مرطبانًا زجاجيًا صغيرًا، بدا واضحًا أنه يحوي سمكة صفراء صغيرة تتلوى في داخله. نظر إليه آرثر بطرف عينه، وتمنى لو كان هنالك شيء بسيط ومفهوم يمكنه أن يتمسك به، كان ليشعر بالأمان لو تمكّن من رؤية علبة صغيرة من رقائق الذرة إلى جانب ملابس الدينتراسيين الداخلية، أكوام فرش سكورنشيلوس والرجل من بيتلجوس الذي يمسك بسمكة صفراء صغيرة عارضًا عليه وضعها في أذنه. لكنه لم يتمكّن، ولم يشعر بالأمان.

فجأة باغتهم صوت عنيف من مكان لم يستطع تحديده، لهث برعب لما بدا أنه صوت رجل يتغرغر في حين يصارع مجموعة من الذئاب.

قال فورد: «اصمت! استمع، لربما كان مهمًا».

- «مه... مهمًا؟»

- «إنّه الكابتن الڤوغوني يقرأ إعلانًا عبر نظام البث».

- «أتعني أنه هكذا يتكلم الڤوغونيون؟»

- «استمع!»

- «لكنني لا أتكلم لغتهم!»

- «لا تحتاج إلى ذلك، فقط ضع هذه السمكة في أذنك».

بحركة كسرعة البرق صفع فورد يده على أذن آرثر الذي اعتراه الإحساس المرضي المفاجئ للسمكة التي تنزلق إلى جهازه السمعي. خدش أذنه وهو يلهث ذعرًا لثانية، ثم ببطء أدار عينيه الجاحظتين من العجب. لقد كان يختبر الموازي السمعي للنظر إلى صورة بوجهين أسودين ظليلين ويراها فجأة صورة شمعدان أبيض. أو النظر إلى العديد من النقاط الملونة على قطعة ورق حيث تحول تلك النقاط نفسها إلى شكل رقم ستة وتعني أن طبيب عينيك سيطلب الكثير من المال لقاء زوج جديد من النظارات.

كان لا يزال يستمع إلى الغرغرة المولولة، عندما علم أنها الآن بدأت تأخذ طابع اللغة الإنكليزية تامة الدقة.

هذا ما سمعه...

الفصل السادس

«ولولة ولولة غرغرة ولولة غرغرة ولولة ولولة غرغرة ولولة غرغرة ولولة ولولة غرغرة غرغرة ولولة غرغرة غرغرة غرغرة ولولة كي يستمتع بوقته. أكرر الرسالة. قائدكم يتكلم، فلتتوقفوا عن كل ما تفعلونه وأنصتوا جيدًا، بادئ ذي بدء إني أرى من آلاتنا أن لدينا زوجًا من المسافرين على متن السفينة. مرحبًا أينما كنتما. أريد أن أوضح أنه ليس مرحبًا بكما على الإطلاق. لقد عملت بجهد لأصل إلى ما أنا عليه اليوم، ولم أصبح قائد سفينة معمارية ڤوغونية لأحولها إلى خدمة تاكسي لمجموعة من الحثالة المنحطين. لقد أرسلت فرقة بحث وبمجرد أن تجدكما فسأضعكما خارج السفينة، إن كنتما محظوظين بما فيه الكفاية فقد أقرأ لكما بعضًا من شعري أولًا.

ثانيًا، نحن نوشك أن نلج الفضاء الفوقي في رحلة إلى نجم بارنارد، مع وصولنا سنبقى على الرصيف لمدّة اثنين وسبعين ساعة من أجل الإصلاح، ولا يجوز لأحد مغادرة السفينة في ذلك الوقت. أكرر، كل المغادرات إلى الكوكب ملغية. لقد تعرضت للتو لعلاقة حب تعيسة، لذا لا أرى سببًا لأي أحد كي يستمتع بوقته. انتهت الرسالة».

توقف الضجيج.

اكتشف آرثر وهو مرتبك أنه كان مستلقيًا وهو ملتف حول نفسه في شكل كرة على الأرض وذراعاه ملتفان حول رأسه، ابتسم بوهن.

قال: «رجل ساحر، أتمنى لو لديَّ ابنة كي أمنعها من أن تتزوج واحدًا»...

قال فورد: «لن تحتاج إلى ذلك، لديهم جاذبية للجنس مثل حادث السير، وكان آرثر قد بدأ يفك لفّته عندما أضاف فورد قائلًا: «لا، لا تتحرك، يستحسن أن تكون جاهزًا للولوج في الفضاء الفوقي، إنِّه كريه كالسُكر».

- «ما الكريه في أن تكون سكران؟»

- «سل كأسًا من الماء».

فكر آرثر في ذلك وقال: «فورد»

- «نعم؟»

- «ما الذي تفعله هذه السمكة في أذني؟»

- «إنها تترجم لك، إنها سمكة بابل. ابحث عنها في الكتاب إن أردت».

رمى له دليل المسافر إلى المجرة والتف حول نفسه في شكل جنين ليستعد للولوج.

في هذه اللحظة، سقط الزر من عقل آرثر.

انقلبت عيناه وبدأت رجلاه ترشحان من قمة رأسه.

انهارت الغرفة من حوله، دارت، واختفت من الوجود تاركة إياه ينزلق في سرته.

كانوا يمرون عبر الفضاء الفوقي.

قال دليل المسافر إلى المجرة بهدوء: «سمكة بابل صغيرة، صفراء، في شكل علقة، والأرجح أنها أغرب شيء موجود في الكون. تتغذى على طاقة الموجات الدماغية، ليس من حاملها بل ممن حوله. فهي تمتص كل الترددات العقليّة اللاواعية من طاقة هذه الموجة الدماغية لتغذي نفسها بها. تقوم عند ذلك بإفراز مصفوفة تخاطرية إلى دماغ حاملها تم تشكيلها بدمج ترددات الفكرة الواعية مع الإشارات العصبية الملتقطة من مراكز الكلام في الدماغ الذي زودها بها. الجوهر العملي من كل ذلك هو أنك إذا أدخلت سمكة بابل في أذنك فإنها تمكنك على الفور من فهم كل ما يُقال لك في أي شكل من أشكال اللغة. يعمل نمط الخطاب الذي سمعته فعليًا على فك شيفرة مصفوفة موجة الدماغ التي تم تغذيتها لدماغك عبر سمكة بابل خاصتك.

إنها لمصادفة غريبة وغير ملائمة أن يكون شيء مفيد إلى درجة تفوق الوصف قد تطور بمحض المصادفة التامة، ما دفع بعض المفكرين إلى رؤيتها الدليل النهائي والحاسم على عدم وجود الرب.

الفرضية هي في الشكل التالي: يقول الرب: «أنا أرفض أن أبرهن على وجودي، لأن البرهان يدحض الإيمان، ومن دون إيمان أنا لا شيء».

يقول الإنسان: «لكن سمكة بابل إفشاء أكيد غير مقصود أليس كذلك؟ لا يمكن أن تكون تطورت بمحض المصادفة. فهي برهان على وجودك، لذلك، وبناء على فرضيتك أنت غير موجود. يمكن البرهان على ذلك».

يقول الرب: «يا للهول، لم أفكر في ذلك» ومن غير إبطاء يختفي بنفخة من المنطق.

يقول الإنسان: «أوه، كان ذلك سهلًا» ويذهب ثانية ليبرهن على أن الأسود أبيض، ويتسبب في قتل نفسه بالمرور التالي للحمر الوحشية.

يدّعي معظم القياديين في علم اللاهوت أنّ هذه المناظرة ما هي إلا كومة من الهراء، لكن ذلك لم يمنع أوولون كولوفيد من تحقيق ثروة صغيرة عندما استخدمها كفكرة أساسية في كتابه ذائع الصيت «حسنًا ذلك تقريبًا يسكت الجدال حول الرب».

كانت سمكة بابل المسكينة، في تلك الأثناء، وبقيامها بعملها بشكل فعال بإزالة كل حواجز التواصل بين الأعراق والثقافات المختلفة قد تسببت بالمزيد من الحروب الدموية أكثر من أي شيء في تاريخ الخليقة.

أصدر آرثر أنينًا بصوت منخفض، كان مرتعبًا لاكتشافه أن الطوفان عبر الفضاء الفوقي لم يقتله، لقد كان الآن على بعد ست سنوات ضوئية من المكان الذي كانت لتوجد فيه الأرض لو أنها موجودة.

الأرض.

رؤى منها سبحت على نحو ممرض عبر دماغه المشمئز، لم توجد طريقة لمخيلته أن تشعر بصدمة أن كل الأرض قد اختفت، كان ذلك أمرًا كبيرًا. استحث مشاعره بالتفكير أن والديه وأخته قد اختفوا، لا وجود لردة فعل، فكر في كل الناس الذين كان قريبًا منهم، لا وجود لردة فعل. عند ذلك فكر في غريب كان يقف خلفه في الطابور، في المتجر، وفجأة شعر بطعنة، اختفى المتجر، كل شيء فيه اختفى، عمود نيلسون[4] اختفى! اختفى عمود نيلسون ولن يكون هنالك مزاد علني لأنّه لم يتبق أحد من أجل المزاد العلني، من الآن فصاعدًا لن يوجد عمود نيلسون إلا في أفكاره، إنكلترا موجودة فقط في أفكاره - أفكاره عالقة هنا في هذه السفينة المخططة بالفولاذ ذات الرائحة الكريهة، شديدة الرطوبة، لاح خوف من الأماكن المغلقة وأطبق عليه.

إنكلترا لم تعد موجودة، فهم ذلك، بطريقة ما فهم ذلك، حاول مجددًا، فكر، أمريكا اختفت، لم يستطع إدراك ذلك. قرر أن يبدأ بالأشياء الأصغر من جديد. نيويورك اختفت، لا وجود لردة فعل، هو لم يؤمن حقيقة بأنها كانت موجودة في كل الأحوال، فكر، غرق الدولار إلى الأبد، ارتجف قليلًا هنا. قال لنفسه: كل أفلام بوغارت[5] مُسحت، أحسّ بصدمة بذيئة، فكر، ماكدونالد، لا يوجد شيء بعد الآن اسمه همبورغر ماكدونالد.

أغمي عليه، وجد نفسه ينتحب على أمّه عندما عاد إلى وعيه بعد ثانية.

أجبر نفسه بقسوة ليقف على قدميه.

- «فوردا!»

نظر فورد إلى الأعلى حيث كان يجلس في زاوية يدندن لنفسه، لطالما كان يجد أن جزء السفر عبر الفضاء الفعلي من السفر الفضائي، متعبًا.

قال: «نعم؟»

- «إن كنت باحثًا لهذا الكتاب وكنت على الأرض، لا بد أنك كنت تجمع مواد عن الموضوع».

- «حسنًا، لقد تمكنت من التوسع في المقدمة قليلًا، نعم».

- «دعني أر ما يقوله في هذه النسخة إذًا، عليَّ فعل ذلك».

«نعم، حسنًا»، ومرر الكتاب مجددًا.

أمسك آرثر الكتاب بين يديه وحاول أن يوقف من ارتجافها، ضغط مدخل الصفحة ذات الصلة، فأضاءت الشاشة والتفت كدوامة ثم انتقلت إلى صفحة الطباعة، حدقها آرثر وانفجر قائلًا: «لا مدخل لها».

نظر فورد من فوق كتفه وقال: «نعم لها، الزر في أسفل الشاشة، تحت إكسينتريكا غالومبيتس مباشرة، عاهرة إيروتيكون (٦) ثلاثية الأثداء».

تابع آرثر إصبع فورد ونظر إلى حيث يشير، للحظة كان لم يفهم شيئًا بعد، بعد ذلك كاد دماغه ينفجر.

- «ماذا؟ غير مؤذ؟ أهذا كل ما لدى الكتاب ليقوله؟ غير مؤذ! كلمتين![6]»

استهجن فورد قائلًا: «حسنًا هنالك مئة مليار نجم في المجرة، ومساحة محدودة في معالجات الكتاب الميكروية. ولم يعلم أحد الكثير عن الأرض بالطبع».

- «كرامة لله أتمنى أن تكون قد تمكنت من تصحيح ذلك قليلًا».

- «آه، نعم، لقد تمكنت من إرسال مدخل جديد إلى المحرر، لكنه اضطر إلى تقليصها قليلًا، لكنّها لا تزال تعد تطورًا».

سأل آرثر: «وماذا يقول الكتاب الآن؟»

أقر فورد بسعلة مرتبكة: «غير مؤذ في الغالب».

صاح آرثر: «غير مؤذ في الغالب!»

هسهس فورد: «ما كان هذا الصوت؟»

صاح آرثر: «كان صوت صياحي».

قال فورد: «لا، اصمت، أظننا في مأزق!»

خارج الباب كان يسمع صوت أقدام تسير، همس آرثر: «الدينتراسيون؟»

قال فورد: «لا، هذه أحذية ذات أطراف معدنية»

كانت هنالك ضربة ذات رنين حاد على الباب.

قال آرثر: «إذًا من يكونون؟»

قال فورد: «حسنًا، إن كنا محظوظين فسيكونون الڤوغونيين قد جاؤوا لرمينا إلى الفضاء».

«وإن كنا غير محظوظين؟»

قال فورد بتجهم: «إن كنا غير محظوظين، فقد يكون القائد جادًا بتهديده، وأنه سوف يقرأ لنا بعضًا من شعره أولًا»...

الفصل السابع

إن الشعر الڤوغوني هو ثالث أسوأ شعر في الكون، ثاني أسوأ شعر هو شعر الآزاغوسيين من كريا، خلال إلقاء قصيدة سيد الشعر لديهم غرونثوس متطبل البطن بعنوان «قصيدة لقطعة عجينية خضراء صغيرة وجدتها في إبطي أحد صباحات منتصف الصيف» مات أربعة من مستمعيه بسبب نزيف داخلي، ونجا رئيس مجلس تكريم الفنون نصف المجرّي بقضم إحدى ساقيه. ونقل عن غرونثوس أنه شعر «بالخيبة» للطريقة التي تم تلقي القصيدة بها، حيث إنّه كان قد أوشك أن يباشر القراءة من قصيدته الملحمية المكتوبة في اثني عشر كتاب بعنوان غرغرة الاستحمام المفضلة لديَّ عندما قفز معيه الأساسي عبر عنقه مباشرة وخنق دماغه في محاولة يائسة من المعي لإنقاذ الحياة والحضارة.

أما أسوأ شعر على الإطلاق فقد هلك في دمار كوكب الأرض مع كاتبته باولا نانسي ميلستون جينينغز [7] من غرينبريدج، إيسكس، إنكلترا.

ابتسم الڤوغون البروستيتني جيلتز ببطء شديد، لم يفعل ذلك من أجل التأثير، إنما لأنّه كان يحاول تذكر تسلسل حركة العضلات. كان قد صرخ صرخة علاجية شديدة في سجنائه وهو يشعر الآن بالراحة وبأنّه مستعد لبعض القسوة.

جلس السجناء مقيدين إلى كراسي الإعجاب بالشعر، لم يتوهم الڤوغونيون فيما خص طريقة تلقي أعمالهم، فمحاولاتهم الأولى في التأليف كانت جزءًا من الإصرار كي يتم قبولهم كعرق ثقافي ومتطور إلى حد بعيد، لكن الشيء الوحيد الذي يدفعهم إلى التأليف الآن هو الفكر الدموي المحض.

استقرت حبة العرق باردة على حاجب فورد بريفيكت، ونزلت حول الأقطاب الكهربائية الموصولة إلى صدغيه. كانت هذه الأقطاب موصولة إلى مدخرة تجهيزات إلكترونية، مقويات للتخيلات، مغيرات وزن شعري، مولدات تجانس، مستوعبات تشابيه - كلها مصممة لتقوية المعاناة في القصيدة وللتأكّد من عدم ضياع أي جزء من أفكار الشاعر.

ارتعش آرثر دينت وهو جالس، لم يكن لديه أدنى فكرة عن سبب وجوده، لكنه كان يعلم أنه لم يعجب بأي شيء حصل معه حتى الآن، ولم يكن يعتقد بأن الأمور ستتغير.

بدأ الڤوغون يقرأ مقطعا نتنًا صغيرًا من تأليفه.

بدأ بالقول: «آه أيها الشخير الهائل المنفلت»... حطمت التشنجات جسم فورد، كان ذلك أسوأ مما كان مستعدًا له.

«؟... أبوالك لأجلي - كلامك غير المفهوم يغطي نحلة مريضة».

صرخ فورد بريفيكت: «آه!!»، فقد راح رأسه يتلوى إلى الخلف وكتل من الألم تجتاحه. نظر جانبًا وتمكّن من رؤية آرثر بشكل باهت يجلس بارتياح على كرسيه وهو يديره، فصرّ على

أسنانه.

تابع الڤوغون عديم الرحمة: «أناشدك يا غروون فونتيناتي ما قبل التورلينغ».

كان صوته يرتفع إلى حدة رهيبة ومتقدة: «وبإحاطة درانغلني ببنديلوردليس متجعد، وإلا سأمزقك في الثآليل بطواحيني، ولتر إن لم أفعل».

صرخ فورد بريفيكت:«لا!!» وأصابه تشنج أخير عندما قامت المعززات الإلكترونية في السطر الأخير بصدمه بقوّة عبر صدغيه، فارتخى.

كان آرثر يسترخي.

أزّ الڤوغون قائلًا: «الآن أيها الأرضيان»... (لم يعرف أن فورد بريفيكت كان في الواقع من كوكب صغير إلى جوار بيتلجوس، ولم يكن ليهمه لو عرف) «أقدم لكما خيارًا بسيطًا؛ إما أن تموتا في فراغ الفضاء، وإما»... توقف من أجل الإثارة، «تخبراني كم كان شعري جيدًا!»

رمى نفسه إلى الخلف على المقعد الجلدي الضخم الذي كان في شكل خفاش وراقبها، وتبسم من جديد.

كان فورد يعاني ليتنفس، حرّك لسانه الجاف حول فمه الظمئ وأنَّ.

قال آرثر بابتهاج: «لقد أحببته حقًّا».

استدار فورد وحدق فاغرًا فاه، فببساطة هذه المقاربة لم تخطر في باله.

رفع الڤوغون حاجبًا دهشًا ما جعل أنفه قائمًا على نحو مؤثر فلم يعد شيئًا سيئًا.

أزّ بدهشة كبيرة قائلًا: «آه، جيد»...

قال آرثر: «آه، نعم، أظن أنّ بعض التصاوير الميتافيزيقية تحديدًا كانت فعالة».

تابع فورد التحديق إليه، وببطء راح ينظم أفكاره حول هذا المفهوم الجديد كليًا. هل سيتمكنان حقًّا من إيجاد مخرج؟

طلب الڤوغون بكياسة قائلًا: «نعم، تابع»...

تابع آرثر: «أوه، و.. ال.. تقنيات وزن شعري ممتعة أيضًا، بدت أنها تمزج ألحان ال... ال... ال»... وتخبَّط.

هب فورد لنجدته مخاطرًا: «تمزج ألحان السريالية في التشبيه الضمني ال... ال»... تخبَّط فورد أيضًا، لكن آرثر كان مستعدًا من جديد.

«... إنسانية ال»...

هسهس له فورد: «ڤوغونية»

«آه، نعم، عذرًا، ڤوغونية روح الشاعر الرحيمة» - شعر آرثر أنه على امتداد لوطنه -،

«التي ترسم خططًا عبر وسيط البنية الشعرية ليتسامى في هذا، ويتفوق في ذاك، وليتفق مع الانقسامات الثنائية الأساسية للآخر» - كان آرثر يصل إلى تصعيد منتصر - «ويترك المرء ببصيرة عميقة وقوية في... في... ال»... (تبخّر التصعيد المنتصر منه فجأة).

هب فورد برصاصة الرحمة صائحًا: «في الشيء الذي كانت تتحدّث عنه القصيدة!» ومن زاوية فمه قال: «أحسنت يا آرثر، كان ذلك جيدًا جدًا».

تمعن بهما الڤوغون، للحظة تأثرت روحه العنصرية المريرة، لكنه فكر، لا، لقد كان ذلك متأخرًا. أخذ صوته خاصية صوت قطة تمزق نايلونًا ناعمًا.

قال: «إن ما تقولانه إذًا هو أنني أكتب الشعر لأنّه تحت القسوة الخسيسة وعديمة الرحمة لمظهري الخارجي، أنا حقًّا أريد أن أكون محبوبًا». توقف قليلًا وتابع: «أليس ذلك صحيحًا؟»

ضحك فورد ضحكة عصبية وقال: «في الحقيقة نعم، ألسنا كلنا في داخلنا، كما تعلم... ال»...

وقف الڤوغون وقال: «لا، أنتما مخطئان تمامًا، أنا أكتب الشعر فقط لأريح القسوة الخسيسة عديمة الرحمة لمظهري الخارجي. سأرميكما خارج السفينة في كل الأحوال، أيها الحارس! خذ السجينين إلى المنصة الهوائية رقم ثلاثة وارمهما خارجًا!»

صرخ فورد: «ماذا؟»

تقدم حارس ڤوغوني شاب وضخم وجذبهما من حزاميهما بذراعيه الضخمتين المنتفختين.

صاح فورد: «لا يُمكنك رمينا في الفضاء، إننا نحاول أن نكتب كتابًا».

صرخ فيه الحارس الڤوغوني: «لا فائدة من المقاومة!» كانت أول عبارة قد تعلمها عندما انضم إلى فيلق الحرس الڤوغوني.

راقب القائد ذلك بلهو يخلو من الشفقة واستدار.

حق آرثر حوله بهيجان وصاح: «لا أريد أن أموت الآن! لا أزال مصابًا بالصداع! لا أريد الذهاب إلى الجنّة مصدوع الرأس، سأعبرها كلها ولن أستمتع بها».

أمسك بهما الحارس بقوّة من عنقيها، وانحنى باحترام باتجاه ظهر قائده، وجرهما وهما يحتجان إلى خارج منصة ربان السفينة. انغلق باب معدني وأصبح القائد بمفرده من جديد. دندن بهدوء وتأمل لنفسه وهو يداعب مدونة شعره.

قال: «هممممم، تمزج ألحان السريالية في التشبيه الضمني»... فكر في ذلك للحظة ومن ثم أغلق الكتاب بابتسامة شرسة وأضاف: «الموت أكثر من جيد لهما».

تردد صدى الصراع الضعيف للبشريين المثبتين بقوّة تحت إبطي الڤوغون المطاطيين في الممر الطويل ذي الخطوط المعدنية.

غمغم آرثر: «هذا شيء عظيم، رائع بحق، أفلتني أيها المتوحش!»

استمر الحارس الڤوغوني يجرهما.

قال فورد: «لا تقلق، سأفكر في شيء ما». لكنه لم يبد مشجعًا.

خار الحارس قائلًا: «المقاومة غير مجدية!»

تمتم فورد: «لا تقل أشياء كهذه، أنى لأي شخص أن يحافظ على عقليّة إيجابية إن كنت تتلفظ بأشياء كهذه؟»

تذمر آرثر: «يا إلهي، أنت تتحدّث عن العقليّة الإيجابية ولم يدمَّر كوكبك اليوم. استيقظت في الصباح ظانًّا أني سأستمتع بيوم مريح، أمارس القليل من المطالعة، أنظف الكلب... لقد تجاوزت الساعة الرابعة بعد الظهر وأنا مرمي على ظهر سفينة فضاء غريبة على بعد ست سنوات ضوئية من البقايا الدخانية للأرض!» غمغم وقرقر مع ازدياد شدّة قبضة الڤوغون.

قال فورد: «حسنًا، توقف عن الخوف».

رد آرثر بحدة: «من أتى على ذكر الخوف؟ إن هذه إلا صدمة ثقافية، انتظر حتى أمعن النظر في الوضع وأحدد اتجاهاتي، عندها سأبدأ بالخوف».

«اصمت يا آرثر! إنك تصاب بالهستيريا» حاول فورد يائسًا أن يفكر، لكن أفكاره انقطعت بصياح الحارس من جديد: «المقاومة غير مجدية!»

رد فورد بحدة: «يُمكنك أن تصمت أنت أيضًا!»

- «المقاومة غير مجدية!»

قال فورد: «آه، دعك من ذلك»، وبرم رأسه لينظر مباشرة إلى وجه معتقله، وجاءته فكرة.

سأل فجأة: «هل تستمتع حقًّا بهذا الشيء؟»

تجمد الڤوغون عن الحركة وببطء ارتسمت على وجهه مسحة من الغباء الهائل.

دوى صوته قائلًا: «أستمتع؟ ما الذي تقصده؟»

قال فورد: «أقصد أن أسألك هل يسبب لك ذلك حياة مرضية؟ السحق، الصراخ، رمي الناس خارج السفن الفضائية»...

حدَّق الڤوغون إلى السقف المعدني المنخفض وكاد حاجباه يتلاصقان، وارتخى فمه وقال في النهاية: «حسنًا، ساعات العمل جيدة».

وافقه فورد قائلًا: «هذا ما يجب أن تكونه ساعات العمل».

أدار آرثر رأسه لينظر إلى فورد.

سأله بهمسة مفعمة بالذهول: «فورد ماذا تفعل؟»

قال فورد: «أحاول الاهتمام بالعالم من حولي، فهمت؟ حسنًا،» تابع فورد: «إن ساعات العمل

جيدة إذًا؟»

حدقه الڤوغون وراحت الأفكار البليدة تتخبط في أعاقه المظلمة.

قال: «نعم، لكن بذكرك للموضوع فإن معظم الدقائق حقيرة، ما عدا»... وفكر مجددًا، ما تطلب منه النظر إلى السقف، «ما عدا بعض الصراخ الذي أحبه». ملا رئتيه وخار: «المقاومة غير»...

قاطعه فورد بسرعة: «صحيح، نعم، إنك تجيد ذلك الأمر كما أرى. لكن إن كانت في معظمها حقيرة،» وأبطأ في قول الكلمات ليعطيها الوقت لتصل إلى هدفها، «إذا لم تفعل ذلك؟ ما الذي يدفعك؟ الفتيات؟ الجلد؟ الفحولة؟ أو أنك تجد أن الاتفاق مع كل ما في الأمر من ملل يقدم لك تحديًا مشوقًا؟»

نظر آرثر إليهما جيئة وذهابًا بذهول تام.

قال الحارس: «ال... ال... ال... لا أعرف، أعتقد أنني نوعًا ما... أفعلها. خالتي قالت إن حارس السفينة الفضائية هي مهنة جيدة لڤوغون شاب، أنت تعلم، اللباس الموحد، حاضن قاذف الأشعة المتدلي، الملل»...

«ها أنت ذا يا آرثر،» قالها فورد كأنه شخص يصل إلى نتيجة برهانه «تعتقد أن لديك مشكلات».

كان آرثر يعتقد أن لديه، بالإضافة إلى مسألة كوكبه الأم غير السارة، كان نصف مخنوق من الحارس الڤوغوني ولم تكن فكرة أن يتم رميه في الفضاء تعجبه كثيرًا.

ألح فورد: «حاول أن تتفهم المشكلات خاصته، هنا لدينا هذا الشاب المسكين، كل عمل حياته يتلخص في السحق، ورمي الناس خارج السفن الفضائية»...

أضاف الحارس: «والصراخ،»

قال فورد: «والصراخ، بالتأكيد،» وهو يربّت على الذراع الضخمة الممسكة بعنقه بود ولطف «... وهو لا يعلم حتى سبب فعله ذلك!»

أيد آرثر فكرة أن ذلك كان محزنًا للغاية، فعل ذلك بإشارة صغيرة وضعيفة، لأنّه كان مخنوقًا لا يقدر على الكلام.

قعقعة عميقة من الإرباك أتت من الحارس.

- «حسنًا، أنت تصفها بهذا الشكل حسب ما أظن»..

شجعه فورد قائلًا: «ولد طيب!»

تابع الڤوغون مقعقعًا: «حسنًا، لكن ما البديل؟»

قال فورد بابتهاج، لكن ببطء: «حسنًا، توقف عن فعل ذلك بالتأكيد! أخبرهم»، وتابع، «أنك لن

تفعل ذلك أبدًا». وشعر أن عليه أن يضيف شيئًا إلى ذلك، لكن في تلك اللحظة كان يبدو أن عقل الحارس كان مأخوذًا بالتفكير بشدة.

قال الحارس: «امم... مم، ذلك لا يبدو رائعًا لديَّ».

شعر فورد فجأة بأنه يخسر الموقف فقال: «انتظر لحظة، تلك البداية فقط، هنالك المزيد كما تعلم»...

إنما في تلك اللحظة، عاد الحارس ليشد قبضته، وتابع عمله بجر سجينيه إلى المنصة، كان لا بد متأثرًا.

قال: «لا، أعتقد أن الأمر سيان لديكما، من الأفضل لي أن أقحمكما في هذه المنصة وأذهب بعد ذلك إلى البعض من الصراخ الذي عليَّ عمله».

بعد كل ذلك لم يكن الأمر سيان لدى فورد بريفكيت.

قال، بابتهاج وبطء أقل: «بالله عليك... انظر!»

قال آرثر، من دون أي وضوح: «آه...!!»

تابع فورد: «لكن انتظر، هنالك موسيقا وفنون وأشياء لأخبرك بها بعد! آه...!»

خار الحارس: «المقاومة غير مجدية»، ثم أضاف: «كما ترى، إن ثابرت فستتم ترقيتي في النهاية إلى ضابط صراخ متقدم، وليس هناك في العادة شواغر للضباط عديمي الصراخ وعديمي الدفع بالناس، لذا أعتقد أن عليَّ الالتزام بما أعرف».

وصلوا الآن إلى المنصة، باب القبو معدني دائري ضخم شديد القوة والوزن يصل بالسطح الداخلي للمركبة، شغل الحارس متحكمًا فانفتح باب القبو بسلاسة.

قال الحارس القُوغوني: «لكن شكرًا لاهتمامكما، إلى اللقاء الآن». وقذف فورد وآرثر عبر باب القبو إلى حجرة داخلية صغيرة.

جلس آرثر يلهث، واندفع فورد مذعورًا ودفع بكتفه باب القبو المنغلق، لكن من دون فائدة.

نادى الحارس صارخًا: «لكن اسمع، هنالك عالم كامل لا تعلم شيئًا عنه... ما رأيك في هذا؟» وبيأس أمسك بالقطعة الثقافية الوحيدة التي يعرفها ارتجالًا، دندن لنفسه المقطع الأول من سيمفونية بيتهوفن الخامسة:

«دا دا دا دم! ألا يحرك ذلك أي شيء داخلك؟»

أجاب الحارس: «لا، بصراحة، لكنني سأذكر ذلك لخالتي».

لو أنه قال أي شيء آخر بعد ذلك لكان ضاع سدى، لقد أغلق باب القبو نفسه بقوّة، واختفت كل الأصوات ما عدا الهمهمة البعيدة لمحركات السفينة.

كانا في حجرة أسطوانية مدهونة بشكل ساطع، قطرها نحو ست أقدام وطولها عشر.

نظر فورد حوله وهو يلهث.

قال: «اعتقدت أنه فتى ذو قدرة وذكي»، وسقط على الحائط المتقوس.

كان آرثر لا يزال مستلقيًا على الأرضية المنحنية حيث سقط، ولم ينظر إلى الأعلى، تمدد فقط وهو يلهث.

- «نحن في الفخ الآن أليس كذلك؟»

قال فورد: «نعم، نحن في الفخ».

- «ألم تفكر في أي شيء؟ أعتقد أنك قلت إنك ستفكر في شيء ما. لربما فكرت في شيء ولم تنتبه».

لهث فورد قائلًا: «نعم، لقد فكرت في أمر».

نظر آرثر إلى الأعلى بصبر نافد.

تابع فورد: «لكن، يا للأسف، كان يتضمن أن نكون في الجهة الأخرى من باب القبو المحكم هذا» وركل الباب الذي مرّا عبره.

- «لكنّها كانت فكرة جيدة أليس كذلك؟»

- «آه، نعم، أنيقة جدًّا».

- «ما كانت؟»

- «لم أكن قد عملت على التفاصيل بعد، ليست هناك فائدة الآن أليس كذلك؟»

- «حسنًا... ماذا سيحدث لاحقًا؟»

قال فورد: «أوه، حسنًا، باب القبو الذي أمامنا سينفتح تلقائيًا بعد بضع لحظات وسنُلقى في عمق الفضاء، كما أظن، وسنختنق. إن أنت أخذت ملء رئتيك من الهواء فستدوم لمدّة ثلاثين ثانية»... وضع يديه وراء ظهره، ورفع حاجبيه وراح يدندن ترنيمة حرب بيتلجوسية. بدا غريبًا جدًّا في عيني آرثر.

قال آرثر: «إذًا، هذا كل ما في الأمر، سنموت».

قال فورد: «نعم، إلا إذا... لا! لحظة!»

اندفع فجأة عبر الحجرة باتجاه شيء خلف خط نظر آرثر وصاح: «ما هذا المفتاح الكهربائي؟»

صاح آرثر وهو يدور: «ماذا؟ أين؟»

قال فورد: «كنت أتغابى، سنموت في النهاية».

سقط على الحائط مجددًا وتابع النغمة من حيث تركها.

قال آرثر: «أتعلم، في أوقات كهذه، حينما أكون محجوزًا في منصة ڤوغونية مع رجل من بيتلجوس، وأوشك أن أموت خنقًا في عمق الفضاء، أتمنى بحق لو أني استمعت إلى ما قالته أمي عندما كنت صغيرًا».

- «لم، ما الذي قالته لك؟»

- «لا أعلم، لم أستمع».

«أوه». وتابع فورد الدندنة.

فكر آرثر: «هذا رائع، اختفى عمود نيلسون. اختفى ماكدونالد، كل ما بقي هو أنا والكلمات غير مؤذ في الغالب. في أي لحظة الآن لن يبقى إلا غير مؤذ في الغالب وفي الأمس كان الكوكب يبدو بخير».

أزّ محرك.

هسهسة صغيرة تحولت إلى زئير يصم الآذان من الهواء المندفع مع انفتاح باب القبو الخارجي إلى فراغ أسود مرصع بنقاط ضوئية صغيرة رائعة السطوع. أُطلق فورد وآرثر في الفضاء الخارجي مثل السدادات من مسدسات الألعاب.

الفصل الثامن

إن دليل المسافر إلى المجرة كتاب رائع بامتياز: فلقد تم تجميعه وإعادة تجميعه مرات كثيرة عبر سنوات عديدة، وبإشراف إدارات تحرير متنوعة. وهو يحتوي على إسهامات من عدد لا متناه من الرحالة والباحثين.

المقدمة تبدأ على النحو التالي:

فهي تقول: «إن الفضاء كبير، كبير حقًّا، لن تستطيع تصديق كم هو كبير على نحو لا يوصف، أقصد أنك قد تظن أنه بعيد في نهاية الطريق المتجه إلى الصيدلية، لكن ذلك تافه بالمقارنة مع الفضاء»... وهلمّ جرا.

(بعد وهلة يستقر الأسلوب قليلًا ويبدأ بإخبارك عن الأشياء التي تحتاج إلى معرفتها، مثل حقيقة أن الكوكب خرافي الجمال "بيسيلامن" قلقٌ الآن من التآكل التصاعدي من قبل عشرة مليارات سائح سنوي حيث إن أي اختلال توازن صاف بين مقدار ما تأكله ومقدار ما تفرزه في أثناء وجودك على الكوكب تتم إزالته جراحيًا من وزن جسمك عندما تغادر: لذا من الضروري جدًا أن تحصل على إيصال في كلّ مرّة تستخدم فيها المرحاض.)

لنكون عادلين، بالمقارنة مع المسافات الضخمة جدًّا بين النجوم، فإن عقولًا أفضل من العقل المسؤول عن مقدمة الدليل قد ترنحت. بعضهم قد يدعوك للتأمل لوهلة في حبة فستق تقرأ عنها، وجوزة في جوهانسبورغ، ومفاهيم أخرى تصيب بالدوار.

الحقيقة البسيطة هي أن المسافات ما بين النجوم لا تتناسب مع مخيلة البشر.

حتى الضوء، الذي ينتقل بسرعة كبيرة جعلت الكثير من الأعراق لا تعرف أنه ينتقل أساسًا، يتطلب وقتًا للسفر بين النجوم. فهو يتطلب ثماني دقائق ليصل من النجم سول إلى المكان الذي كانت توجد فيه الأرض، وأربع سنوات إضافية ليصل إلى ألفا بروكسيا، أقرب جار نجمي إلى سول.

كي يصل الضوء إلى الجانب الآخر من المجرة، ليصل إلى داماغران مثلًا، يتطلب وقتًا أطول: خمسمئة ألف سنة.

الرقم القياسي للسفر في رحلة لهذه المسافة هو أقل من خمس سنوات بقليل، لكنك لن تتمكّن من رؤية الكثير على الطريق.

يقول دليل المسافر إلى المجرة إنّه إن كانت رئتاك ممتلئتين بالهواء فستتمكن من النجاة في فراغ الفضاء لمدّة ثلاثين ثانية. ومع ذلك فهو يقول أيضًا إنّه بالنظر إلى حجم الفضاء الذي لا يتصوره العقل فإن فرصة أن يتم التقاطك بواسطة سفينة أخرى في هذه الثلاثين ثانية، هي واحد من اثنين للأس مئتين وستة وسبعين ألفًا وسبعمئة وتسعة.

بمصادفة مذهلة كلية، كان ذلك هو رقم هاتف شقّة في إيزلينغتون حيث ذهب آرثر في إحدى المرّات إلى حفل رائع والتقى بفتاة لطيفة جدًّا فشل تمامًا في التقرب منها، بل ذهبت مع ضيف غير مدعو.

على الرغم من أن كوكب الأرض، شقّة إيزلينغتون، والهاتف قد مرّت، فمن المريح معرفة أنه تم تخليدها على نحو محدود في ذاكرة، فقد تم إنقاذ فورد وآرثر بعد تسع وعشرين ثانية.

الفصل التاسع

دردش حاسوب مع نفسه بذعر مع ملاحظته أن المنصة فتحت وأغلقت نفسها من دون سبب واضح.

ذلك لأن سببًا كان خارجًا للغداء. ظهر ثقب في المجرة، كان تمامًا بطول لا شيء من الثانية، بعرض لا شيء من الإنش، وأكثر من مليون سنة ضوئية من طرف إلى طرف.

مع انغلاقه سقط كثير من بالونات الحفلات والقبعات الورقية خارجًا وطارت عبر الكون. فريق من سبعة محللين طول كل منهم ثلاث أقدام سقطوا منه وماتوا من الاختناق إلى حدٍ ما ومن المفاجأة.

مئتان وتسعة وثلاثون ألف بيضة مقلية بشكل خفيف سقطت منه أيضًا، وتجسدت بكومة هائلة متمايلة على أرض بوغريل التي أصابتها المجاعة في نظام بانسل.

قبيلة البوغريل ماتت كلها بسبب المجاعة، ما عدا رجلًا أخيرًا مات بالتسمم بالكوليسترول بعد بضعة أسابيع.

اللاشيء من الثانية الذي ظهر من أجله الثقب انعكس مرتدًا إلى الأمام والخلف عبر الزمن بأكثر الأشكال غير المحتملة. في مكان ما من الماضي السحيق تسبب بأذى خطير لمجموعة عشوائية صغيرة من الذرات كانت تنسحب عبر فراغ الفضاء العقيم فجعلها تتماسك مع بعضها بأكثر الأنماط غرابة واستثنائية، وتعلمت هذه الأنماط بسرعة كيف تنسخ بعضها (كان هذا جزءًا من الشيء الاستثنائي لهذه الأنماط) ومضت لتسبب مشكلات هائلة على كل كوكب سبحت إليه. هكذا بدأت الحياة في الكون.

خمس دوامات هوجاء كبيرة دارت بعواصف وحشية من اللامنطق ونتج عنها رصيف.

على الرصيف استلقى فورد بريفيكت وآرثر دينت يتخبطان كأسماك نصف حية.

قال فورد لاهثًا: «ها أنت ذا» وهو يخدش لموطئ إصبع على الرصيف المتسارع عبر الفهم الثالث للمجهول «أخبرتك أني سأفكر في شيء»

قال آرثر: «نعم بالتأكيد، بالتأكيد».

قال فورد: «كانت فكرتي أن أجد سفينة مارة وأن تنقذنا».

تثاقل الكون الحقيقي تحتهما على نحو مقزز للنفس، العديد من الأكوان غير الحقيقية طارت إلى جانبهما بصمت، مثل ماعز الجبل. تفجر ضوء بدائي مفتتًا المكان والزمان كأنهما قطعة من الجبن. ازدهر الوقت وتقلصت المادة، الرقم الرئيس الأعلى التأم بصمت في زاوية وأخفى نفسه إلى الأبد.

قال آرثر: «دعك من فكرتك، فاحتمالات فشلها كانت فلكية».

قال فورد: «لا تنتقدها، لقد نجحت».

مع تثاؤب فجوة الأبدية تحتهما سأل آرثر: «ما نوع السفينة التي نحن عليها».

قال فورد: «لا أعلم، لم أفتح عيني بعد».

قال آرثر: «ولا أنا».

قفز الكون، وتجمد، ثم اهتزّ وتمايل في اتجاهات عدة غير متوقعة.

فتح آرثر وفورد أعينهما ونظرا من حولهما بدهشة كبيرة.

قال آرثر: «يا إلهي، إنها تبدو مثل الواجهة البحرية في ساوث إيند».

قال فورد: «يا للهول، كم أنا مرتاح لسماعك تقول هذا».

- «لم؟»

- «لأنني ظننت أنني أصاب بالجنون»

- «ربما أنت تصاب بالجنون، ربما ظننتني قلتها».

فكر فورد في الأمر، وسأل: «حسنًا، هل قلتها أو لا؟»

قال آرثر: «أعتقد ذلك».

- «حسنًا، ربما قد جن جنوننا نحن الاثنين»

قال آرثر: «نعم، سنكون مجنونين لو اعتقدنا، نظرًا لكل ما حصل، أنّ هذه ساوث إيند».

- «حسنًا، هل تعتقد أنّ هذه ساوث إيند؟»

- «آه، نعم».

- «وأنا كذلك».

- «لذا لا بد أننا جننا».

- «ما ألطفه من يوم لذلك!»

قال مهووس عابر: «نعم».

سأل آرثر: «من هذا؟ هذا الرجل ذو الرؤوس الخمسة وشجيرة البيلسان الممتلئة بسمك السلمون؟»

- «نعم».

- «لا أعلم، أحدهم».

- «آه».

جلسا على الرصيف وراحا ينظران بقلق واضح إلى قفز الأطفال الضخام المتثاقل على طول الرمال، والأحصنة البرية التي رعدت عبر السماء وهي تأخذ كتلًا من الحواجز المدعمة إلى المناطق الغامضة.

قال آرثر مع كحة صغيرة: «إن كانت هذه ساوث إيند فإن فيها شيئًا غريبًا»...

قال فورد: «أتقصد كيفيّة بقاء البحر ثابتًا وأن الأبنية هي التي تضرب في الأعلى والأسفل؟» تابع آرثر: «نعم، اعتقدت أن ذلك غريب أيضًا، في الواقع»، عندها قسمت ساوث إيند نفسها بدوي قوي إلى ستة أجزاء متساوية راحت تتراقص وتلتف حول بعضها بحركات دائرية وعلى نحو بذيء وفاحش. «هناك شيء يحصل وهو غريب كليًا».

أصوات نحيب هائلة من المزامير والأوتار سفعت عبر الريح، ظهر كعك محلى ساخن على الطريق، سعر الواحدة عشرة بنسات، وثارت من السماء سمكة مروعة فقرر آرثر وفورد أن يلحقا بها.

خاضا عبر جدران الصوت الثقيلة، جبالًا من الأفكار القديمة، ووديانًا من موسيقا المزاج، وجلسات أحذية سيئة ومضارب حمقاء، وفجأة سمعا صوت فتاة.

كان صوتًا هادئًا وحساسًا، لكنه قال: «واحد من اثنين للأس مئة ألف، ويهبط». وكان ذلك كل شيء.

كبح فورد شعاع ضوء ودار حوله محاولًا إيجاد مصدر الصوت لكنه لم يستطع أن يجد شيئًا ليصدقه فعلًا.

صاح آرثر: «ما كان ذلك الصوت؟»

صرخ فورد: «لا أعلم، لا أعلم. يبدو أنه مقياس للاحتمالية».

«احتمالية؟ ماذا تقصد؟»

«احتمالية. كما تعلم، مثل أن تقول: اثنان لواحد، ثلاثة لواحد، أو أربعة من خمسة. قال الصوت واحد من اثنين للأس مئة ألف، وذلك احتمال ضعيف جدًّا كما تعلم».

وعاء قشطة بسعة مليون غالون قلب نفسه عليهما من دون سابق إنذار.

صاح آرثر: «لكن ماذا يعني ذلك؟»

- «ماذا، القشطة؟»

- «لا، مقياس الاحتمالية!»

- «لا أعرف، لا أعرف إطلاقًا. أعتقد أننا في سفينة فضائيّة من نوع ما».

قال آرثر: «يمكنني افتراض ذلك، هذه ليست مقصورة من الدرجة الممتازة».

ظهرت نتوءات وانتفاخات في بنية المكان والزمان، نتوءات وانتفاخات كبيرة وشنيعة.

قال آرثر: «آه..!». لما شعر بجسمه يلين ويلتوي باتجاهات غير اعتيادية. «يبدو أن ساوث إيند تذوب... يبدو أن النجوم تدخل في دوامة... تصحّر... ساقاي تنجرفان باتجاه المغيب... ذراعي اليسرى انفصلت أيضًا». باغتته فكرة مرعبة فقال: «يا للجحيم، كيف سأستخدم ساعتي الرقمية الآن؟» وأدار عينيه بيأس جهة فورد.

قال: «فورد، أنت تتحول إلى بطريق، توقف عن ذلك».

مرة أخرى سُمع الصوت.

«واحد من اثنين للأس خمسة وسبعين ألفًا ويهبط».

تهادى فورد حول بركته بدورة غاضبة.

صاح، مثل الطيور، قائلًا: «هيه، من أنت؟ أين أنت؟ ما الذي يحدث وهل توجد طريقة لإيقافه؟»

قال الصوت بلطف: «استرخ رجاءً». كأنه صوت مضيفة طيران في طائرة لم يتبق منها إلا جناح واحد ومحركان واحد منهما يشتعل، وتابع الصوت: «أنت بمأمن تام».

ثار فورد قائلًا: «لكن هذه ليست القضية، القضية هي أنني الآن بطريق آمن بشكل تام، وشريكي هنا يخسر أطرافه بسرعة».

قال آرثر: «لا بأس، لقد استعدتها الآن».

قال الصوت: «واحد من اثنين للأس خمسين ألفًا ويهبط».

قال آرثر: «أقر بأنها أطول مما كانت عليه سابقًا، لكن»...

صاح فورد بحدة غاضبة كالطيور: «ألا يوجد شيء تشعر بأنه عليك إخبارنا به؟»

عدل الصوت من نبرته. قطعة حلوى كبيرة راحت تتأرجح بعيدًا بعشوائية.

قال الصوت: «أهلًا بكما في سفينة قلب الذهب الفضائية».

تابع الصوت وقال: «يرجى عدم الانزعاج من أي شيء تريانه أو تسمعانه من حولكما. لا بد من أن تشعرا ببعض التأثيرات الأولية القاسية حيث إنّه تم إنقاذها من موت محتم على مستوى لااحتمالية هو واحد من اثنين للأس مئتين وستة وسبعين ألفًا، والأرجح أنه كان أعلى من ذلك. نحن الآن نطوف على مستوى واحد من اثنين للأس خمسة وعشرين ألفًا ويهبط، وسنعود إلى الوضع الطبيعي بمجرد أن نعرف ما هو الوضع الطبيعي في أي حال. شكرًا لكما، واحد من اثنين للأس عشرين ألفًا ويهبط».

انقطع الصوت.

كان فورد وآرثر في مهجع زهري مضيء.

كان فورد متحمسًا جدًا.

قال: «آرثر! هذا رائع! لقد التقطتنا سفينة مجهزة بمحرك لااحتمالية لامتناهية! هذا لا يصدّق! لقد سمعت شائعات عنها في السابق! لكن تم نفيها رسميًا، لا بد أنهم فعلوها! لقد بنوا محرك اللااحتمالية! آرثر إن هذا... آرثر؟ ما الذي يحصل؟»

ضغط آرثر نفسه على باب المهجع محاولًا إبقاءه مغلقًا، لكنه لم يكن يفلح في ذلك، أيدٍ فروية صغيرة كانت تحشر نفسها عبر الثقوب، وكانت أصابعها مبرقعة بالحبر، وأصوات صغيرة راحت تثرثر بجنون.

نظر آرثر وقال: «فورد، هنالك عدد لا محدود من القردة في الخارج تريد أن تتكلم معنا عن نص لهاملت[8] كانت قد أنجزته».

الفصل العاشر

يعد محرك اللااحتمالية اللامتناهية طريقة جديدة ورائعة لعبور مسافات كبيرة بين النجوم خلال لا شيء من الثانية، من دون كل ذلك اللّهو الممل في الفضاء متعدد الأبعاد.

تم اكتشافها عبر مصادفة محظوظة، وتم بعد ذلك تطويرها إلى شكل من أشكال الدفع المتحكم به عن طريق فريق أبحاث حكومة المجرة في داماغران.

هذه، بإيجاز، قصة اكتشافها.

مبدأ توليد كميات صغيرة من اللااحتمالية المحدودة ببساطة عن طريق وصل الدارات المنطقية لدماغ بامبل-وييني (٥٧) ساب-ميسن إلى مولد مستقيمات أوتوماتيكي متوقف في منتج حركة براوني قوي (لنَقْل كوب شاي ساخن ولطيف) كانت بالطبع مفهومة بشكلٍ جيّد، ومثل هذه المولدات كانت غالبًا تستخدم لكسر الثلج في الحفلات عن طريق جعل كل الجزيئات الموجودة في الثياب التحتية للمضيف تقفز في وقت واحد بمقدار قدم إلى اليسار، بالانسجام مع نظرية عدم التحديد.

العديد من الفيزيائيين المحترمين قالوا إنهم لن يدعموا كل هذا، جزئيًا بسبب أن ذلك كان تحقيرًا للعلم، لكن لسبب أكبر هو أنهم لم يكونوا يُدعَون وإلى ذلك النوع من الحفلات.

شيء آخر لم يكونوا يستطيعون تحمله هو الفشل المستمر الذي كانوا يواجهونه خلال محاولتهم بناء آلة تستطيع توليد حقول لااحتمالية لامتناهية أساسية لنقل السفينة الفضائية عبر مسافات، تسبب شللًا عقليًّا لمدى اتساعها، بين النجوم الأبعد، وفي النهاية أعلنوا متذمرين أن آلة كتلك كانت مستحيلة افتراضيًا.

عند ذلك، وفي أحد الأيام، وجد طالب، كان قد ترك لينظف المخبر بعد حفلة كانت بالتحديد فاشلة، نفسه يستنتج وفق الشكل التالي:

فكر في نفسه، لو أنّ آلة كهذه هي استحالة افتراضية، عندها يجب منطقيًا أن تكون لا احتمالية محدودة. إذًا كل ما عليَّ أن أفعله لصنع واحدة هو أن أكتشف بالضبط مدى عدم احتماليتها، وإدخال ذلك الناتج في مولد اللااحتمالية المحدودة، وإعطاؤها كوبًا من الشاي الحار... وتشغيلها.

فعل ذلك وروّعه اكتشاف أنه تمكّن من تشكيل مولد اللااحتمالية اللامحدودة الذهبي الذي طال انتظاره من العدم.

ما روّعه أكثر كان إعدامه من غير محاكمة، مباشرة بعد منحه جائزة المعهد المجرّي للذكاء الشديد، من قبل عصبة هائجة من الفيزيائيين المحترمين الذين أدركوا في النهاية أن الشيء الوحيد الذي لا يستطيعون تحمله هو التذاكي.

الفصل الحادي عشر

بدت قمرة التحكم المضادة لللاحتمالية الخاصّة بسفينة قلب الذهب كسفينة فضائيّة تقليدية بشكل تام ما عدا أنها كانت نظيفة بشكل كامل لكونها جديدة للغاية. لم يكن قد أزيل البلاستيك الذي تلف به مقاعد التحكم نهائيًا بعد. كانت القمرة بمعظمها بيضاء، مستطيلة الشكل وبحجم مطعم مصغر تقريبًا. في الواقع لم تكن مستطيلة بشكل تام، فالجداران الطويلان كانا منحنيين قليلًا بشكل متوازٍ، وكل الزوايا كانت مزيّنة بأشكال مثيرة ومكتنزة. في حقيقة الأمر كان يمكن للقمرة أن تكون أكثر بساطة بكثير وأكثر عملية لو تم بناؤها على شكل غرفة مستطيلة ثلاثية الأبعاد، لكن ذلك تسبب بالتعاسة للمصممين. في حالها بدت القمرة هادفة بشكل مثير، بشاشات فيديو عملاقة مصطفة على طول لوحات التحكم والقيادة على الحائط المقعر، وصفوف طويلة من الحواسيب كانت موضوعة على الحائط المحدب. في إحدى الزوايا جلس روبوت متحدبًا، رأسه المعدني الذي كان يومض من النظافة تدلى برخاوة بين ركبتيه المعدنيتين الوامضتين من النظافة. كان أيضًا جديدًا، لكن على الرغم من أنّه تم تصنيعه وتلميعه بشكل جميل إلا أنّ أجزاءه التي تشبه البشر بشكل أو بآخر بدت كأنها لا تتناسب بشكلٍ جيّد. في الواقع كانت متناسبة بشكل حسن إلا أنّ شيئًا في وقفته أعطى انطباعًا أنه كان من الممكن أن تتناسب بشكل أفضل.

راح زيفود بيبلبروكس يخطو في القمرة بعصبية جيئة وذهابًا، ماسحًا يديه فوق قطع من المعدات الوامضة وهو يقهقه.

جلست تريليان منحنية فوق كتلة من المعدات تقرأ الأرقام. كان صوتها ينقل عبر نظام المخاطبة العام.

قالت: «واحد من خمسة ويهبط... واحد من أربعة ويهبط... واحد من ثلاثة... اثنان... واحد... معامل الاحتمالية واحد من واحد... أصبحنا في الحالة الطبيعية، أكرر، أصبحنا في الحالة الطبيعية». أطفأت ميكروفونها وأعادت تشغيله، بابتسامة خفيفة تابعت: «أي شيء لا زلتما لا تستطيعان تحمله الآن هو مشكلتكما، الرجاء الاسترخاء، سيتم الإرسال في طلبكما قريبًا».

انفجر زيفود بامتعاض قائلًا: «من هما يا تريليان؟»

أدارت تريليان كرسيها لتواجهه ورفعت كتفيها بأنها لا تعرف.

قالت: «شابان يبدو أننا التقطناهما في الفضاء المفتوح، القطاع زد زد (٩) بلورال زد ألفا».

تذمر زيفود قائلًا: «حسنًا يا تريليان، تلك فكرة لطيفة، لكن هل تعتقدين أن ذلك حكيم في هذه الظروف؟ أقصد أننا هاربان وكل شيء، لا بد أن الشرطة من نصف المجرة تقوم بتتبعنا الآن، ونحن نتوقف لنقل مسافرين. حسنًا عشرة من عشرة للشكل، لكن ناقص بضع ملايين للتفكير السليم، أليس كذلك؟»

نقر بتوتر على لوحة تحكم، بصمت حركت تريليان يده بعيدًا قبل أن ينقر على شيء مهم.

مهما تضمنته قدرات زيفود العقليّة - الاندفاع، التبجح، الغرور - كان آليًا غير كفؤ ويمكنه بسهولة تدمير السفينة بإيماءة متطرفة. ذهبت تريليان للاعتقاد بأن السبب الرئيس لعيشه حياة جامحة وناجحة هو أنه لم يفهم قط أهميّة أي شيء يفعله.

قالت بصبر: «زيفود، لقد كانا يطوفان من دون حماية في الفضاء المفتوح... لم تكن لتريد أن يموتا، أليس كذلك؟»

- «حسنًا، تعلمين... لا. ليس كذلك، لكن»...

قالت تريليان وقد مالت برأسها جانبًا: «ليس كذلك؟ لا أن يموتا كذلك؟ لكن؟»

- «حسنًا، لربما التقطهما أحد آخر لاحقًا».

- «لو تأخرنا ثانية واحدة لكانا ميتين».

- «أجل، لو تكبدت عناء التفكير في المشكلة لوهلة لكانت قد حُلّت».

- «هل كان سيسعدك تركهما يموتان؟»

- «حسنًا، تعرفين، لن أكون سعيدًا بذلك، لكن»...

قالت تريليان وقد التفتت نحو المتحكمات: «في كل حال، أنا لم ألتقطهما».

- «ماذا تقصدين؟ من التقطهما إذًا؟»

- «السفينة التقطتهما».

- «هاه؟»

- «عندما كنا في محرك اللااحتمالية».

- «لكن ذلك لا يصدّق».

- «لا يا زيفود، لكنه غير محتمل كثيرًا».

- «آه، نعم».

قالت وهي تربت على ذراعه: «انظر يا زيفود، لا تخشَ الغرباء. إنهما شابان عاديان كما أتوقع. سأرسل الروبوت إلى الأسفل ليحضرهما إلى هنا. «هيه يا مارڤن!»

في الزاوية، ارتفع رأس الروبوت بنشاط، ومن ثم تمايل تدريجيًا. رفع نفسه على قدميه كأنه أثقل بخمسة باوندات من وزنه الحقيقي، وقام بما قد يظنه مراقب خارجي أنه مجهود بطولي ليعبر الغرفة. توقف أمام تريليان وبدا أنه يحدّق عبر كتفها الأيسر.

قال الروبوت: «أظن أنه ينبغي لك معرفة أنني أشعر بكآبة شديدة». كان صوته منخفضًا ويائسًا.

سقط زيفود على كرسي وهو يتمتم: «يا إلهي».

قالت تريليان بنبرة عطوف ومتفائلة: «حسنًا، عندي لك شيء تشغل به نفسك وعقلك».

دندن مارڤن: «لن يجدي نفعًا، لديَّ دماغ كبير بشكل استثنائي».

حذرته تريليان قائلة: «مارڤن!»

قال مارڤن: «حسنًا، ما الذي تريدينني أن أفعله؟»

«انزل إلى رصيف الدخول رقم اثنين واجلب الغريبين إلى هنا تحت المراقبة».

في أثناء توقف لم يتجاوز المايكرو ثانية، وبتعديل ميكروي محسوب على نحو ممتاز، على نغمة الصوت وحدته - ليس بالأمر الآثم في الواقع - تمكّن مارڤن من إيصال احتقاره التام واشمئزازه من كل الأشياء البشريّة.

قال: «فقط ذلك؟»

قالت تريليان بحزم: «نعم،»

قال مارڤن: «لن أستمتع بذلك،»

قفز زيفود من كرسيه وقال صارخًا: «إنها لا تطلب إليك الاستمتاع بذلك، فقط قم بالأمر من فضلك؟»

قال مارڤن بصوت أشبه بقرع جرس مكسور: «حسنًا، سأفعل ذلك».

قال زيفود بإيجاز: «جيد... عظيم... شكرًا لك»...

استدار مارڤن ورفع عينيه الحمراوين المثلثيتين المسطحتين باتجاهه وقال بحزن: «لن أنزلك إلى الأسفل أبدًا أليس كذلك؟»

أجابت تريليان بخفة: «لا لا يا مارڤن، ذلك كاف، صدقًا».

- «لم أرغب في أن أفكر أنني كنت سأنزلك إلى الأسفل».

تابعت تريليان: «لا، لا تقلق بشأن ذلك، تصرف على سجيتك وكل شيء سيكون على خير ما يرام».

جسَّ مارڤن قائلًا: «أمتأكدة أنك لا تمانعين؟»

ردّت تريليان: «لا لا مارڤن، لا ضير في ذلك بصدق... إنِّه جزء من الحياة».

لمح مارڤن زيفود بنظرة إلكترونية.

قال مارڤن: «الحياة، لا تكلميني عن الحياة».

استدار بيأس على عقبه وجر نفسه خارج القمرة. بترنيمة رضية ونقرة انغلق الباب خلفه.

دمدمت تريليان قائلة: «لا أظن أن بإمكاني احتال ذلك الروبوت أكثر من ذلك يا زيفود».

الموسوعة المجرّية تُعرّف الروبوت بأنه جهاز ميكانيكي تم تصميمه للقيام بعمل الإنسان. قسم التسويق في شركة سيريوس سايبرنيتيكس يعرف الروبوت بأنه «صديقك البلاستيكي الممتعة صحبته».

دليل المسافر إلى المجرة يُعرّف قسم التسويق في شركة سيريوس سايبرنيتيكس بأنه «مجموعة من الحمقى المجانين الذين سيكونون أول يلقى حتفه عندما تأتي الثورة» مع هامش ليظهر أن المحررين يقبلون الطلبات من أي شخص مهتم بملء شاغر وظيفة مراسل روبوتي.

ومن الغرابة بمكان أن نسخة من الموسوعة المجرّية كان لها حظ وافر أن تسقط عبر سدادة زمنية من ألف سنة في المستقبل تُعرّف قسم التسويق في شركة سيريوس سايبرنيتيكس بأنه «مجموعة من الحمقى المجانين الذين كانوا أول من لقي حتفه عندما أتت الثورة».

انطفأ المهجع الزهري من الوجود، وغارت القردة إلى بعد أفضل. وجد آرثر وفورد نفسيهما في منطقة الإنزال من السفينة، التي كانت أنيقة.

قال فورد: «أعتقد أنّ هذه السفينة جديدة كليًا»..

تساءل آرثر: «كيف يُمكنك معرفة ذلك؟ هل لديك جهاز غريب لقياس عمر المعدن؟»

«لا، لقد وجدت كتيب الشراء ملقى على الأرض، إنّه ممتلئ بعبارات مثل "يمكن للكون أن يكون ملكك". آه، انظر، كنت على صواب».

أشار فورد إلى إحدى الصفحات وأراها لآرثر.

«تقول: "اكتشاف جديد ومثير في فيزياء اللااحتمالية، بمجرد أن يصل محرك السفينة إلى اللااحتمالية اللامتناهية فإنها تعبر خلال كل نقطة في الكون. عسى أن تكون مثار حسد الحكومات الرئيسية الأخرى"، واو، هذه أمور غاية في العظمة».

راح فورد يتفحّص فرحًا عبر المواصفات التقنية للسفينة، لاهثًا من الدهشة في بعض الأحيان بسبب ما يقرؤه، لا بد أن تكنولوجيا الفضاء المجرّية قد تقدمت إبّان سنوات اغترابه.

استمع إليه آرثر لوهلة، ولكونه لم يستطع فهم السواد الأعظم مما كان يقوله فورد بدأ يسرح بمخيلته، ساحبًا أصابعه على طول حافة صف مبهم من الحواسيب، مد يده وضغط على زر أحمر كبير مغرٍ على لوحة قريبة. أضاءت اللوحة وقد كتب عليها رجاء لا تضغط هذا الزر مجددًا. فهزَّ نفسه.

قال فورد الذي كان لا يزال منهمكًا في قراءة كتيب الشراء: «اسمع، لقد طوروا نظم التحكم والاتصالات في السفينة بشكل كبير مستخدمين ميزة ش ن ح الجديدة».

قال آرثر: «ميزة ش ن ح؟ ما هي؟»؟

- «آه، إنها شخصيات الناس الحقيقية».

قال آرثر: «أوه، تبدو مروعة».

قال صوت من خلفهما: «إنها كذلك». كان الصوت ضعيفًا ويائسًا، مصحوبًا بصوت قعقعة خفيفة. التفتا إلى الخلف وشاهدا رجلًا معدنيًا ذليلًا يقف منحنيًا على المدخل.

قالا: «ماذا؟»

تابع مارڤن: «مروّعة، إنها كذلك تمامًا، مروّعة، لا تتكلما عنها، انظرا إلى هذا الباب». وخطا عبره، تدخلت دارات السخرية في معدلات صوته عندما راح يقلد أسلوب كتيب الشراء. «كل الأبواب في هذه السفينة لديها مزاج مرح ومشرق. من دواعي سرورها أن تنفتح لأجلك، ويرضيها أن تنغلق مجددًا عالمةً أن عملها تم على أكمل وجه».

مع انغلاق الباب خلفهما بدا واضحًا أن لديه خاصية الرضا في شكل تنهد فقال: «هم... آه!»

نظر إليه مارڤن باحتقار تام في حين راحت داراته المنطقية تزقزق باشمئزاز وتشغل نفسها بمفهوم توجيه عنف بدني ضدّ الباب، دارات أخرى تدخلت قائلة: «لم الإزعاج؟ ما الهدف؟ لا شيء يستحق التدخل فيه» دارات أخرى سلّت نفسها بتحليل الأجزاء الفردية للباب وخلايا الدماغ الآلي. ثانيةً وبسرعة قاست مستوى انبعاث الهيدروجين في الفرسخ النجمي المكعب المحيط ومن ثم انطفأت بضجر. مع دورانه، هزت نوبة من اليأس جسم الروبوت.

دندن قائلًا: «تعالا، لقد أمرت بأن أنزلكما إلى منصة ربان السفينة. ها أنا ذا، دماغي بحجم كوكب ويطلبون مني أن أنزلكما إلى منصة ربان السفينة، تسميان ذلك رضا في العمل؟ لأني لا أسميه كذلك».

استدار ومشى عائدًا إلى الباب المكروه.

قال فورد وهو يتبعه: «آه، معذرة، أي حكومة تمتلك هذه السفينة؟»

تجاهله مارڤن.

تمتم مارڤن: «شاهد هذا الباب، إنّه يوشك أن يُفتح من جديد، أستطيع معرفة ذلك من روح الأناقة المفرطة التي يولدها على حين غرة».

بطنّة صغيرة سارّة انزلق الباب منفتحًا من جديد وداس مارڤن عبره قائلًا: «هيا».

لحق به فورد وآرثر بسرعة وانغلق الباب مجددًا بطنّات ونقرات مسرورة.

قال مارڤن وقد مشى مجهدًا وبائسًا إلى الرواق المنحني واللامع الممتد أمامهم: «شكرًا لك يا قسم التسويق في شركة سيريوس سايبرنيتيكس. قالوا، فلنبن روبوتات بشخصيات أناس حقيقيين. وجربوها عليَّ، أنا أنموذج شخصيّة أصلي، تعرفان أليس كذلك؟»

دمدم فورد وآرثر ببعض الاستنكارات المرتبكة.

تابع مارڤن: «أنا أكره ذلك الباب، إنني لا أنزلكما على الإطلاق أليس كذلك؟»

بدأ فورد مجددًا: «أي حكومة»...

رد الروبوت بسرعة: «لا تملكها أي حكومة، إنها مسروقة».

- «مسروقة؟»

قلد مارڤن بسخرية: «مسروقة؟»

سأل فورد: «من سرقها؟»

«زيفود بيبلبروكس».

حصل شيء غريب لوجه فورد. خمسة تعابير على الأقل من الصدمة والذهول، مختلفة كليًا عن بعضها، تراكمت عليه بغير انتظام. رجله اليسرى التي كانت في منتصف الخطوة بدت كأنها تواجه صعوبة في إيجاد الأرض مجددًا. حدّق إلى الروبوت محاولًا تحريك بعض العضلات.

قال بوهن: «زيفود بيبلبروكس...؟»

قال مارڤن جارًا نفسه متغافلًا: «عذرًا، هل قلت شيئًا خطأً؟ اعذرني على تنفسي، الذي لا أقوم به في أي حال، لذا لا أعرف لماذا أتكبد عناء قول ذلك، يا إلهي، أنا مكتئب جدًا. هذا واحد آخر من تلك الأبواب الراضية بنفسها. الحياة، لا تكلمني عن الحياة».

دمدم آرثر بانزعاج: «لم يأت أحد على ذكرها، هل أنت على ما يرام يا فورد؟»

حدّق إليه فورد قائلًا: «هل قال الروبوت زيفود بيبلبروكس؟»

الفصل الثاني عشر

فاضت ضوضاء من الموسيقا الرديئة عبر قمرة قلب الذهب لما كان زيفود بيبلبروكس يبحث في نطاق موجات راديو السب- إيثا عن أخبار عنه، كان من الصعب تشغيل الآلة. لسنوات ظلت أجهزة الراديو تُشغّل عن طريق ضغط أزرار وتحريك أقراص مدرجة، ومع تطور التكنولوجيا أصبح التحكم حساسًا للّمس - تكاد تمسح اللوحات بأصابعك، الآن كل ما عليك فعله هو توجيه يدك بالاتجاه العام للمكونات وتأمل خيرًا. لقد وفر ذلك الكثير من الإنفاق العضلي بكل تأكيد، لكنه كان يعني أيضًا أن عليك أن تجلس ثابتًا بشكل مغيظ إن أردت أن تتابع الاستماع إلى البرنامج نفسه.

حرك زيفود ذراعًا وتغيرت المحطة من جديد. المزيد من الموسيقا الرديئة، لكن هذه المرّة كانت في خلفيّة إعلان إخباري. دائمًا ما كانت تجري تعديلات مكثفة على الأخبار لتناسب إيقاع الموسيقا.

قال صوت حاد: «... والأخبار تُقدم لكم هنا على تردد موجة سب-إيثا، نبث في كل أنحاء المجرة على مدار الساعة. وسنرحب ترحيبًا كبيرًا بالأشكال الذكية كافة من الحياة في كل مكان... وبالنسبة للآخرين، يكمن السر في ضرب الحجرين ببعضهما يا رفاق. وبالطبع فإن الخبر الأهم لهذه الليلة هو السرقة الممتازة لأنموذج السفينة التي تعمل بمحرك اللااحتمالية الجديد، التي نفذها الرئيس المجرّي زيفود بيبلبروكس شخصيًّا. والسؤال الذي يشغل الجميع هو... هل تحرك ز الكبير؟ بيلبروكس، الرجل الذي اخترع البان غالاكتك غارغل بلاستر، المحتال الواثق الأسبق، تم توصيفه من قبل إكسينتريكتا غالومبيتس بأنه أفضل ما حصل في الوجود، تم مؤخرًا التصويت له كأسوأ من ارتدى ملابس من المخلوقات الرقيقة في الكون المعروف للمرة السابعة... هل لديه إجابة هذه المرّة؟ سوف نسأل خبير العناية بالدماغ الخاص به غاغ هالفرنت»...

خفت صوت الموسيقا للحظة، وظهر صوت آخر، من المحتمل أنه هالفرنت. قال: «حسن، إن زيفود هو هذا الشخص كما تعلم؟» لكن لم يستطع الإكمال لأن قلم رصاص إلكترونيًا طار عبر القمرة إلى منطقة حساسية إطفاء وتشغيل الراديو. استدار زيفود وحملق في تريليان، كانت قد رمت القلم.

قال: «هيه، لم فعلت ذلك؟»

كانت تريليان تنقر بأصابعها على شاشة من الأرقام.

قالت: «لقد فكرت في شيء».

- «نعم، يستحق مقاطعة نشرة أخبار تتحدّث عني؟»

- «أنت تسمع الكثير عن نفسك بطبيعة الحال».

- «أنا غير واثق، نعرف ذلك».

- «هلا توقفنا عن الحديث عن غرورك لوهلة؟ هذا مهم».

- «إن كان هناك أي شيء أكثر أهميّة من غروري في المكان، أريد أن يُقبض عليه ويُرمى بالرصاص الآن». حملق زيفود بها مجددًا وضحك.

قالت: «اسمع، لقد التقطنا هذين الشابين».

- «أي شابين؟»

- «الشابان اللذان التقطناهما».

قال زيفود: «آه، نعم، هذان الشابان».

- «لقد التقطناهما في القطاع زز (٩) بلورال ز ألفا».

قال زيفود: «حسنًا؟» وطرفت عينه. قالت تريليان بهدوء: «ألا يعني ذلك شيئًا لك؟»

قال زيفود: «مممممم، زز(٩) بلورال ز ألفا. زز(٩) بلورال ز ألفا».

قالت تريليان: «إذًا؟»

قال زيفود: «إي-... ما الذي تعنيه ز؟»

- «أي واحدة؟»

- «أي واحدة».

إحدى الصعوبات الكبيرة التي عانتها تريليان في علاقتها مع زيفود هي التمييز بين كون الأخير يتظاهر بالغباء ليفاجئ الناس، أو كونه يتظاهر بالغباء لأنّه لا يريد أن يكابد مشقة التفكير، ويسعى إلى أحد أن يفكر عنه، أو التظاهر بالغباء المفرط ليخفي حقيقة أنه في الواقع لم يفهم ما يجري، وكونه غبيًا بشكل أصيل. لقد كان مشهورًا بذكائه المذهل الذي كان واضحًا عليه، لكن ليس كل الوقت، وهذا ما أقلقه على نحو واضح، لهذا السبب كان يتظاهر. لقد قدم نفسه للناس أنه مرتبك أكثر منه مُحتَقِر. هذا أكثر من أي شيء بدا لتريليان أنه غباء أصيل، لكنّها لم تكن تستطع تحمل الجدال حول ذلك.

تنهدت ونقرت خريطة نجوم على الشاشة حتى تُبسِط الأمر له، بغضّ النظر عن الأسباب التي دفعته إلى ذلك.

أشارت قائلة: «هناك، تمامًا».

قال زيفود: «هيه... أجل!»

قالت: «حسنًا؟»

- «حسنًا، ماذا؟»

أجزاء من داخل رأسها صرخت في أجزاء أخرى من داخل رأسها. قالت بهدوء كبير: «إنّه

القطاع نفسه الذي التقطتني منه بالأصل».

نظر إليها، ونظر في الشاشة مجددًا.

قال: «هيه، نعم، إن هذا جنوني. لا بد أننا اقتحمنا غمامة هورسهيد مباشرة. كيف اتفق لنا أن نكون هناك؟ أقصد أن ذلك هو اللامكان».

تجاهلت ذلك.

قالت بصبر: «محرك اللااحتمالية، لقد شرحت الأمر لي بنفسك. نعبر من خلال كل نقطة في الكون، أنت تعرف ذلك».

- «أجل، لكن تلك كانت مصادفة جنونية، أليس كذلك؟»

- «نعم».

- «التقاط أحدهم من تلك النقطة؟ بين كل الكون؟ إن ذلك... أريد أن أحل هذا اللغز. حاسوب!»

تحول حاسوب السفينة، الذي صممته شركة سيريوس سايبرنيتيكس الذي يتحكم بكل جزء من السفينة ويتخلله، إلى وضعية الاتصال.

قال ببهجة: «مرحبًا بكم!» مخرجًا شريط تيليغراف صغيرًا من أجل التسجيل. قال شريط التيليغراف، مرحبًا بكم!

قال زيفود: «يا إلهي، لم يكن قد عمل مع هذا الكمبيوتر منذ مدة طويلة، لكنه تعلم أن يشمئز منه.

تابع الحاسوب بمرح وسرور كأنه يبيع منظفات: «أريدك أن تعرف أنه مهما كانت مشكلتك، فأنا هنا لمساعدتك في حلّها».

قال زيفود: «نعم، نعم، انظر، أظن أنني سأستخدم قطعة ورقة فقط».

قال الحاسوب: «بالتأكيد»، ورمى برسالته في سلّة مهملات في الوقت نفسه وتابع: «أتفهم ذلك، إن حصل وأردت»...

قال زيفود: «اصمت!» خاطفًا قلم رصاص وجلس إلى جانب تريليان على المنصة.

قال الحاسوب بنبرة صوت مجروحة: «حسنًا، حسنًا» وأطفأ قناة كلامه مجددًا.

حدق زيفود وتريليان إلى الأرقام التي عرضها أمامها بصمت ماسح مسار رحلة اللااحتمالية.

قال زيفود: «هل نستطيع حساب، من وجهة نظرهما، ما كان مقدار لااحتمالية إنقاذهما؟»

قالت تريليان: «نعم، ذلك ثابت، واحد من أصل اثنين للأس مئتين وستة وسبعين ألفًا وسبعمئة وتسعة».

- «ذلك مرتفع، إنها محظوظان بحق».

- «نعم».

- «لكنه متناسب مع ما كنا نفعله عندما التقطتها السفينة»...

رفعت تريليان الأرقام، فعرضت اثنين للأس لا نهاية ناقص واحد (رقم لا منطقي له معنى معقول في فيزياء اللااحتمالية فقط).

تابع زيفود بصفير منخفض: «ذلك منخفض جدًا».

وافقته تريليان قائلة: «نعم» ونظرت إليه بسخرية.

- «تلك ضربة لاحتمالية أكبر من أن تُدعم. على شيء غير محتمل جدًّا أن يظهر في ورقة الموازنة إن كان لا بد لهذه المعضلة أن تخلص إلى نتيجة منطقية».

كتب زيفود بعض المجاميع، حذفها، ورمى القلم.

- «سحقًا، لا يمكنني حلّها».

- «حسنًا؟»

ضرب زيفود رأسيه ببعضهما بانزعاج وصرَّ على أسنانه.

قال: «حسنًا، حاسوب!» عادت دارات الصوت إلى الحياة مجددًا وقالت: «هيه، مرحبًا بكم!» (شريط التيليغراف، شريط التيليغراف). «كل ما أريد فعله هو أن أجعل يومك أفضل وأفضل وأفضل»...

- «نعم، اصمت إذًا ولتعمل على حل هذا الشيء لي».

زقزق الحاسوب: «بالتأكيد، تريد خطة احتمالية بناء على»...

- «بيانات لاحتمالية، نعم».

تابع الحاسوب: «حسنا، إليك فكرة مثيرة للاهتمام، هل تعلم أن حيوات معظم الناس محكومة بأرقام الهواتف؟»

زحفت نظرة انزعاج عبر وجه زيفود إلى الوجه الآخر.

قال: «هل انقلبت؟»

«لا، لكنك ستفعل عندما أخبرك أن»...

لهثت تريليان، ضغطت أزرار شاشة مسار طيران اللااحتمالية.

قالت: «رقم هاتف؟ هل قال ذلك الشيء رقم هاتف؟»

ظهرت الأرقام على الشاشة.

كان الحاسوب قد توقف مؤقتًا بتهذيب، لكنه تابع الآن.

- «ما كنت سأقوله هو»...

قالت تريليان: «لا تزعج نفسك رجاء».

قال زيفود: «انظري، ما هذا؟»

قالت تريليان: «لا أعرف، لكن هذين الغريبين في طريقهما إلى المنصة مع ذلك الروبوت البائس. هل نستطيع أن نلتقطهما على أي كاميرات مراقبة؟»

الفصل الثالث عشر

مشي مارڤن بتثاقل في الرواق، وهو لا يزال ينوح.

«وعند ذلك بالطبع أصبت بهذا الألم الفظيع في أنصاف النواقل خاصتي كافة في جزئي الأيسر»...

قال آرثر بتجهم وهو يمشي إلى جانبه: «لا؟ حقًّا؟»

قال مارڤن: «آه، نعم، لقد طلبت أن يبدلوها لي، لكن لا أحد يستمع إليَّ على الإطلاق».

«أستطيع تخيل ذلك». صفير وهمهمة مبهمة أتت من فورد الذي كان يقول لنفسه: «حسنًا، جيد جدًّا... زيفود بيبليروكس»...

فجأة توقف مارڤن ورفع يدًا.

- «تعرف ما الذي حصل الآن بالطبع؟»

قال آرثر الذي لم يرد أن يعرف: «لا، ماذا؟»

- «لقد وصلنا إلى أحد تلك الأبواب».

كان هنالك باب منزلق يقود إلى جانب من الرواق، عاينه مارڤن بارتياب.

قال فورد بنفاد صبر: «حسنًا؟ أندخل؟»

قلده مارڤن ساخرًا: «أندخل؟ نعم هذا هو المدخل إلى المنصة، لقد أُمرت أن آخذكما إلى المنصة. ربما كان أعقد طلب يطلب من قدراتي العقليّة لهذا اليوم إن لم أكن مخطئًا».

ببطء، واشمئزاز كبير، تقدم باتجاه الباب، كصياد يتبع طريدته. فجأة انفتح الباب.

قال: «شكرًا لك، لجعلك بابًا بسيطًا غاية في السرور».

انطحنت التروس عميقًا في صدر مارڤن.

رتل جنائزيًا قائلًا: «من المضحك كيف أنك عندما تظن أن الحياة لا يمكن أن تكون أكثر سوءًا تصبح أسوأ».

رمى نفسه عبر الباب وترك فورد وآرثر يحدقان بعضهما ويهزان بكتفيهما. سمعا صوت مارڤن مجددًا من الداخل.

قال: «أظن أنكما تريدان رؤية الغرباء الآن، هل تريدانني أن أجلس في الزاوية وأصدأ، أو أتداعى حيث أقف؟»

أتى صوت آخر يقول: «نعم، أدخلهما فقط من فضلك يا مارڤن».

نظر آرثر إلى فورد وكان مذهولًا لرؤيته يضحك.

- «ما الذي...؟»

قال فورد: «صه، ادخل».

خطا عبر الباب إلى المنصة.

تبعه آرثر بقلق وكان مدهوشًا لرؤية رجل يجلس بتكاسل على كرسي رافعًا رجليه على منصة التحكم وهو ينظف أسنان رأسه الأيمن بيده اليسرى. بدا رأسه الأيمن مأخوذًا كليًا بهذه المهمة. لكن الأيسر كان يبتسم ابتسامة عريضة، مرتاحة ولا مبالية. كان عدد الأشياء التي لم يكن آرثر يصدّق أنه يراها كبيرًا على نحو كافٍ. ارتخى فكه لوهلة.

لوح الرجل الغريب تلويحة كسلى لفورد، وتظاهر على نحو مروع بعدم المبالاة وقال: «فورد، مرحبًا، كيف حالك؟ مسرور لتمكنك من النزول هنا».

لم يكن فورد ليسمح بأن يعامل بازدراء.

قال متشدقًا: «زيفود، من الرائع رؤيتك، تبدو جيدًا، الذراع الإضافية تناسبك، جميلة هذه السفينة التي سرقتها».

حملق آرثر به.

قال وهو يشير إلى زيفود بغرابة: «أتقصد أنك تعرف هذا الشخص؟»

هتف فورد: «أعرفه! إنّه»... توقف هنيهة وقرر أن يقوم بالتقديم على نحو مختلف.

قال: «أوه، زيفود، هذا صديقي، آرثر دينت، أنقذته عندما انفجر كوكبه».

قال زيفود: «آه، بالتأكيد، مرحبًا آرثر، تسرني نجاتك» نظر رأسه الأيمن مصادفة وقال «مرحبًا» وعاد إلى تنظيف أسنانه.

تابع فورد قائلًا: «ويا آرثر، هذا نصف-قريبي زيفود بيب»...

قال آرثر بحدة: «لقد تقابلنا».

حينما تكون مسافرًا على الطريق السريع، مارًا بتكاسل إلى جانب سيارات صعبة القيادة، شاعرًا بالرضا عن نفسك، وتقوم عن طريق الخطأ بإنزال السرعة من أربعة إلى واحد عوضًا عن ثلاثة، جاعلًا محركك يقفز من غطائك مسببًا فوضى مروعة، إن ذلك يتسبب برميك خارج سروالك بالطريقة نفسها التي رمت فيها تلك الملاحظة فورد بريفيكت من سرواله.

- «إي-... ماذا؟»

- «قلت إننا تقابلنا».

تحرك زيفود قليلًا بسبب المفاجأة وعض على علكة بحدة.

«هيه... إي-...، حقًّا؟ هيه... إي-»...

استدار فورد نحو آرثر بنظرة غضب في عينيه. والآن بعد أن أحسّ بأنه عاد إلى أرض الوطن بدأ يشعر بالاستياء لأنّه أعاق نفسه بهذا البدائي الجاهل الذي كان يعلم عن العلاقات في المجرة بقدر ما كانت بعوضة من إيلفورد تعرف عن الحياة في بيكينغ.

تساءل قائلًا: «ما الذي تقصده بأنكما تقابلتما؟ هذا زيفود بيبلبروكس من بيتلجوس الخامس كما تعلم، وليس مارتن سميث اللعين من كرويدون».

قال آرثر ببرود: «لا أهتم، لقد تقابلنا، أليس كذلك يا زيفود بيبلبروكس، أم عليَّ أن أقول... فيل؟»

صاح فورد: «ماذا!»

قال زيفود: «عليك تذكيري، ذاكرتي سيئة بحفظ الأجناس».

تابع آرثر: «كان ذلك في حفلة».

قال زيفود: «حسنًا، أشك في ذلك».

طالبه فورد قائلًا: «اهدأ من فضلك يا آرثر!»

لن يتم ردع آرثر. «حفلة منذ ستة أشهر. على الأرض... إنكلترا»...

هر زيفود رأسه بابتسامة خفيفة.

أصر آرثر قائلًا: «لندن، إيزلينغتن».

قال زيفود وقد بدا مذنبًا: «آه، تلك الحفلة».

لم يكن ذلك جميلًا لفورد على الإطلاق. نظر إلى الأمام والخلف بين زيفود وآرثر. قال لزيفود: «ماذا؟ أنت لا تقصد القول إنك كنت أيضًا على ذلك الكوكب التعس أليس كذلك؟»

قال زيفود بابتهاج: «بالتأكيد لا، حسنًا، قد أكون نزلت لوهلة، كما تعلم، في طريقي إلى مكان ما»...

- «لكني كنت عالقًا هناك لخمسة عشر عامًا!»

- «حسنًا، ليس لي علم بذلك، هل لي؟»

- «لكن، ما الذي كنت تفعله هناك؟»

- «أعاين المكان كا تعلم».

أصر آرثر وهو يهتز من الغضب وقال: «لقد تطفل على حفلة، حفلة تنكرية»...

قال فورد: «لا بد أنها كانت كذلك، أم ماذا؟»

أصر آرثر قائلًا: «كانت هنالك فتاة في تلك الحفلة، اسمع، لا يهم الأمر الآن، لقد تلاشى المكان كله مع الدخان في كل حال»...

قال فورد: «أتمنى أن تتوقف عن الحزن على ذلك الكوكب اللعين، من كانت تلك السيدة؟»

- «إحداهن. حسنًا لم أكن أبلي بلاءً حسنًا معها، لقد كنت أحاول طوال السهرة. يا للهول، كانت مميزة. جميلة، فاتنة، ذكية على نحو مرعب، في النهاية تمكنت منها لوهلة وحادثتها بثبات قليلًا عندما أقحم صديقك هذا نفسه قائلًا: «هيه يا حلوة، هل يضجرك هذا الشاب؟ لم لا تتكلمين معي عوضًا عنه؟ أنا من كوكب مختلف. لم أرها مجددًا».

هتف فورد: «زيفود؟»

قال آرثر وهو يحدقه محاولًا ألا يشعر بالحمق: «نعم، كان لديه ذراعان فقط ورأس واحد، وكان يدعو نفسه فيل، لكن»...

قالت تريليان وهي تدخل المكان في الجانب الآخر من المنصة: «لكن عليك الاعتراف بأنه كان من كوكب آخر». ابتسمت لآرثر ابتسامة لطيفة استقرت عليه كطن من القرميد، ومن ثم أدارت انتباهها إلى متحكمات السفينة من جديد.

كان هنالك صمت لثوان عدة، وبعدها تسلقت بعض الكلمات من دماغ آرثر الممتلئ بالفوضى.

«تريشيا ماك ميلان؟ ما الذي تفعلينه هنا؟»

قالت: «مثل ما تفعله أنت، لقد استقللت رحلة. لديَّ شهادة في الرياضيات وأخرى في فيزياء الفضاء ثم ماذا؟ ما الذي يمكن فعله هناك؟ كان الخيار إما هذا وإما الانتظار في طابور المعونات يوم الاثنين».

همهم الحاسوب: «لا نهاية ناقص واحد، اكتمل حساب اللااحتمالية».

نظر زيفود حوله، إلى فورد، إلى آرثر، ومن ثم إلى تريليان.

قال: «تريليان، هل سيحدث هذا الشيء في كلّ مرّة نستخدم فيها محرك اللااحتمالية؟»

قالت: «احتمال كبير، يا للأسف».

الفصل الرابع عشر

سرحت سفينة قلب الذهب بصمت عبر ليل الفضاء، الآن عن طريق محرك فوتوني تقليدي. بطاقمها المكون من أربعة أشخاص مربكين لعلمهم أنهم لم يجتمعوا معًا بمحض إرادتهم أو من قبيل مصادفة بسيطة، بل بوساطة مبدأ فيزيائي غريب، وكأن العلاقات بين الناس عرضة للقوانين نفسها التي كانت تحكم علاقات الذرات والجزيئات.

مع حلول ليل السفينة الاصطناعي كان كل واحد منهم يشعر بالامتنان لانعزاله في قمرة منفصلة في محاولة لعقلنة أفكاره.

لم تتمكّن تريليان من النوم، جلست على أريكة وحدقت إلى قفص صغير يحتوي على صلتها الأخيرة والوحيدة بالأرض، فأرين أبيضين كانت أصرت أن يسمح لها زيفود بجلبها. كانت قد توقعت أنها لن ترى الكوكب مجددًا، لكن ردة فعلها السلبية تجاه تدمير الكوكب قد أزعجتها. بدا الكوكب بعيدًا وغير حقيقي ولم تستطع أن تجد أي أفكار لتفكر فيه. شاهدت الفأرين يعدوان في القفص ويركضان بنشاط في دولاب المشي البلاستيكي الصغير حتى استحوذا على كامل انتباهها. هزت نفسها فجأة وعادت إلى المنصة لتراقب الأضواء الصغيرة اللامعة والأشكال التي حددت تقدم السفينة في الفراغ. كانت تتمنى لو تعلم ما الذي تحاول ألا تفكر فيه.

لم يستطع زيفود النوم. هو أيضًا تمنى لو يعرف الشيء الذي لم يكن يسمح لنفسه التفكير فيه. لردح طويل من الزمن لازمه شعور بضيق غامض لعدم قدرته على التركيز. كان قادرة على تجنب هذه الفكرة وعدم القلق منها في معظم الوقت، لكن عودة فورد بريفيكت وآرثر دينت المفاجئة والعصية على الفهم أيقظت هذه الفكرة من جديد، بدت عودتها لسبب ما متجانسة مع نتائج لم يتمكّن من رؤيتها.

لم يتمكّن فورد من النوم، فلقد كان لعودته إلى مكانه الطبيعي تأثير بالغ فيه. في الوقت الذي بدأ فيه يفقد الأمل، انتهى سجن عملي دام مدة خمسة عشر عامًا. وعلى الرغم من وجود شيء غريب في نصف قريبه لم يتمكّن من تحديده بعد، إلا أنّ تمضية بعض الوقت مع زيفود سيكون مسليًا جدًّا، كان من المدهش بحق توليه رئاسة المجرة والطريقة التي ترك فيها هذا المنصب. هل ثمّة سبب وراء ذلك؟ لم يبد أن لدى زيفود سببًا لأي شيء فعله، لذا لم تكن ترتجي منفعة من سؤاله: لقد تحول من شكل يتعذّر فهمه إلى شكل فني. فهاجم كل شيء في الحياة بمزيج من الذكاء الاستثنائي والعجز الهش، فكان غالبًا يصعب التمييز بين الحالتين.

نام آرثر: لقد كان متعبًا بشدة.

كان هنالك نقر على باب زيفود فانفتح.

- «زيفود...؟»

- «نعم؟»

وقفت تريليان مرسومة في بقعة من الضوء.

- «أعتقد أننا وجدنا ما كنت تبحث عنه».

- «هيه، حقًّا؟»

أقلع فورد عن محاولته النوم، في زاوية قمرته يوجد حاسوب صغير مع لوحة مفاتيح. شغله لوهلة وحاول تأليف مدخل جديد للدليل عن موضوع الڤوغونيين لكنه لم يتوصل إلى شيء لاذع بشكل كافٍ فأقلع عن ذلك أيضًا، فلفّ ثوبًا حول نفسه وخرج يتمشى على المنصة.

مع دخوله المكان فوجئ بوجود شخصين منحنيين بنشاط فوق الآلات.

كانت تريليان تقول: «أترى؟ إن السفينة توشك أن تدخل في مدار، هناك كوكب في الخارج، إنها الإحداثيات نفسها التي توقعتها».

نظر زيفود إلى الأعلى بعد أن سمع ضوضاء وهسهس قائلًا: «فورد؟ تعال وانظر إلى هذا».

اقترب فورد ونظر، كانت سلسلة من الأرقام والأشكال تضيء على الشاشة.

قال زيفود: «هل تميز هذه الإحداثيات المجرّية؟»

- «لا».

- «سأعطيك لمحة، حاسوب!»

قال الحاسوب متحمسًا: «مرحبًا يا عصبة! إن الأمر يزداد اجتماعية أليس كذلك؟»

قال زيفود: «اخرس، وأظهر الشاشات».

اختفى الضوء عن المنصة، إضاءة دقيقة، تحركت عبر اللوحات وانعكست على أربعة أزواج من العيون التي كانت تحدق إلى شاشات المراقبة الخارجية.

لم يوجد فيها أي شيء على الإطلاق.

همس زيفود: «هل تميز ذلك؟»

عبس فورد وقال: «إي، لا».

- «ما الذي تراه؟»

- «لا شيء».

- «هل تميزه؟»

- «ما الذي تتحدّث عنه؟»

- «نحن في غمامة هورسهيد، غيمة وحيدة واسعة ومظلمة».

- «وكان عليَّ أن أميز ذلك من شاشة فارغة؟»

- «المكان الوحيد في المجرة الذي ترى فيه شاشة داكنة هو داخل غمامة مظلمة».

- «جيد جدًّا».

ضحك زيفود، كان مهتاجًا كثيرًا بسبب شيء ما، حتى كاد يبدو طفلًا.

- «هيه، هذا حقًّا رائع، هذا أكثر من اللازم».

قال فورد: «ما الرائع بكوننا عالقين في غمامة من الغبار؟»

استحثه زيفود قائلًا: «ما الذي تقدر أن تجده هنا؟»

- «لا شيء»

- «لا نجوم؟ لا كواكب؟»

- «لا».

صاح زيفود: «حاسوب! أدر زاوية الرؤية عبر واحد وثمانين درجة ولا تعلق على الموضوع!»

لوهلة لم يبد أن شيئًا يحصل، لكن عند ذلك توهجت إضاءة على حافة الشاشة الكبيرة. زحف نجم أحمر بحجم طبق عبر الشاشة يلحقه بسرعة نجم آخر، نظام ثنائي. بعد ذلك انزلق هلال وسيع إلى زاوية الصورة، وهج أحمر يتظلل عبر السواد القاتم، الجانب الليلي من الكوكب.

صاح زيفود وهو يضرب اللوحة: «لقد وجدته! وجدته!»

حدق فورد بذهول وقال: «ما هو؟»

قال زيفود: «ذلك... هو أكثر كوكب لا احتمالي في الوجود».

الفصل الخامس عشر

(اقتباس من دليل المسافر إلى المجرة، الصفحة ٦٣٤٧٨٤، القسم ٥أ، المادة: ماغراثيا)

بعيدة في ضباب الزمن الغابر، كانت الحياة جامحة، غنية وعلى نحو واسع من دون ضرائب في الأيام المجيدة والعظيمة للإمبراطورية المجرّية السابقة. سفن فضاء مهيبة استخدمت مسالكها بين الشموس الغريبة باحثة عن المغامرة والمكافأة وسط الأطراف البعيدة للفضاء المجرّي. كانت الأرواح في تلك الأيام شجاعة، والجوائز هائلة، كان الرجال رجالًا بحق، والنسوة كن نسوة بحق، وكانت المخلوقات الصغيرة المكسوة بالفراء من ألفا سينتاوري مخلوقات صغيرة مكسوة بالفراء من ألفا سينتاوري بحق. كان الجميع جريئًا لتحدي الأهوال الغريبة، للقيام بمآثر عظيمة، لتمزيق المصادر التي لم يمزقها أحد من قبل بجسارة، وهكذا تشكلت الإمبراطورية.

وبطبيعة الحال فقد أصبح العديد من الرجال أغنياء على نحو فاحش، لكن ذلك لم يكن شيئًا معيبًا لأنّه لم يوجد أحد فقير حقًّا، في الأقل لا أحد يستحق الذكر. فتحتم للحياة أن تصبح مملة ومزعجة للتجار الأنجح والأغني، فبدؤوا يتصورون أن ذلك الخطأ يقع على عاتق العوالم التي استقروا فيها حيث إن لا أحد من هذه العوالم كان مرضيًا بشكل كامل، فإما أن الطقس لم يكن جيدًا في القسم الأخير من بعد الظهر، وإما أن اليوم كان طويلًا أكثر من اللازم لنصف ساعة، وإما أن لون البحر كان الدرجة الخطأ من اللون الزهري.

وهكذا تشكلت الشروط لصناعة تخصصية جديدة ومذهلة: بناء كواكب الرفاهية حسب الطلب. كان كوكب ماغراثيا موطن هذه الصناعة حيث قام مهندسو الفضاء الفوقي بامتصاص المادة من ثقوب بيض في الفضاء ليشكلوا بها كواكب الأحلام - كواكب ذهبية، كواكب بلاتينية، كواكب المطاط الناعم ذات الهزات الأرضية الكثيرة - وكلها مصنوعة بمحبة لتلاقي طموحات وتوقعات أغنى رجال المجرة بدقة.

لكن هذه المغامرة كانت ناجحة إلى درجة أن ماغراثيا أصبح أغني كوكب على مر الزمن وانحدرت بقية المجرة إلى فقر مدقع. فانهار النظام، وتحطمت الإمبراطورية، وأرخى صمت كئيب بظلاله على مليار من العوالم، صمت لا يعكره إلا صوت خربشة أقلام العلماء وهم يعملون في الليل على معاهدات صغيرة وأنيقة عن أهميّة الاقتصاد السياسي المُخطط له.

كوكب ماغراثيا نفسه اختفى وانتقلت ذكراه إلى غموض الأساطير.

في هذه الأيام، ذات التنوير المعرفي، لا أحد يصدّق عنه شيئًا.

الفصل السادس عشر

استيقظ آرثر على صوت جدال واتجه إلى المنصة. كان فورد يلوح بذراعيه.

كان يقول: «أنت مجنون يا زيفود، ماغراثيا أسطورة، قصة خياليّة، إنها ما يتلوه الأهل على أطفالهم في المساء إن أرادوهم أن يكبروا ليصبحوا علماء اقتصاد، إنها»...

أصر زيفود قائلًا: «ونحن ندور في مداره الآن».

قال فورد: «اسمع، لست متأكدًا من الشيء الذي تدور أنت شخصيًّا في مداره، لكن هذه السفينة»...

صاح زيفود: «حاسوب!»

- «آه، لا»...

- «مرحبًا بكم! معكم إيدي حاسوب سفينتكم، وأنا في أحسن أحوالي يا رفاق، أعلم أني سأتعرض إلى بعض المضايقات من أي برنامج يهمكم تشغيله من خلالي».

نظر آرثر إلى تريليان متسائلًا فأشارت إليه الأخيرة لينضم لكن بصمت.

قال زيفود: «أخبرنا مجددًا يا حاسوب، ما هو مسارنا الحالي»..

ثرثر الحاسوب قائلًا: «من دواعي سروري يا صاح، نحن الآن في مدار وعلى ارتفاع ثلاثمئة ميل حول كوكب ماغراثيا الأسطوري».

قال فورد: «وهذا لا يثبت أي شيء، لن أثق بذلك الحاسوب في حساب وزني».

قال الحاسوب متحمسًا ومخرجًا المزيد من الأشرطة: «يمكنني فعل ذلك بالتأكيد، يمكنني أيضًا حساب مشكلاتك الشخصية حتى نسبة واحد من عشرة مليارات إن كان في ذلك نفع».

قاطعت تريليان قائلة: «زيفود، سننتقل في أي لحظة الآن إلى الجانب النهاري من هذا الكوكب، وأضافت: «أيًا يكن هذا الكوكب»..

- «هيه، ما الذي تقصدينه بذلك، إن الكوكب موجود حيث توقعته، أليس كذلك؟»

- «نعم، أعلم أن هنالك كوكبًا، لست أجادل أي أحد، لكني لا أستطيع تمييز مارغراثيا عن أي حجر آخر، الفجر قادم إن أردته».

تتم زيفود قائلًا: «حسنًا، حسنًا، دعونا على الأقل نمتع أنظارنا. حاسوب!»

- «مرحبًا بكم! ما الذي أستطي-»...

- «اخرس واعرض لنا منظرًا للكوكب من جديد».

ملأت الشاشة من جديد كتلة داكنة غير واضحة المعالم، وراح الكوكب يدور من تحتهم.

لوهلة راقبوا بصمت، لكن زيفود كان مهتاجًا وقلقًا في الوقت نفسه. قال بصوت خافت: «نحن نجتاز الجانب الليلي»... وتابع الكوكب حركته.

تابع قائلًا: «سطح الكوكب تحتنا على ارتفاع ثلاثمئة قدم»... كان يحاول استعادة الإحساس بالاحتفال لما شعر أنه لحظة عظيمة. ماغراثيا! كان قد جُرح كبرياؤه برد فعل فورد الشاك. ماغراثيا! قال متابعًا: «في بضع ثوان، سنرى... هناك!»

عبرّت اللحظة عن نفسها، لم يكن لأكثر مسافري النجوم نضجًا إلا أن يرتجف لرؤية تسلسل شروق الشمس الرائع من الفضاء، لكن شروق الشمس الثنائي هو إحدى معجزات المجرة.

نقطة ضوء شديد السطوع اخترقت السواد الكالح، ارتفعت لدرجات قليلة ومن ثم تمددت على الجانبين في شكل حافة هلال رقيقة، وفي غضون ثوان ظهرت شمسان، أتونان من الضوء كانا يسفعان الحافة السوداء من الأفق بنار بيضاء. تحتهما كانت رماح الألوان القوية تتخطط الغلاف الجوي الرقيق.

تنفس زيفود قائلًا: «نيران الفجر... شمسا سوليانيس ورام التوءم...!»

قال فورد بهدوء: «أو أي شيء»

أصر زيفود قائلًا: «سوليانيس ورام!»

التهبت الشمسان في الفضاء وعبرت المنصة موسيقا مخيفة: كان مارڤن يدندن بسخرية لأنّه كان يكره المخلوقات الحية كثيرًا.

التهبت مشاعر الإثارة في داخل فورد وهو يحدّق إلى مشهد الضوء أمامهم، لكنّها كانت مشاعر إثارة لرؤية كوكب جديد، كان يكفيه رؤية كوكب جديد بغضّ النظر عما هو. كان يزعجه أن يفرض زيفود خيالات مضحكة على المشهد لجعله مناسبًا له، فكل هذا الهراء حول ماغراثيا بدا صبيانيًا. ألا تكفي رؤية أن حديقة ما جميلة من دون الاضطرار إلى الاعتقاد بوجود جنيات في أسفلها أيضًا؟

كل ما ذكر عن ماغراثيا بدا مبهرًا لآرثر، فاقترب من تريليان وسألها عما كان يجري.

همست قائلة: «لا أعلم إلا ما أخبرني به زيفود، على ما يبدو فإن ماغراثيا هو أسطورة قديمة إلى درجة أن لا أحد يصدّق وجوده، تقريبًا مثل أطلنطا على الأرض، إلا أنّ الأساطير تقول أن الماغراثيين كانوا يصنعون الكواكب».

نظر آرثر إلى الشاشات وشعر بأنه يفتقد إلى شيء مهم، وبسرعة أدرك ماهية ذلك الشيء.

تساءل قائلًا: «هل يوجد شاي على هذه السفينة الفضائية؟»

راح الكوكب يتكشف تحتهم رويدًا رويدًا في حين راحت قلب الذهب تندفع على طول مدارها.

ارتفعت الشمسان عاليًا في السماء السوداء، وانتهت إثارة الفجر، فبدا سطح الكوكب منفّرًا وكئيبًا في ضوء النهار المبتذل - رماديًّا، مغبرًا، ومحددًا بشكل باهت، كان باردًا وقاحلًا كسرداب. كانت تظهر بعض الأشكال الواعدة في الأفق البعيد من حين إلى آخر - وديان صغيرة، ربما جبال، أو حتى مدن - لكن مع اقترابهم كانت التفاصيل تتلاشى إلى أشكال مبهمة وغير معروفة. مع مرور الوقت كان سطح الكوكب يصبح ضبابيًا بفعل تحركات ضئيلة للهواء الرقيق والراكد الذي زحف على سطح الكوكب لقرون وقرون.

من الواضح أنه كان قديمًا جدًّا جدًّا.

مع مراقبته للمنظر الرمادي يمرّ تحتهم، راودت فورد لحظة من الشك، لقد أقلقه اتساع الوقت، كان يستشعر حضوره، فبلع ريقه.

- «حسنًا، حتى لو افترضنا أنه هو»...

قال زيفود: «إنّه هو».

تابع فورد: «مع أنه ليس هو، ما الذي تريده منه في كل حال؟ لا يوجد شيء هناك».

ع قال زيفود: «ليس على السطح».

- «حسنًا، لنفترض أنه يوجد شيء، أعتقد أنك لست هنا لمجرد البحث عن الآثار الصناعية للكوكب، فيها الذي تبغيه؟»

واحد من رأسي زيفود نظر بعيدًا، والآخر نظر حوله ليرى ما الذي ينظر إليه الأول، لكنه لم يكن ينظر إلى أي شيء تحديدًا.

قال زيفود بمرح: «حسن، جزء من الأمر فضول، وجزء منه حس مغامرة، لكن بشكل أساسي أظن أنه بسبب المال والشهرة»...

رمقه فورد بحدة، كان لديه انطباع قوي بأن زيفود لا يملك أدنى فكرة عن سبب وجوده هنا إطلاقًا.

قالت تريليان وهي ترتجف: «أنت تعرف أنني لا أحب مظهر ذلك الكوكب إطلاقًا».

قال زيفود: «آه، لا تشغلي بالك، يمكن له أن يبدو رثًّا، فنصف ثروة الإمبراطورية المجرّية السابقة مخزنة داخله في مكان ما».

فكر فورد، هراء. حتى بافتراض أنّ هذا كان موطن حضارة قديمة استحالت غبارًا، حتى بافتراض عدد الأشياء الغريبة للغاية، لم يكن من الممكن أن تكون كنوز الثروة الطائلة مخزنة هناك بأي شكل له معنى وقيمة الآن. استهجن فورد الأمر قائلًا: «أظن أنه مجرد كوكب ميت».

قال آرثر بنكد: «هذا التشويق يقتلني».

في كل أجزاء المجرة كان الضغط والتوتر العصبي يعدان مشكلتين اجتماعيتين خطرتين، فمن أجل ألا يتفاقم الوضع أكثر سيتم الكشف عن الحقائق التالية.

الكوكب الذي يدور النقاش حوله هو في الحقيقة كوكب ماغراثيا الأسطوري.

قريبًا، سيتم إطلاق هجوم صاروخي مميت بوساطة نظام دفاع أوتوماتيكي قديم، يكاد يتسبب بكسر ثلاثة أكواب قهوة وقفص فئران، وسيخدش اليد العلوية لأحدهم، وسيخلق بشكل مبكر، ويفني على نحو مفاجئ صحنًا من البطونيّة وحوت عنبر جاهلًا.

من أجل الاحتفاظ ببعض من حس الغموض لن يتم الكشف عن صاحب اليد العلوية التي ستعاني من الخدش. هذه المعلومة ستكون بأمان، فهي موضوع للإثارة وليس لها أي قيمة.

الفصل السابع عشر

بعد بداية يوم متقلقلة على نحو كبير، بدأ دماغ آرثر يعيد تجميع نفسه من الاضطرابات التي سببها له اليوم السابق. لقد وجد آلة نيوتري-ماتيك التي زودته بكوب بلاستيكي مملوء بسائل يكاد يكون، لكن ليس تمامًا، كليًا لا علاقة له بالشاي. الطريقة التي كانت تعمل بها الآلة مثيرة للاهتمام، عندما يتم الضغط على زر «شراب» فإنها تجري فحصًا عالي الدقة وسريعًا للحليمات الذوقية الخاصّة بالعميل، وتحليلًا طيفيًا لأيض العميل، ومن ثم ترسل إشارات تجريبية صغيرة في الطرق العصبية إلى مراكز التذوق عند دماغ العميل لترى ما قد يفضله الأخير. لكن عمومًا لم يعلم أحد لم تفعل الآلة هذا لأنهّا بشكل ثابت كانت تقدم كوبًا من السائل الذي يكاد يكون، لكن ليس تمامًا، كلية لا علاقة له بالشاي. تم تصميم وتصنيع النيوتري-ماتيك بوساطة شركة سيريوس سايبرنيتكس التي يغطي قسم الشكاوى فيها الآن كل كتل الأرض الكبرى في أول ثلاثة كواكب من نظام سيريوس تاو الشمسي.

احتسى آرثر الشراب ووجده منعشًا، حدق إلى الشاشات مجددًا وراقب بضع مئات أميال من الرمادية القاحلة تعبر. فجأة خطر له أن يسأل سؤالًا كان يزعجه.

قال: «هل هو آمن؟»

قال زيفود: «إن ماغراثيا ميت من خمسة ملايين سنة، بالتأكيد هو آمن، حتى إن الأشباح ستكون قد استقرت فيه وعاشت مع أسرها».

في تلك اللحظة، صوت غريب غير قابل للتفسير سرى فجأة عبر المنصة، ضجيج كأنه من بوق بعيد، صوت مزماري، عميق وخيالي، سبق صوتًا كان أيضًا مزماريًا، عميقًا وخياليًا. قال الصوت: «تحيات لكم»...

أحد ما من الكوكب الميت كان يتكلم معهم.

صاح زيفود: «حاسوب!»

- «مرحبًا بكم!»

- «ما كان ذلك بحق الفوتون؟»

- «أوه، إنّه شريط عمره خمسة ملايين سنة يتم بثه إلينا».

- «ماذا؟ تسجيل؟»

قال فورد: «صه! إنّه يتابع».

كان الصوت قديمًا، دمثًا، فاتنًا تقريبًا، لكنه يحمل في طياته تهديدًا واضحًا تمامًا.

قال الصوت: «هذا إعلان مسجل، للأسف، فجميعنا في الخارج الآن، مجلس ماغراثيا

التجاري يشكركم علي زيارتكم الثمينة»...

صاح زيفود: «صوت من ماغراثيا العتيقة!» قال فورد: «حسنًا، حسنًا».

تابع الصوت قائلًا: «... لكن نعتذر عن كون الكوكب كله متوقف عن العمل مؤقتًا. شكرًا لكم. إن أردتم ترك اسمكم وعنوان الكوكب حيث يمكن الاتصال بكم، تفضلوا بالكلام عندما تسمعون الطنين».

سُمعت طنّة قصيرة بعد ذلك، ومن ثم عم الصمت.

قالت تريليان بتوتر: «يريدون التخلص منا، ماذا يجب أن نفعل؟»

قال زيفود: «إنّه مجرد تسجيل، سنتابع التقدم، هل سمعت ذلك يا حاسوب؟»

قال الحاسوب: «سمعت ذلك». ومن ثم زاد من سرعة السفينة.

انتظروا.

بعد هنيهة صدح البوق من جديد، ومن ثم جاء الصوت.

«نود إعلامكم والتأكيد على أنه بمجرد معاودة العمل سيتم وضع الإعلانات في المجلات الفخمة كافة ومكملات الألوان، عندها سيتمكن عملاؤنا مجددًا من اختيار الأفضل في الجغرافيا المعاصرة». أخذت نبرة التهديد في الصوت منحى أكثر حدة. «في الوقت الراهن نشكر عملاءنا على اهتمامهم الصادق ونطلب إليهم المغادرة، الآن».

نظر آرثر إلى وجوه أصحابه القلقة واقترح قائلًا: «حسنًا، أظن أنّ علينا أن نذهب، أليس كذلك؟»

قال زيفود: «صه! ليس هنالك ما يدعو إلى القلق».

- «إذًا، لم الكل متوتر؟»

صاح زيفود: «إنهم متأثرون فقط، حاسوب، انزل نحو الغلاف الجوي واستعد للهبوط».

هذه المرّة كان البوق روتينيًا، والصوت أتى باردًا بوضوح قائلًا: «من دواعي سرورنا أن تستمر حماستكم تجاه كوكبنا من دون وهن، لذلك نود التأكيد بأن صواريخنا الموجّهة التي تقترب من سفينتكم حاليًا هي جزء من الخدمة المميزة التي نمنحها لكل عملائنا المتحمسين، والرؤوس النوويّة الجاهزة هي بالتأكيد كياسة فحسب. نتطلع قدمًا إلى التعامل معكم في الحيوات القادمة... شكرًا لكم».

انقطع الصوت فجأة.

قالت تريليان: «أوه».

قال آرثر: «إي»...

قال فورد: «حسنًا؟»

قال زيفود: «اسمعوا، ألن تحاولوا فهم الأمر؟ إنها مجرد رسالة مسجلة، عمرها ملايين السنين، وهي لا تنطبق علينا، أفهمتم؟»

قالت تريليان بهدوء: «ماذا عن الصواريخ؟»

- «صواريخ؟ لا تضحكيني».

نقر فورد على كتف زيفود وأشار إلى الشاشة الخلفيّة.

كان هنالك سهمان فضيان يصعدان عبر الغلاف الجوي باتجاه السفينة، كانا بعيدين لكن واضحين. بتغيير سريع بالمكبر جعلهما أكثر وضوحًا، كانا صاروخين حقيقيين ضخمين يرعدان عبر السماء. كانا مفاجأة صادمة.

قال فورد: «أظن أن تجربتهم ستكون جيدة بتطبيقها علينا».

حدق إليها زيفود بذهول، وقال: «هيه، هذا رائع! أحدهم في الأسفل يحاول قتلنا!»

قال آرثر: «رائع».

- «ألا ترى ما يعنيه ذلك؟!»

- «نعم، سوف نموت».

- «نعم، لكن بمعزل عن ذلك».

- «بمعزل عن ذلك؟!»

- «إن الأمر يعني أننا اكتشفنا شيئًا».

- «متى يمكننا التخلص منه؟»

راحت صورة الصاروخين تكبر على الشاشة رويدًا رويدًا. كانا قد دارا على محوريها وأخذا مسارًا إلكترونيًا باتجاه الهدف فلم يكن بالإمكان رؤية شيء منهما إلا الرأسين الحربيين، باتجاه الهدف.

قالت تريليان: «لأهمية الحالة، ما الذي سنفعله؟»

قال زيفود: «ابقي هادئة».

صاح آرثر: «هل هذا كل شيء؟»

قال زيفود وقد بدا عليه ذعر مفاجئ: «لا، سنقوم ب... إي... سنقوم بالتملص! حاسوب، كيف يمكننا التملص؟»

قال الحاسوب: «أخشى أنه لا يمكنكم التملص يا رفاق». وتابع يشرح بابتهاج: «يبدو أن هنالك

ما يكبح نظام التوجيه خاصتي، الاصطدام بعد خمس وأربعين ثانية. أرجو أن تنادوني إيدي إن كان ذلك يريحكم».

حاول زيفود أن يركض اتجاهات عدة حاسمة على نحو متساو، وفي وقت واحد. قال: «حسنًا!، إي... يجب أن نتحكم بالسفينة يدويًا».

سأل فورد بلطف: «هل تستطيع الطيران بها؟»

- «لا، هل تستطيع أنت؟»

- «لا».

- «تريليان، هل تستطيعين؟»

- «لا».

قال زيفود وهو يسترخي: «حسنًا، سنقوم بالأمر معًا».

قال آرثر: «لا أستطيع أنا أيضًا». وكان قد شعر بأن الوقت قد حان ليدافع عن حقه.

قال زيفود: «خمنت ذلك، حسنًا يا حاسوب، أريد تحكمًا يدويًا كاملًا الآن».

قال الحاسوب: «لك ما طلبت».

انزلقت لوحات مكتبية ضخمة عدة وانفتحت مخرجة منصات تحكم، ممطرة الطاقم بأجزاء إضافية من رزم البوليسترين وكرات من السيلوفان المدوّر: هذه المتحكمات لم تستخدم من قبل.

نظر إليها زيفود برعب. وقال: «حسنًا يا فورد، دفعة خلفيّة كاملة واتجه عشر درجات نحو اليمين، أو ما شابه»...

سقسق الحاسوب قائلًا: «حظًا طيبًا يا رفاق، بقيت ثلاثون ثانية للتصادم»...

قفز فورد إلى المتحكمات، وحرك القلة القليلة التي كان قد فهمها على الفور. لبضع ثوان، علقتهم قوى القصور الذاتي أفقيًا وهم يتلوون من أجل أن يتنفسوا. كافح زيفود واندفع بيأس جنوني وتمكّن في النهاية من ركل عتلة صغيرة شكلت جزءًا من نظام التوجيه بوحشية.

انكسرت الذراع والتوت السفينة بحدة ثم انطلقت إلى الأعلى. تم رمي الطاقم إلى الخلف بعنف عبر القمرة. اصطدمت نسخة فورد من دليل المسافر إلى المجرة بقسم آخر من لوحة التحكم فكانت النتيجة مجتمعة أن الدليل راح يشرح، لمن قد يهمه الاستماع، أفضل الطرائق لتهريب غدد الببغاء الأنتاري خارج أنتاريس (صحيح أن غدد الببغاء الأنتاري الملصقة على عصا صغيرة مقرفة لكنّها مطلوبة جدًّا كإضافات للخلائط والعصائر، حيث إنّه يتم دفع كميات أموال ضخمة من قبل أناس بلهاء وأغنياء جدًا يريدون إبهار أناس بلهاء وأغنياء جدًا آخرين)، وفجأة سقطت السفينة من السماء كحجر.

كان أحد أفراد الطاقم في هذه الأوقات قد أصيب بخدش خطير في ذراعه العلوية. لا بد من

التأكيد على ذلك، كما تم الكشف آنفًا، لأنّه لولا ذلك لكانوا قد هربوا من دون أذى على الإطلاق ومن دون أن تتمكّن الصواريخ النوويّة الخطرة من ضرب السفينة في النهاية. سلامة الطاقم مؤكدة بشكل مطلق.

قال الحاسوب: «عشرون ثانية على الاصطدام يا رفاق»...

وبخه زيفود قائلًا: «إذًا أعد تشغيل المحركات اللعينة!» قال الحاسوب: «أوه، بالتأكيد يا رفاق». بهدير رقيق عادت المحركات، وعامت السفينة بهدوء من بعد هبوطها متجهة من جديد نحو الصواريخ.

بدأ الحاسوب يغني منتحبًا: «عندما تقتحم الأهوال... أبق رأسك مرفوعًا»...

صرخ زيفود في الحاسوب ليصمت، لكن صوته ضاع في الضجيج الذي كان من الطبيعي أن يحسبوه صوت الدمار المقترب.

راح إيدي يندب: «ولا... تخف... من الظلام!» في الواقع فإن السفينة قد عامت بالمقلوب، وكونهم الآن مستلقين على السقف فكان من المستحيل تمامًا على أي من الطاقم أن يصل إلى أنظمة القيادة.

دندن إيدي: «في نهاية العاصفة»...

لاح الصاروخان بشكل كبير على الشاشات وهما يهدران باتجاه السفينة.

- «توجد سماء ذهبية»...

لكن، بمصادفة حظ استثنائية لم يكن الصاروخان قد صححا مسار طيرانها على نحو كامل ليتناسب مع حركة السفينة المتمايلة على نحو غريب، فمرّا من تحتها.

«والأغاني الفضية الجميلة للقبرة... زمن الاصطدام المعدل خمس عشرة ثانية يا رفاق.... يمشي عبر الريح»...

انعطف الصاروخان بقوس حاد واندفعا بسرعة في مطاردتهما.

هي النهاية، لا بد سنموت، شبه مؤكد قال آرثر وهو يراقبها: «هذه أليس كذلك؟»

صاح فورد: «أتمنى لو تتوقف عن قول ذلك، حسنًا، سنموت، أليس كذلك؟»

- «نعم».

غنى إيدي: «امش عبر المطر»...

طرأت فكرة لآرثر الذي جاهد للوقوف على قدميه وقال: «لم يقم أحد بتشغيل محرك اللااحتمالية هذا؟ يمكننا أن نصل إليها».

قال زيفود: «هل أنت مجنون؟ أي شيء قد يحصل إن لم تكن مبرمجة بشكل مناسب».

صاح آرثر: «هل يهم ذلك في هذه المرحلة؟»

غنى إيدي: «ولو أنّ أحلامك كانت مرميّة ومتعبة»...

تسلق آرثر إلى نهاية قطعة مكتنزة حيث يلتقي انحناء الجدار بالسقف.

«تابع المسير، تابع المسير، والأمل يملأ قلبك»...

صاحت تريليان: «هل يعلم أحد لم لا يستطيع آرثر تشغيل محرك اللااحتمالية؟»

- «ولن تكون بمفردك إطلاقًا... خمس ثوان على التصادم، كانت معرفتكم رائعة يا رفاق، باركك الله... لن... تكون... بمفردك!»

هتفت تريليان: «أقول، هل يعلم أحد»... ما حصل بعد ذلك كان انفجارًا نصف مدمر من الضوضاء والضوء.

الفصل الثامن عشر

ما حصل بعد ذلك كان أن قلب الذهب تابعت طريقها على نحو طبيعي تمامًا مع إعادة تصميم فاتنة لداخلها. كانت بشكل أو بآخر أكبر، ومنجزة بلون فاتن وفاتح من درجات اللونين الأخضر والأزرق. في منتصفها يوجد سلم لولبي، لا يؤدي إلى أي مكان محدد، يقع بين مجموعة منسقة من الزهور الصفر والسراخس، إلى جانبه توجد قاعدة مزولة تحوي وحدة الحاسوب الأساسية. الإضاءة والمرايا الموزعة ببراعة أعطت الإحساس بأنك تقف في مستنبت زجاجي مطل على امتداد واسع لحديقة مقلمة بعناية فاتنة. حول المنطقة المحيطة بالمستنبت الزجاجي انتصبت طاولات من الرخام على أرجل حديدية مزخرفة بشكل جميل ومعقد. تصبح أشكال الآلات الغريبة مرئية مع تحديقك إلى السطح المصقول للرخام، وتتشكل هذه الآلات تحت يديك بمجرد أن تلمسها. وبالنظر إلى المرايا من الزاوية الصحيحة فإنها تعكس النتائج والمعلومات المطلوبة كافة، وعلى الرغم من كون مصدر ما تعكسه هذه المرايا غير واضح إطلاقًا، إلا أنه جميل بامتياز.

كان زيفود بيبلبروكس مسترخيًا على كرسي شمس مصنوع من الأملود عندما قال: «ما الذي حصل بحق الجحيم؟»

قال آرثر وهو متكئ بالقرب من حوض سمك: «كنت أقول إن مفتاح محرك اللااحتمالية هناك...» وأشار إلى حيث كان المفتاح، كانت ثمّة نبتة في وعاء مكانه.

قال فورد وهو يجلس على السلم اللولبي: «لكن أين نحن؟» وكان في يده كوب بارد من البان غالاكتيك غارغل بلاستر.

قالت تريليان: «بالضبط حيث كنا، أظن»... وعندها أظهرت المرايا من حولهم صورة لأراضي ماغراثيا المدمرة التي لا تزال تمر تحتهم.

قفز زيفود من كرسيه وقال: «إذًا ما الذي حصل للصاروخين؟»

ظهرت في المرايا صورة جديدة ومذهلة، فقال فورد مترددًا: «يبدو أنهما تحولا إلى وعاء من البطونية وحوت مدهوش جدًا»...

قاطعه إيدي الذي لم يتغير البتة: «على معامل لاحتمالية واحد من أصل ثمانية ملايين وسبعمئة وسبعة وستين ألفًا ومئة وثمانية وعشرين»..

حدق زيفود إلى آرثر وسأله: «هل فكرت في ذلك أيها الأرضي؟»

قال آرثر: «حسنًا، كل ما فعلته كان»...

- «كان ذلك تفكيرًا جيدًا، أن تشغل محرك اللااحتمالية الثانية من دون أن تنشط شاشات الحماية. يا فتى، لقد أنقذت حياتنا للتو، أتعلم ذلك؟»

قال آرثر: «أوه، لم يكن ذلك شيئًا يذكر»...

قال زيفود: «حقًّا؟ حسنًا، انس الأمر إذًا. حسنًا، حاسوب، خذنا إلى أرض الكوكب».

- «لكن»...

- «قلت انس الأمر».

الشيء الذي تم نسيانه أيضًا هو حقيقة أنه، خلافًا لكل الاحتمالية، تم استدعاء حوت عنبر إلى الوجود على ارتفاع أميال عدة فوق سطح كوكب غريب.

وبما أنّ هذا ليس بالمكان الذي يمكن للحوت أن يحتفظ به بشكل طبيعي، فإنّه لم يكن أمام هذا المخلوق الجاهل سوى القليل من الوقت ليفهم هويته كحوت قبل أن يفهم أنه ليس حوت بعد ذلك.

هذا سجل كامل لأفكاره منذ لحظة بدء حياته حتى لحظة انتهائها.

فكر: آه...! ما الذي يحدث؟

إي، معذرة، من أنا؟

مرحبًا؟

لم أنا هنا؟ ما هدفي في الحياة؟

ما الذي أعنيه بمن أنا؟

اهدأ، تمالك نفسك... أوه! هذا إحساس مثير للاهتمام، ما هو؟ إنّه نوع من... التثاؤب، الشعور بالوخز في... في... حسنًا أظن أن عليَّ أن أبدأ البحث عن أسماء للأشياء إن كنت أريد التقدم في الشيء الذي يجب علي أن أسميه نقاشًا، على أن أسميه العالم، لذا لنسمّه معدتي.

جيد. أوه، إنّه يزداد قوة. و، هيه، ماذا عن صوت الصفير الهادر هذا الذي يعبر ما سأسميه فجأة رأسي؟ ربما أستطيع أن أسمي ذلك... ريحًا! هل هو اسم جيد؟ سيفي بالغرض... لربما أجد اسمًا مناسبًا له لاحقًا عندما أعرف لم يستخدم. لا بد أنه شيء مهم جدًّا بسبب وجود كمية كبيرة منه على ما يبدو. هيه! ما هذا الشيء؟ هذا... لنسمه ذيلًا، نعم، ذيل. هيه! أستطيع تحريكه بشكلٍ جيّد أليس كذلك؟ واو! واو! إنّه شعور رائع! لا يبدو يحقق الكثير لكني في الأغلب سأكتشف لم يستخدم لاحقًا. الآن، هل قمت بعد بتشكيل صورة مترابطة منطقية عن الأشياء؟

لا.

لا يهم، هيه، هذا مثير حقًّا، الكثير لأكتشفه، الكثير لأطمح إليه، أشعر بالدوار من الترقب... أم أنها الريح؟

هنالك الكثير منها الآن أليس كذلك؟

واو! هيه! ما هذا الشيء الذي يبدو فجأة أنه يقترب مني بسرعة؟ بسرعة كبيرة جدًّا. كبيرة جدًّا، مسطحة، ودائرية، تحتاج لاسم كبير ومدو مثل، أر... ض... رض... أرض! هذا هو اسم جيد - أرض!

أتساءل إن كانت ستصادقني؟

و بعد صوت مبتل مكتوم لم يتبق سوى الصمت.

من المثير للفضول معرفة أن الشيء الوحيد الذي خطر في بال وعاء البطونية وهو يسقط كان: أو، لا، ليس مجددًا. كثير من الناس ظن أننا لو عرفنا بالضبط لماذا فكر وعاء البطونية في ذلك كنا لنعرف أكثر عن طبيعة الكون مما نعرفه الآن.

الفصل التاسع عشر

قال فورد: «هل سنأخذ هذا الروبوت معنا؟» كان ينظر باشمئزاز إلى مارڤن الواقف بانحناءة غريبة في الزاوية تحت شجرة نخيل صغيرة.

أشاح زيفود بنظره عن شاشات المرايا التي كانت تعرض صورة بانورامية للأراضي المدمرة التي كانت قلب الذهب قد هبطت عليها.

قال: «أوه، الآلي المضطهد، نعم سنأخذه».

«لكن ما الذي سنفعله بروبوت مصاب بالاكتئاب؟»

قال مارڤن كأنه يوجه كلامه إلى كفن حديث الاستخدام: «هل تظن أن لديك مشكلات؟ ما الذي كنت ستفعله إن كنت روبوتًا مصابًا بالاكتئاب؟ لا، لا تتكلف عناء الإجابة عن ذلك، أنا أذكى منك بخمسين ألف مرة، ولا أعرف الإجابة. الانخفاض إلى مستواك في التفكير يسبب لي الصداع».

اندفعت تريليان من قمرتها عبر الباب وقالت: «هرب فأراي الأبيضان».

فشل تعبير القلق العميق والاهتمام بالظهور على أي من وجهي زيفود فقال: «تبًّا لفأريك الأبيضين».

حملقت به تريليان بانزعاج واختفت مجددًا.

كان من الممكن أن تكون ملاحظتها قد تطلبت أهتمامًا أكبر لو كان معلومة أن البشر هم ثالث أذكى أشكال الحياة على كوكب الأرض، عوضًا عن كونهم (كما فكر معظم المراقبين المستقلين) في المرتبة الثانية.

- «طاب يومكم يا فتية».

كان الصوت مألوفًا على نحو غريب، لكنه مختلف بشكل غريب أيضًا. كانت له رنة صوت أنثويّة حاكمة. كان الصوت قد أعلن عن نفسه للطاقم عندما وصلوا إلى باب غرفة الهواء الذي يفضي خارجًا إلى سطح الكوكب.

نظروا إلى بعضهم بحيرة.

شرح زيفود قائلًا: «إنِّه الحاسوب، اكتشفت أن لديه نسخة احتياطية من شخصيته للحالات الطارئة وأعتقد أنها أفضل».

تابع صوت إيدي الجديد قائلًا: «سيكون هذا يومكم الأول في الخارج على سطح كوكب غريب. فأريد لكم أن تكونوا مرتاحين، دافئين ومغلفين، ولا تلعبوا مع وحوش سيئة منتفخة العيون».

نقر زيفود بصبر نافد على الباب وقال: «آسف، أظن أنّ علينا أن نتوخى الحذر الشديد».

قال الحاسوب فجأة: «صحيح! من قال ذلك؟»

قال زيفود وهو يحاول ألا يغضب: «هلا فتحت باب المخرج لو سمحت؟»

ألح الحاسوب مغلقًا بعض الفجوات: «ليس حتى يعترف من قال ذلك».

تمتم فورد: «يا رب»، وقد سقط على حاجز وراح يعد للعشرة. كان قلقًا بشدة حيال اليوم الذي ستنسى فيه أشكال الحياة الواعية كيفيّة العد. بالعد فقط يمكن للبشر أن يظهروا استقلاليتهم عن الحواسيب.

قال إيدي بتجهم: «هيا».

بدأ زيفود: «حاسوب»...

قاطعه إيدي قائلًا: «أنا أنتظر، يمكنني الانتظار طوال اليوم إن اضطرني الأمر»...

قال زيفود مجددًا: «حاسوب»... وحاول أن يفكر بطريقة بارعة ليذل الحاسوب بها، وقرر أن يوفر على نفسه عناء منافسة الحاسوب بما يحسنه الأخير، «إن لم تفتح باب المخرج الآن فسأهاجم خزانات البيانات الخاصّة بك وأعيد برمجتك بوساطة فأس كبيرة، هل فهمت ذلك؟»

انصدم إيدي، توقف لوهلة وفكر في الأمر.

تابع فورد العد بهدوء. هذا أكثر شيء عدواني يُمكنك فعله مع حاسوب، إنّه الموازي لأن تذهب إلى مخلوق بشري قائلًا دم... دم... دم... دم...

في النهاية، قال إيدي بهدوء: «أعتقد أنّ علينا جميعًا العمل على علاقتنا المتبادلة». وانفتح الباب.

اندفعت إليهم ريح صقيعية، فضموا أنفسهم طلبًا للدفء، ونزلوا المنحدر إلى رماد ماغراثيا القاحل.

صاح إيدي خلفهم قائلًا: «سينتهي الأمر برمته إلى البكاء، أعلم ذلك»، وأغلق الباب خلفهم مجددًا.

بعد دقائق عدة، فتح الباب وأغلقه مجددًا استجابة لأمر فاجأه تمامًا.

الفصل العشرون

تجولت خمسة أشكال ببطء فوق الأرض المدمرة، بعض منها كان رماديّة باهتة، بعضها كان بنية باهتة، والباقي أقل أهميّة من أن ينظر إليه. بدت كأنها مستنقع تم تجفيفه، لا تنمو فيه أي نباتات، ومغطى بإنش غبار. كان الجو باردًا جدًّا.

بدا واضحًا أن زيفود كان يائسًا، فمشي بمفرده، وبعد هنيهة اختفى عن الأنظار خلف مرتفع صغير في الأرض.

لسعت الريح أذني آرثر وعينيه وعانق الهواء الهزيل حنجرته، لكن الشيء الذي كان لسعه شديدًا هو عقله. قال: «هذا مذهل»... وخشخش صوته في أذنيه، في هذا الهواء الرقيق كان نقل الصوت رديئًا.

قال فورد: «إن سألتني أقل إنها حفرة مهجورة، أستطيع المرح أكثر في حاضنة قطط». شعر بغضب متصاعد، فمن بين كل الكواكب، في كل المجموعات الشمسية من المجرة، هل كان عليه أن يأتي إلى مكان قذر كهذا بعد خمس عشرة سنة من المنفى؟ لا وجود حتى لمنصة بيع نقانق. انحنى والتقط كتلة باردة من الأرض، لكن لم يوجد تحتها ما يستدعي قطع آلاف السنين الضوئية للنظر إليه.

أصر آرثر قائلًا: «لا، أنت لا تفهم، هذه أول مرة أقف فيها على سطح كوكب آخر... عالم غريب برمته...! ومع ذلك فمن المؤسف أن يكون قذرًا».

ضمت تريليان نفسها، ارتجفت وعبست، كادت تقسم أنها شاهدت حركة صغيرة وغير متوقعة من طرف عينها، لكن عندما حدقت إلى ذلك الاتجاه تشاهد إلا السفينة، ثابتة وصامتة، خلفهم على مسافة مئة ياردة تقريبًا.

بعد نحو الثانية، ارتاحت عندما شاهدوا زيفود يقف على قمة من الأرض وهو يلوح لهم ليأتوا وينضموا إليه.

بدت عليه الحماسة، لكنهم لم يتمكنوا من سماع ما يقول بسبب رقة الهواء وبسبب الريح.

لما وصلوا إلى قمة أرض مرتفعة أدركوا أنها تبدوا دائرية، فوهة بركان بعرض مئة وخمسين ياردة. كانت الأرض حول الحافة الخارجية لفوهة البركان مرشوشة بكتل حمراء وسوداء. توقفوا ونظروا إلى واحدة، كانت رطبة، كانت مطاطية.

فجأة وبذعر أدركوا أنها كانت لحم حوت حديث.

التقوا بزيفود على قمة حافة الفوهة.

قال وهو يشير داخل الفوهة: «انظروا».

تمددت في المنتصف جثة حوت عنبر وحيد لم يعش وقتًا كافيًا ليخيب أمله بقدره. الشيء الوحيد الذي قطع الصمت هو التشنج في حنجرة تريليان.

تذمر آرثر قائلًا: «أظن أن لا داعي لدفنه؟» ومن ثم تمنى لو لم يقل ذلك.

قال زيفود: «تعالوا». وراح يمشي هابطًا في الفوهة.

قالت تريليان باشمئزاز شديد: «ماذا؟ إلى الأسفل؟»

قال زيفود: «نعم، تعالوا، هنالك ما أريدكم أن تروه».

قالت تريليان: «نستطيع مشاهدته».

قال زيفود: «ليس ذلك، شيء آخر، تعالوا».

ترددوا جميعًا.

أصر زيفود قائلًا: «تعالوا، لقد وجدت مدخلًا».

قال آرثر بذعر: «مدخلًا؟»

«إلى داخل الكوكب؛ ممر تحت الأرض. قوة اصطدام الحوت تسببت بتصدعه وسيكون علينا الذهاب إلى هناك، حيث لم يدسّ رجل طيلة هذه خمسة الملايين سنة، في عمق الوقت نفسه»...

بدأ مارڤن دندنته الساخرة مجددًا.

ضربه زيفود فصمت.

بارتعادات من القرف تبعوا زيفود إلى أسفل المنحدر داخل الفوهة محاولين بجهد ألا ينظروا إلى صانعها التعس.

قال مارڤن بحزن: «إن اشمأززت من الحياة أو تجاهلتها، فلا يُمكنك محبتها».

انهارت الأرض حيث اصطدم الحوت، كاشفة عن شبكة من الأروقة والممرات مسدودة بشكل كبير الآن بفعل الأحشاء والحجارة. كان زيفود قد بدأ بإفراغ الطريق من أحدها، لكن مارڤن كان أسرع منه. انبعث من أجوافه هواء شديد الرطوبة، ومع تشغيل زيفود لشعلة كانت الرؤية شبه معدومة في الظلام المغبر.

قال زيفود: «بحسب الأساطير فإن الماغراثيين عاشوا معظم حيواتهم تحت الأرض».

قال آرثر: «ولم ذلك؟ هل كان السطح ملوثًا جدًّا أو مزدحم؟»

رد زيفود: «لا، لا أظن ذلك، أعتقد أنهم لم يحبوا السطح كثيرًا».

قالت تريليان وهي تحدق بتوتر إلى الظلام: «هل أنت واثق مما تفعله؟ لقد هوجمنا مرة حتى الآن كما تعلم».

- «اسمعي يا فتاة، أتعهد لك بأن السكان الأحياء لهذا الكوكب هم صفر زائد نحن الأربعة، لذا هيا بنا، إلى الداخل. إي- أيها الأرضي»...

قال آرثر: «آرثر».

- «نعم، يُمكنك أن تبقي هذا الروبوت معك وتحرس هذه النهاية من الممر، موافق؟»

قال آرثر: «أحرس؟ مم؟ لقد قلت للتو إنّه لا يوجد أحد هنا».

قال زيفود: «نعم، حسنًا، للأمان، موافق؟»

- «أمان من؟ أمانك، أم أماني؟»

- «فتى طيب. حسنًا، ها نحن أولاء».

نزل زيفود إلى الممر يتبعه تريليان وفورد.

تذمر آرثر قائلًا: «حسنًا، أتمنى لكم وقت بائسًا».

أكد له مارڤن قائلًا: «لا تقلق، سيكون وقتهم كذلك».

بعد بضع ثوان كانوا قد اختفوا.

رفس آرثر الأرض بغضب ومن ثم قرر أن مقبرة الحوت إجمالًا ليست مكانًا جيدًا للرفس.

نظر إليه مارڤن على نحو مشؤوم للحظة ومن ثم أطفأ نفسه.

***

خطا زيفود بسرعة وتوتر إلى أسفل الممر، لكنه حاول إخفاء ذلك بأن يخطو خطوات واسعة عن قصد. قذف شعاع الشعلة حوله، كانت الجدران مغطاة بأحجار قرميد داكنة وباردة الملمس، وكان الهواء كثيفًا ومتعفنًا.

قال: «هل رأيتم، ماذا أخبرتكم؟ إن ماغراثيا كوكب غير مأهول». وتابع خطاه عبر التراب والحطام الذي تبعثر على الأرض القرميدية.

ذكَّر ذلك تريليان على نحو محتوم بمواقع لندن التي كانت تحت الأرض، إلا أنه كان أقل قذارة بشكل كامل.

شكل القرميد بشكل متقطع على طول الجدران لوحات فسيفسائية كبيرة، نقشات بسيطة ذات زوايا بألوان ساطعة. توقفت تريليان لدراسة واحدة من النقشات لكنّها لم تستطع تفسير أي معنى فيها. نادت زيفود قائلة: «هل لديك أدنى فكرة عن ماهية هذه الرموز الغريبة؟»

قال زيفود وهو يكاد لا ينظر إليها: «أعتقد أنها رموز غريبة من نوع ما».

حركت تريليان كتفيها وأسرعت خلفه.

في وقت آخر، كان هنالك بوابات تقود إلى اليمين أو اليسار، إلى داخل حجرات صغيرة حيث اكتشف فورد أنها ممتلئة بتجهيزات حاسوب مهملة، جر زيفود إلى إحداها لإلقاء نظرة وتبعتهما تريليان.

قال فورد: «انظر، هل تعتقد أنّ هذه ماغراثيا»...

قال زيفود: «نعم، ولقد سمعنا الصوت، أليس كذلك؟»

- «حسنًا، لقد اقتنعت حاليًا بأنه ماغراثيا، لكنك حتى الآن لم تقل كيف وجدته بحق المجرة. أنت بالتأكيد لم تبحث عنه في أطلس النجوم».

- «إنِّه أمر سهل، أبحاث، أرشيف الحكومة، عمل استخباري، وبعض التخمينات المواتية».

- «ومن ثم سرقت قلب الذهب لتأتي وتبحث عنه بها؟»

- «سرقتها لأبحث عن العديد من الأشياء».

قال فورد بدهشة: «العديد من الأشياء؟ مثل ماذا؟»

- «لا أعرف».

- «ماذا؟»

- «لا أعرف عمَّ أبحث».

- «لم لا؟»

- «لأنّه... لأنّه... أظنني لو عرفت لما كنت لأقدر أن أبحث عنها».

- «ماذا، هل أنت مجنون؟»

قال زيفود بهدوء: «إنها احتمالية لم أستبعدها بعد، أعرف عن نفسي بقدر ما يمكن لعقلي فهمه في ظروفه الحالية، وظروفه الحالية ليست جيدة».

لم يقل أحد شيئًا لوقت طويل، وراح فورد يحدّق زيفود وقد شعر بالقلق فجأة.

بدأ فورد أخيرًا يقول: «اسمع أيها الصديق القديم، إن أردت أن»...

قال زيفود: «لا، انتظر... سأخبرك بأمر، أنا لا أهتم البتة. تراودني فكرة لفعل أمر ما، و، هيه، لم لا، أقوم به. افترضت أنني سأصبح رئيسًا للمجرة وحصل الأمر، إنِّه سهل. أقرر أن أسرق هذه السفينة، أقرر أن أبحث عن ماغراثيا، وكل ذلك يحدث ببساطة. نعم، أفكر بأفضل الطرق لفعل الأمر، صحيح، لكنه دائمًا ينجح. إن الأمر أشبه بامتلاكك لبطاقة ائتمان مجرّية تستمر بالعمل على الرغم من أنك لا ترسل الشيكات. ومتي فكرت في لماذا أردت فعل أمر؟ - كيف أكتشف طريقة فعله؟ - تصيبني رغبة قوية في أن أتوقف عن التفكير فيه، مثلما يحدث لي الآن، والتحدّث عن الأمر يجهدني كثيرًا».

توقف زيفود لوهلة، وكان هنالك صمت لوهلة، بعد ذلك عبس وقال: «البارحة كنت قلقًا حول هذا الأمر مجددًا، حول حقيقة أن ذاك الجزء من دماغي لا يبدو أنه يعمل بالشكل اللائق، ثم خطر لي أن الأمر يبدو كأن أحدًا ما كان يستعمل دماغي ليحصل على أفكار جيدة به، من دون أن يخبرني. جمعت الفكرتين وقررت أن من الممكن أن أحدهم أقفل جزءًا من دماغي لذلك الغرض، لذلك لم أكن أتمكن من استخدامه. أتساءل إن كانت هنالك طريقة للتأكّد.

ذهبت إلى القسم الطبي في السفينة ووصلت نفسي إلى شاشة التحليل الدماغي، وأجريت لنفسي فحوصات مراقبة كبيرة على رأسيّ الاثنين - كانت كل الاختبارات التي توجَّب عليَّ إجراؤها، بإشراف موظفين طبيين تابعين للحكومة، قبل ترشحي للرئاسة مصادقًا عليها بدقة، ولم يظهر أي شيء فيها، لا شيء غير متوقّع على الأقل. بينت تلك الاختبارات أنني ذكي ذو خيال خصب، غير مسؤول، غير جدير بالثقة، انبساطي، لا شيء لا يمكن توقعه، ولم تظهر أي شذوذ. لذا بدأت باختراع اختبارات إضافية وعشوائية بالكامل. ولا شيء. من ثم حاولت أن أركب نتائج رأسي فوق بعضها ولم أجد شيئًا. في النهاية أصبحت سخيفة لأنني سلمت بأن الأمر لا يتعدى كونه نوبة من جنون الريبة. الشيء الأخير الذي فعلته قبل أن أنتهي من الأمر هو أخذ صورة مركبة والنظر إليها عبر مرشح أخضر. أتذكر كيف كنت دائمًا خرافيًا فيما يتعلق باللون الأخضر عندما كنت طفلًا؟ وكيف أنني لطالما أردت أن أكون طيارًا مع المستكشفين التجاريين؟»

هزّ فورد رأسه.

قال زيفود: «وهذا ما كان، واضحًا وضوح الشمس. قسم كامل في منتصف الدماغين اللذين يرتبطان ببعضها ولا بأي شيء آخر حولهما. كوى أحد الملاعين جميع الفجوات العصبية، وقام إلكترونيًا بصدم هاتين الكتلتين من المخيخ».

حدقه فورد مذعورًا، وتحول لون تريليان إلى الأبيض.

همس فورد قائلًا: «أفعل بك أحدهم ذلك؟»

- «نعم».

- «لكن هل لديك فكرة من يكون؟ أو لِمَ؟»

- «لِمَ؟ أستطيع التخمين فقط، لكنني أعلم من كان ذلك اللعين».

- «تعرف؟ كيف تعرف؟»

- «لأنّهم تركوا أوائل حروف أسمائهم منقوشة على الفجوات العصبية المكوية. تركوها لأجلي كي أراها».

حدقه فورد برعب وشعر بأن جلده يتخدر.

- «حروف أولية؟ محروقة في دماغك؟»

- «نعم».

- «حسنًا، ماذا كانت بحق الله؟»

نظر إليه زيفود بصمت لوهلة ومن ثم نظر بعيدًا.

قال: «ز.ب». في تلك اللحظة انغلق باب معدني خلفهم بشدة وبدأ الغاز يتدفق في القمرة.

قال زيفود بصوت مختنق في حين الثلاثة يصابون بالإغراء: «سأخبرك بالأمر لاحقًا».

الفصل الحادي والعشرون

تمشّى آرثر بكآبة على سطح ماغراثيا.

كان فورد، وبسبب اهتمامه الشديد، قد ترك له نسخة من دليل المسافر إلى المجرة ليمضي بها الوقت. ضغط آرثر على بعض الأزرار بشكل عشوائي.

إن كتاب دليل المسافر إلى المجرة هو كتاب محرر على نحو غير متناسق، ويحتوي على العديد من المقاطع التي بدت للمحررين مناسبة في وقتها.

واحد من هذه المقاطع (الذي كان آرثر يقرؤه الآن) مكلفة برواية تجربة ڤيت ڤوجاغيغ، وهو طالب شاب وهادئ في جامعة ماكسيميغالون، مارس مهنة أكاديمية لامعة بدراسة فقه اللغة التاريخي العتيق، وعلم الأخلاق التحويلي ونظرية الموجة المتناسقة في الإدراك التاريخي، وبعد ليلة من شرب البان غالاكتيك غارغل بلاستر مع زيفود بيبلبروكس ازداد قلقه من مشكلة ما حصل لكل الأقلام التي اشتراها في السنوات القليلة الماضية.

بعد ذلك جاءت فترة طويلة من البحث المجهد، وقد زار في أثنائها كل مراكز فقدان الأقلام الرئيسة في المجرة، وفي النهاية وضع نظرية صغيرة وغريبة جذبت مخيلة العامة في ذلك الوقت. فقال، في مكان ما من الكون، إلى جانب كل الكواكب المأهولة بالرجال الآليين، والزواحف الآليين، والأسماك الآلية، والأشجار المتحركة الآلية، وأطياف اللون الأزرق خارقة الذكاء، كان هنالك كوكب بأكمله تعيش عليه الأقلام. وكانت الأقلام المهملة تشق طريقها إلى هذا الكوكب، منزلقة بهدوء عبر ثقوب الديدان في الفضاء إلى عالم حيث كانوا يعلمون أنهم سيستمتعون بنمط حياة مميّز وخاص بالأقلام الآلية، مستجيبين لمحفزات ذات طبيعة قلمية، ويعيشون بشكل عام ما يمكن لقلم أن يراه حياة جيدة.

وكما كل النظريات، ظلت هذه النظرية لطيفة حتى أدعى ڤيت ڤوجاغيغ بشكل مفاجئ أنه وجد هذا الكوكب، وأنه عمل عليه لفترة كسائق ليموزين لأسرة من الأقلام الخضر الرخيصة القابلة للإرجاع، عندئذٍ جرى اعتقاله وحبسه؛ كتب كتابه، وفي النهاية أُرسل إلى منفى مرهق، وهو ما في العادة القدر المحفوظ لهؤلاء المصرين على أن يكونوا حمقى أمام الناس.

حتى جاء اليوم الذي أرسلت فيه حملة إلى إحداثيات فضائيّة ادعى ڤوجاغيغ أنها خاصة بالكوكب، لكنهم لم يكتشفوا سوى كويكب صغير يسكنه عجوز وحيد ادعى مرارًا وتكرارًا بأن لا شيء حقيقي، لكن أُكتشف لاحقًا أنه يكذب.

إنما، يبقى بطبيعة الحال السؤال عن الستين ألف دولار ألتيري الغامضة التي كانت تُدفع سنويًا إلى حسابه المصرفي في برانتيسڤوغان، وبالطبع تجارة الأقلام المربحة جدًّا وغير المباشرة لزيفود بيبلبروكس.

✷ ✷ ✷

قرأ آرثر هذا وترك الكتاب.

جلس الروبوت هناك خاملًا على نحو كامل.

وقف آرثر ومشى إلى قمة الفوهة، ومشى حولها، وشاهد شمسين تغربان بعظمة فوق ماغراثيا.

عاد وهبط إلى الفوهة. أيقظ الروبوت لأن الحديث معه أفضل من لا أحد حتى لو كان الروبوت حزينًا على نحو مرضي.

قال آرثر: «إن الليل يهبط، انظر أيها الروبوت، بدأت النجوم تظهر».

من قلب غمامة داكنة كان من الممكن رؤية قلة قليلة من النجوم الشاحبة، لكنّها كانت موجودة ومرئية.

نظر إليها الروبوت مطيعًا، ثم نظر إلى آرثر مجددًا وقال: «أعرف، هزيلة أليس كذلك؟»

«لكن الغروب! لم أر شيئًا مثله على الإطلاق حتى في أكثر أحلامي خيالًا... شمسان! كان الأمر كأنه جبال من النار تغلي في الفضاء».

قال مارڤن: «رأيته، إنِّه هراء».

ثابر آرثر في كلامه قائلًا: «لم يكن لدينا إلا الشمس الواحدة في الوطن، لقد أتيت من كوكب اسمه الأرض كا تعلم».

قال مارڤن: «أعلم، أنت لا تنفك تذكر الأمر، يبدو بغيضًا».

- «آه، لا، كان مكان جميلًا».

- «هل كانت فيه محيطات؟»

قال آرثر بحسرة: «أوه، نعم، محيطات زرقاء كبيرة وهادرة».

قال مارڤن: «لا أستطيع احتمال المحيطات».

استفسر آرثر قائلًا: «أخبرني، هل علاقتك طيبة ببقية الروبوتات؟»

قال مارڤن: «أكرهها، إلى أين أنت ذاهب؟»

لم يعد آرثر يستطيع التحمل، فنهض مجددًا وقال: «أظنني سأمشي من جديد»..

قال مارڤن: «لا ألومك». وغفا في ثانية بعد أن عد خمسمئة وسبعة وتسعين ألف مليون خروف.

ضرب آرثر ذراعيه حول نفسه محاولًا جعل دورته الدموية أكثر حماسًا بعملها، ومشى جاهدًا إلى أعلى حائط الفوهة.

بسبب رقة الغلاف الجوي وعدم وجود قمر، خيم الظلام بسرعة وكان معتمًا جدًا. وبسبب ذلك مشى آرثر عمليًا باتجاه رجل عجوز قبل أن يلاحظه.

الفصل الثاني والعشرون

كان يقف وقد أدار ظهره لآرثر، يشاهد آخر بصيص للضوء وهو يغوص في السواد خلف الأفق. كان طويل القامة قليلًا، كهلًا، ويرتدي ثوبًا رماديًّا طويلًا. عندما التفت كان وجهه نحيلًا وبارزًا، مهمومًا لكنه ليس فظًّا، كان ذلك الوجه الذي قد ترافقه بسعادة. إنما لم يكن قد استدار بعد ليستجيب لعويل الدهشة الذي أطلقه آرثر.

اختفت في النهاية آخر أشعة الشمس بشكل كامل، واستدار. كان وجهه ما يزال مضاء من مكان ما، ولما بحث آرثر عن مصدر الضوء رأى مركبة من نوع ما على بعد ياردات عدة، حوامة صغيرة، هكذا ظن آرثر. كانت قد أضاءت حولها بشكل باهت.

نظر الرجل إلى آرثر، بحزن على ما يبدو وقال: «لقد اخترت ليلة باردة لزيارة كوكبنا الميت».

تلعثم آرثر قائلًا: «من... من أنت؟»

نظر الرجل بعيدًا ومن جديد عبرت مسحة من الحزن وجهه، قال: «إن اسمي ليس مهمًا»

بدا أن هنالك شيئًا في باله، وكان من الواضح أنه لم يكن مستعجلا فيها يخص المحادثة. شعر آرثر بالإرباك وقال بضعف: «أنا... إي... لقد أجفلتني»...

نظر إليه الرجل مجددًا رافعًا حاجبيه قليلًا وقال: «ماذا؟»

- «قلت إنك أجفلتني».

- «لا تخف، لن أؤذيك».

عبس به آرثر وقال: «لكنك أطلقت النار علينا! كانت هنالك صواريخ».

حدَّق الرجل إلى حفرة الفوهة، وعكس التوهج البسيط من عيني مارڤن ظلًا أحمر باهتًا على جثة الحوت الكبيرة.

ضحك الرجل ضحكة صغيرة.

قال بتنهد: «نظام آلي، حواسيب عتيقة تجولت في أحشاء الكوكب لآلاف الأعوام، وأثقل الدهر مخازن بياناتها المغبرة. أظن أنهم يطلقون النار عرضيًا ليرتاحوا من الرتابة».

نظر إلى آرثر وقال: «أنا من هواة العلوم كا تعلم».

قال آرثر: «أوه... إي، حقًّا؟»

وكان قد بدأ يجد أن أسلوب الرجل اللطيف والغريب مربك.

قال العجوز: «آه، نعم». وتوقف ببساطة عن الكلام مجددًا.

قال آرثر: «آه، إي»... كان شعوره غريبًا، كأنه رجل يزني وقد فوجئ بدخول زوج المرأة الغرفة ليغير سرواله ويلقي بعض التعليقات التافهة عن الطقس ثم يغادر من جديد.

قال العجوز باهتمام لطيف: «تبدو مربكًا».

- «إي...، لا، حسنًا، نعم، كا تعلم في الواقع لم نكن نتوقع أن نجد أحدًا في المكان. حسبما فهمت فإنكم جميعكم ميتون أو ما شابه»...

قال العجوز: «ميتون؟ يا للهول، لا، لقد نمنا فحسب».

قال آرثر بشك: «نمتم؟»

قال العجوز: «نعم، إبّان الركود الاقتصادي كما تعلم». وقد بدا غير مهتم إن كان آرثر قد فهم كلامه أو لا.

كان على آرثر أن يحثه مجددًا فقال: «ركود اقتصادي؟»

«كما تعلم، فإن الاقتصاد المجرّي انهار منذ خمسة ملايين عام، وبالنظر إلى أن الكواكب المصنوعة حسب الطلب هي عبارة عن سلعة مترفة كما تعلم»...

توقف قليلًا ونظر إلى آرثر.

سأل بكآبة: «تعلم أننا كنا نبني الكواكب أليس كذلك؟»

قال آرثر: «نعم، لقد سمعت شيئًا من»...

قال العجوز: «مهنة ساحرة». علت مقلتيه نظرة حزن وتابع: «الجزء المفضّل لديَّ كان صنع الخطوط الساحلية، كنت أستمتع كثيرًا بالتأني بصنع المضائق البحرية... في كل حال، أتى الركود وقررنا أننا إذا نمنا فيه فسنوفر على أنفسنا الكثير من العناء. لذا برمجنا الحواسيب لتعيد إنعاشنا عندما ينتهي الركود».

حبس الرجل تثاؤبًا صغيرًا وتابع قائلًا: «كانت الحواسيب مربوطة مع سوق أسعار الصرف المجرّية كما تعلم، فتقوم بإنعاشنا جميعًا عندما يعيد الجميع بناء الاقتصاد على نحو يكفي للحصول على خدماتنا غالية الثمن».

بما أن آرثر كان متابعًا لجريدة الغارديان بانتظام فلقد كان مصدومًا بشدة من ذلك.

- «تلك طريقة بغيضة في التصرف أليس كذلك؟»

سأل العجوز بمودة: «أليس كذلك؟ اعذرني فأنا قليل الحساسية بعض الشيء».

أشار إلى الفوهة وقال: «هل هذا الروبوت لك؟»

أتى صوت معدني حاد من الفوهة يقول: «لا، أنا لي».

دمدم آرثر قائلًا: «إن أردت تسميته روبوتًا، إنّه أكثر ما يكون آلة عبوس إلكترونية».

قال العجوز: «اجلبه». فوجئ آرثر بعض الشيء من نبرة العزم التي ظهرت فجأة في صوت العجوز. نادى مارڤن الذي زحف صاعدًا المنحدر متظاهرًا بأنه ضعيف، وكان غير ذلك.

قال العجوز: «من وجهة نظر أخرى، دعه هنا. يجب أن تأتي معي، أمامنا أشياء عظيمة». استدار نحو مركبته التي، على الرغم من عدم إعطائها أي إشارات واضحة، انساقت بصمت نحوهما عبر الظلام.

نظر آرثر إلى مارڤن الذي راح يتظاهر بأنه يستدير بجد وينزل مجهدًا إلى الفوهة من جديد مدمدمًا بتفاهات رديئة لنفسه.

صاح العجوز قائلًا: «تعال، تعال الآن وإلا ستتأخر».

قال آرثر: «أتأخر؟ عَمَّ؟»

- «ما اسمك أيها البشري؟»

قال آرثر: «دينت، آرثر دينت».

قال العجوز بتجهم: «تتأخر، مثل التأخير في الدينت - آرثر-دينت الأخيرة. إنّه نوع من التهديد كما ترى». نظرة حزن أخرى عبرت عينيه العجوزين المتعبتين وتابع: «لم أبرع قط في التهديدات، لكن أُخبرت بأنها فعالة».

نظر إليه آرثر خلسة.

ودمدم لنفسه: «يا له من رجل استثنائي».

قال العجوز: «أستميحك عذرًا؟»

قال آرثر بارتباك: «آه، لا شيء، أنا آسف، حسنًا، أين نذهب؟»

قال العجوز: «في سيارتي الهوائية». وأشار إلى آرثر كي يدخل في المركبة التي استقرت بصمت إلى جانبها.

- «سنغوص عميقًا في أحشاء الكوكب حيث يجري إنعاش جنسنا حتى الآن من سبات دام خمسة ملايين عام. إن ماغراثيا تستيقظ».

ارتجف آرثر لا إراديًا مع جلوسه إلى جانب العجوز. غرابة المركبة وحركتها المتمايلة بصمت وهي تحلّق في سماء الليل، كل ذلك أقلقه.

نظر إلى العجوز، الذي أُضيء وجهه بسبب التوهج الباهت للمصابيح الصغيرة على لوحة التوجيه، وقال له: «معذرة، لكن بالمناسبة ما اسمك؟»

قال العجوز: «اسمي؟» وأتت مسحة الحزن الطويلة إلى وجهه مجددًا، توقف لحظة وقال: «اسمي، سلارتيبارتفاست[9]».

اختنق آرثر فعليًا، وغمغم قائلًا: «أستميحك عذرًا؟»

كرر العجوز بهدوء: «سلارتيبارتفاست».

- «سلارتيبارتفاست؟»

نظر إليه العجوز برزانة وقال: «قلت إنّه ليس مهمًا».

أبحرت السيارة الهوائية عبر الليل.

الفصل الثالث والعشرون

من الحقائق المهمة والشائعة أن الأشياء ليست كما تبدو دائمًا. ففي سبيل المثال، لطالما افترض الإنسان على كوكب الأرض أنه أذكى من الدلافين لأنّه أنجز الكثير - العجلة، نيويورك، الحروب وإلى ما هنالك - في حين كل ما فعلته الدلافين كان السباحة وتمضية وقت جميل في الماء. إنها على العكس، فلطالما عدت الدلافين نفسها أذكى من الإنسان للأسباب نفسها تحديدًا.

ومن المثير للفضول أن الدلافين عرفت منذ وقت طويل بالدمار الوشيك الذي سيلحق بكوكب الأرض، وقامت بمحاولات عدة لتحذير البشر من ذلك الخطر، لكن معظم رسائلهم كانت تُفهم بطريقة مغلوطة على أنها محاولات للتسلية بضرب الكرات أو التصفير من أجل الأطعمة الشهية، وفي النهاية استسلمت للأمر وغادرت الأرض بطرقها الخاصّة قبل أن يصل الڤوغونيون بقليل.

آخر رسالة لدلفين تم فهمها على نحو مغلوط بأنها محاولة مفاجئة ومعقدة لعمل شقلبة عكسية عبر الطوق وهو يصفر «نشيد ستار سبرانغيلد»، لكن في الواقع كانت الرسالة كالتالي: إلى اللقاء وشكرًا لأجل كل السمك.

في الحقيقة فإن هنالك نوعًا وحيدًا على الكوكب أذكى من الدلافين، وقد أمضوا الكثير من وقتهم في مختبرات أبحاث سلوكية يركضون داخل عجلات ويجرون تجارب مرعبة من الدقة والبراعة على الإنسان. وحقيقة أن الإنسان أخطأ من جديد في فهم أن العلاقة كانت بسبب خطط هذه المخلوقات.

الفصل الرابع والعشرون

ارتحلت السيارة الهوائية بصمت عبر الظلام البارد، كانت التوهج الضعيف الوحيد تمامًا في عمق الليلة الماغراثية. أسرعت برشاقة، بدا رفيق آرثر غارقة في أفكاره، ولما حاول آرثر في أكثر من مناسبة أن يجذبه إلى محادثة كان ببساطة يرد بالسؤال إن كان آرثر مرتاحًا ومن ثم يسكت حينذاك.

حاول آرثر أن يقيس السرعة التي كانا يسافران بها، لكن الظلام في الخارج كان حالكًا وافتقد آرثر لأي نقاط علّام. كان الإحساس بالحركة قليلًا وضعيفًا إلى درجة أنه كان من الصعب على آرثر أن يصدّق بأنها يتحركان على الإطلاق.

عند ذلك، ظهر توهج صغير من الضوء على مسافة بعيدة، وفي غضون ثوان تضخم حجمه بشكل كبير فأدرك آرثر أنه كان يتحرك باتجاههم بسرعة هائلة، حاول أن يدرك أي نوع من المركبات قد تكون. حدق إليها لكنه لم يستطع أن يميز أي شكل واضح، وفجأة لهث بذعر عندما انحدرت الطائرة بحدة واتجهت إلى الأسفل فيما بدا أنه مسار تصادم، سرعتها النسبية بدت غير معقولة، فلم يتسع الوقت لآرثر لأن يأخذ نفسًا قبل أن ينتهي كل شيء. الشيء التالي الذي كان مدركًا له هو جسم ضبابي فضي بدا كأنه يحيط به، لوى رأسه بحدة وشاهد نقطة سوداء صغيرة تتضاءل بسرعة في الأفق خلفها، لزمه بضع ثوان ليدرك ما حصل.

كانا قد اندفعا داخل نفق في الأرض، السرعة الهائلة كانت سرعتهما بالنظر إلى توهج الضوء الذي كان ثقبًا ثابتًا في الأرض، وهذا الثقب هو مدخل النفق.

الجسم الضبابي الفضي كان حائط النفق الدائري الذي كانا ينطلقان فيه، على ما يبدو بسرعة مئات أميال عدة في الساعة.

أغمض عينيه مذعورًا.

شعر آرثر بخمود طفيف في سرعتهما، بعد فترة من الوقت لم يحاول أن يحسبها، وبعد فترة أخرى أدرك أنهما يتوقفان على نحو سلس تدريجيًا.

فتح عينيه مجددًا وكانا لا يزالان في النفق الفضي يعبران ويتمايلان وهما يعبران ما بدا أنها أرض لشبكة أنفاق متقاربة. أنفاق عدة انتهت هنالك أيضًا. وفي نهاية التجويف تمكّن آرثر من رؤية دائرة من الضوء الغامض المثير. كان مثيرًا لأنّه كان خداعًا للعيون، فمن المستحيل التركيز ومعرفة قربه أو بعده. خمن آرثر (مخطئًا تمامًا) أن من الممكن أن يكون فوق بنفسجي.

استدار سلارتيبارتفاست ولحظ آرثر بعينين حزينتين قائلًا: «أيها الأرضي، نحن الآن عميقة في قلب ماغراثيا».

سأله آرثر: «كيف عرفت أنني أرضي؟»

قال العجوز بلطف: «هذه الأشياء ستصبح جلية لك، أو على الأقل،» وأضاف بعضًا من الشك إلى صوته: «أكثر وضوحًا مما هي عليه الآن».

وتابع قائلًا: «عليَّ أن أحذرك بأن الفجوة التي سندخلها الآن ليست موجودة حرفيًا في كوكبنا، إنها... كبيرة قليلًا. سوف ندخل من بوابة إلى بقعة واسعة من الفضاء الفوقي. قد يزعجك الأمر».

أصدر آرثر أصوات خوف.

لمس سلار تيبارتفاست زرًا وأضاف مؤكدًا لكن ليس على نحو كامل: «إن الأمر يرعبني كليًا، تمسك جيدًا».

انطلقت السيارة إلى الأمام باتجاه دائرة الضوء، وفجأة تجلت لآرثر فكرة جلية تمامًا عما تبدو عليه اللانهاية.

في الواقع، لم تكن لانهاية، اللانهاية تبدو مسطحة ومملّة. النظر إلى الأعلى في سماء الليل هو النظر في اللانهاية، الأبعاد لا يمكن إدراكها، لذا فهي بلا معنى. يمكن أن تكون الحجرة التي انبثقت إليها السيارة الهوائية أي شيء إلا لانهائية، لقد كانت كبيرة جدًّا جدًّا إلى درجة أنها تعطي انطباعًا بأنها لانهائية أفضل من اللانهائية نفسها.

تمايلت حواس آرثر وتمددت، بسبب السفر بالسرعة الهائلة التي وصلت إليها السيارة الهوائية، في حين هما يصعدان ببطء عبر الهواء الطلق تاركين البوابة التي عبرا منها لتكون ثقبًا خفيًا في الحائط الذي يومض خلفهما.

الحائط.

تحدى الحائط المخيلة، أغواها وهزمها. كان اتساع الحائط يسبب الشلل إلى درجة أن قمته، قاعدته وجانبيه غابا خلف مدى النظر. مجرد صدمة الدوار يمكن أن تقتل رجلًا.

بدا الحائط مسطحًا تمامًا، فهو يتطلب أدق تجهيزات القياس الليزرية لتكشف، مع صعودها، إلى اللانهاية كما يبدو، وهبوطها السريع، وطيرانها على كل من الجانبين، أنه متقوس. وبعد ثلاث عشرة ثانية ضوئية تلتقي التجهيزات بنفسها. بتعبير آخر فإن الحائط شكل السطح الداخلي لجسم كروي مجوف، قطره ثلاثة ملايين ميل ومغمور بضوء لا يصدّق.

قال سلارتيبارتفاست: «أهلًا بك»، ولما راحت السيارة الهوائية، التي بدت كذرة صغيرة تطوف أسرع بثلاث مرات من الصوت، تزحف ببطء إلى الفضاء الواسع على نحو لا يوصف، قال: «أهلًا بك، في معملنا».

حدق آرثر حوله في حالة من الرعب والدهشة، اصطفت أمامهما، على مسافات لم يقدر أن يقررها أو يخمنها، أدوات تعليق غريبة، وزخرفات دقيقة من المعدن والضوء معلقة حول أشكال كروية مبهمة معلقة في الفضاء.

قال سلاتي بارتفاست: «هذا، هو المكان الذي نصنع فيه معظم كواكبنا كما ترى».

قال آرثر وهو يحاول تشكيل الكلمات: «أتقصد أنكم عدتم إلى العمل من جديد؟»

هتف العجوز قائلًا: «لا لا، يا ألطاف السماء، لا، ليست المجرة قريبة من الغنى الذي يسمح بدعمنا الآن. لا، لقد تم إيقاظنا لنقوم بعملية استثنائية من أجل... عملاء مميزين من بعد آخر. قد يهمك الأمر... هناك في المدى أمامنا».

تتبع آرثر إصبع الرجل العجوز حتى تمكّن من التقاط البناء العائم الذي كان يشير إليه. كان بالتأكيد البناء الوحيد من مبان عدة الذي أبدى علامة للنشاط حوله، ومع ذلك فلقد كان ذلك انطباعًا أكثر هيبة من أي شيء يمكن أن يشير إليه شخص.

إنها، في تلك اللحظة تقوس وميض من الضوء عبر البناء كاشفًا براحة شديدة عن الأنماط التي كانت تتشكل على الجسم الكروي المعتم من الداخل. لم تكن هذه الأنماط غريبة عن آرثر، كانت أشكالًا خشنة شبه دائرية مألوفة له مثل أشكال الكلمات، جزء من أثاث عقله. جلس لثوان عدة بصمت، مذهولًا، وازدحمت الصور في عقله محاولة أن تجد مكانًا تستقر فيه وتصبح منطقية.

أخبره جزء من دماغه أنه كان يعرف ما ينظر إليه تمامًا وما مثلته الأشكال في حين رفض الآخر بحساسية تأييد الفكرة وتنازل عن مسؤولية إمعان الفكر في ذلك الاتجاه.

لمع الضوء مجددًا، لم يكن هنالك مجال للشك هذه المرّة.

همس آرثر قائلًا: «الأرض»...

قال سلارتيبارتفاست بمرح: «حسنًا، إنها الأرض بنسختها الثانية في الواقع، إننا نصنع نسخة من مسودتنا الأصلية».

كان ثمّة توقف مؤقت.

قال آرثر ببطء وهو مسيطر على نفسه: «هل تحاول إخباري أنكم أنتم... من صنع الأرض في الأصل؟»

قال سلارتيبارتفاست: «أوه، نعم، هل ذهبت من قبل إلى مكان... أعتقد أن اسمه النرويج؟»

قال آرثر: «لا، لم أذهب».

قال سلارتيبارتفاست: «يا للأسف، كان ذلك من صنعي، فاز بجائزة كا تعلم. حواف جميلة ومجعدة. أزعجني جدًّا خبر دمارها».

- «أزعجك؟»

- «نعم، لو أنّ الأمر تأخر خمس دقائق أخرى لما كان ذا شأن، لقد كان تخريبًا فظيعًا».

قال آرثر: «هاه؟»

- «كانت الفئران غاضبة».

- «كانت الفئران غاضبة؟»

قال العجوز ببرودة: «نعم».

- «نعم وأتوقع أن يكون قد تسبب بالغضب للكلاب والقطط وحيوانات منقار البط، لكن»...

- «آه، لكنهم لم يدفعوا ثمنه كما ترى، هل دفعوا؟»

قال آرثر: «اسمع، هل سأوفر عليك وقتًا كثيرًا إن استسلمت وجن جنوني الآن؟»

طارت السيارة الهوائية لفترة بصمت مربك. عند ذلك حاول العجوز أن يفسر الأمر بصبر.

قال: «أيها الأرضي، إن الكوكب الذي عشت عليه كان تفويضًا، مدفوع الثمن، وكانت تديره الفئران. تم تدميره قبل أن يتم المهمة التي بني من أجلها بخمس دقائق، وعلينا أن نبني واحدًا آخر».

سُجلت كلمة واحدة لديَّ آرثر الذي قال: «فئران؟»

- «بالطبع أيها الأرضي».

- «اسمع، معذرة، هل نحن نتحدث عن الأشياء الفروية البيضاء الصغيرة المتعلقة بالجبنة، التي تسبب وقوف النساء على الطاولات وهن يصرخن في مسلسلات بداية الستينيات؟»

سعل سلارتيبارتفاست بتهذيب وقال: «من الصعب أحيانًا تتبع نمطك في الحديث أيها الأرضي. تذكر أنني كنت نائمًا داخل كوكب ماغراثيا لخمسة ملايين عام ولا أعلم الكثير عن مسلسلات بداية الستينيات التي تتحدّث عنها. هذه المخلوقات التي تدعوها فئران، كما تعلم، ليست على ما تبدو عليه. إنها مجرد نتوء إلى بعدنا لمخلوقات عالية الذكاء من بعد لا مرئي. وليست مسألة الجبنة وصوت الصرير سوى مظهر خارجي».

توقف العجوز عن الكلام ثم تابع بعبسة ودود فقال: «أخشى أنهم كانوا يجرون التجارب عليكم».

فكر آرثر في هذا للحظة ومن ثم صفا وجهه، قال: «آه، لا، عرفت مصدر سوء الفهم الآن. لا، اسمع، ما حصل هو أننا كنا نجري الاختبارات عليها، غالبًا ما كانت تستخدم في الأبحاث السلوكية، بافلوف ومن معه. فما حصل أن الفئران كانت تدخل في كل الاختبارات، كتعلم رن الأجراس، والركض في متاهات، حتى يتم معاينة طبيعة عملية التعلم ككل. ومن مراقبتنا لسلوكها تمكنا من تعلم كل الأشياء عن أن»...

ذبل صوت آرثر.

قال سلارتيبارتفاست: «يا لها من حدة في الذكاء، لا يمكن للمرء إلا أن يعجب بها».

قال آرثر: «ماذا؟»

- «كم من الأفضل أن تُخفي طبيعتها الحقيقية، وكم من الأفضل أن تتحكم بتفكيركم، فتركض فجأة في الطريق الخطأ من المتاهة، وتأكل القطعة الخطأ من الجبن، وتموت من الأمراض الفيروسية بطرائق غير متوقعة، إن تم حسابها على نحو دقيق فإن التأثير التراكمي هائل».

توقف من أجل التأثير، وتابع: «كما ترى أيها الأرضي، فهي بحق كائنات عالية الذكاء من بعد

لا مرئي. كان كوكبك وسكانه يشكلون مصفوفة لحاسوب عضوي يشغل برنامج أبحاث مدته عشرة ملايين عام... دعني أخبرك القصة كاملة، ستأخذ بعض الوقت».

قال آرثر بوهن: «ليس الوقت حاليًا أحد مشكلاتي».

الفصل الخامس والعشرون

هناك بالطبع العديد من الإشكاليات المرتبطة بالحياة، الأكثر شيوعًا منها هي: لِمَ يولد الناس؟ لم يموتون؟ لم يريدون قضاء الكثير من الوقت ما بين الحياة والموت وهم يرتدون ساعات رقمية؟

منذ ملايين السنين تضايق جنس من المخلوقات عالية الذكاء من بعد لا مرئي (التي لا يختلف مظهرها الخارجي في عالمها عنه في عالمنا) من التخاصم المستمر حول معنى الحياة الذي كان يقطع عليهم هوايتهم المفضلة بروكيان ألترا كريكيت (لعبة غريبة تتضمن ضرب الناس فجأة دون سبب واضح ومن ثم الهرب) لذا قرروا أن يجلسوا ويحلوا مشكلاتهم مرة واحدة وإلى الأبد.

لهذه الغاية بنوا حاسوبًا هائلًا وخارقًا، ذكاؤه مذهل لدرجة أنه قبل أن يتم وصل مخازن البيانات بدأ بعبارة «أنا أفكر إذًا أنا موجود» واستمر يعمل بقدر ما استمرت حلوى الأرز وضريبة الدخل قبل أن يتمكّن أحد من دون من إيقافه.

كان بحجم مدينة صغيرة.

تم تركيب منصة التحكم الأساسية فيه ضمن مكتب إداري صمم لهذه الغاية، وكانت موضوعًا على منضدة ضخمة مصنوعة من خشب الماهاغوني الفاخر، وعلى سطحها جلد فاخر باللون الأحمر الفاقع. تم فرش السجاد القاتم الفاخر بحكمة، والنباتات الغريبة الموضوعة في القدور وصور مبرمجي الحاسوب الأساسي وأسرهم المنقوشة بحسن وجمال كانت منشورة بسخاء في أرجاء الغرفة، ونوافذ فخمة مطلة على ساحة عامّة مسورة بالأشجار.

في يوم التشغيل الرئيس وصل اثنان من المبرمجين وقوري الهيئة ومعهما حقائبهما، تم إيصالهما إلى المكتب بتحفظ. كانا يدركان أنهما اليوم سيمثلان سلالتهما كاملة في أعظم لحظاتها، لكنّهما تصرفا برصانة وهدوء وهما يجلسان بوقار خلف المنضدة، ففتحا حقائبهما وأخرجا مفكراتهما المكسوة بالجلد.

كان اسماهما لونكويل وفوك.

جلسا بصمت مهيب لدقائق قليلة، وبعد تبادل نظرات صامتة مع فوك انحنى لونكويل إلى الأمام ولمس لوحة سوداء صغيرة.

دلت أكثر الهمهات رقة أن الحاسوب الهائل دخل في حالة فاعلية كاملة. بعد توقف للحظة كلمهما بصوت رنان وعميق.

قال: «ما المهمة العظيمة التي من أجلها تم استدعائي أنا، الفكر العميق، ثاني أعظم حاسوب في فضاء الزمان والمكان، إلى الوجود؟»

نظر لونكويل وفوك إلى بعضيها بدهشة.

بدأ فوك بالقول: «إن مهمتك، يا حاسوبنا»...

قال لونكويل بقلق: «لا، انتظر لحظة، هذا غير صحيح، لقد قمنا تحديدًا بتصميم هذا الحاسوب ليكون أعظم حاسوب على الإطلاق ولن يناسبنا أن يكون الثاني». ثم وجه حديثه إلى الحاسوب وقال: «أيها الفكر العميق، ألست كما صممناك أعظم وأقوى حاسوب على الإطلاق؟»

ترنم الفكر العميق قائلًا: «لقد وصفت نفسي بأنني ثاني أعظم حاسوب، وهذا ما أنا عليه».

عبرت نظرة قلق أخرى وجهي المبرمجين، وسعل لونكويل قائلًا: «لا بد أن يكون ثمّة خطأ، ألست أعظم من حاسوب ميليارد غارغانتوبرين الذي يستطيع في جزء من ألف من الثانية أن يحصي عدد الذرات في نجم؟»

قال الفكر العميق باحتقار جلي: «حاسوب ميليارد غارغانتوبرين؟ مجرد عداد، لا تذكره».

قال فوك وهو ينحني إلى الأمام بقلق: «وأنت، ألست محللًا أعظم من حاسوب غوغل بليكس ستار ثينكر في المجرة السابعة من الضوء والإبداع الذي يستطيع حساب مسار كل ذرة غبار من عواصف دانغراباد بيتا الرملية التي تستمر لخمسة أسابيع؟»

قال الفكر العميق بغطرسة: «عاصفة رملية لخمسة أسابيع؟ أتسألني ذلك وأنا الذي توقعت المسار المستقيم لكل ذرة من ذرات الانفجار الكبير نفسه؟ لا تضايقني بحسابات تافهة كهذه».

جلس المبرمجان صامتين بضيق لوهلة، ثم انحنى لونكويل إلى الأمام مرّة أخرى وقال: «لكن ألست مجادلًا أشرس من المجادل النيوتروني المشابه - الشمولي المدمر العظيم في كوكب سيسرونيكوس ١٢، الفاتن والمصر؟»

قال الفكر العميق وهو يشدّد على حروف الراء: «يمكن للمجادل النيوتروني المشابه - الشمولي المدمر العظيم أن يحرم الحمار الأركتوري الهائل من سيقانه الأربع، لكن أنا فقط من يستطيع إقناعه بالذهاب في نزهة بعد ذلك».

سأل فوك: «إذًا، أين المشكلة؟»

قال الفكر العميق بنبرات فخمة متصاعدة: «لا توجد مشكلة، أنا ببساطة ثاني أعظم حاسوب في فضاء الزمان والمكان».

أصر لونكويل قائلًا: «لكن الثاني؟ لم لا تنفك تقول الثاني؟ بالتأكيد لم يخطر في بالك حاسوب الملتيكورتيكويد بيرسبيكترون تايتان مولر أليس كذلك؟ أو البوندرماتيك؟ أو ال-»...

لمعت أضواء احتقار عبر منصة الحاسوب وهدر قائلًا: «لا أستخدم أي وحدة من أفكاري لأجل هذه الأنظمة الساذجة! لا أتحدث سوى عن الحاسوب الذي سيأتي من بعدي!»

كان صبر فوك ينفد، فدفع بمفكرته جانبًا ودمدم قائلًا: «أظن أن الوضع يزداد حماسة أكثر من اللازم».

صرح الفكر العميق بقوله: «أنتم لا تعلمان شيئًا عن عصر المستقبل، ومع ذلك، بوساطة داراتي الإلكترونية الحافلة يمكنني الخوض في تيارات ديلتا اللانهائية الخاصّة باحتمالية المستقبل وأعرف بأنه لا بد أن يكون يوم يأتي فيه حاسوب لن أكون جديرًا بحساب أبسط متحولاته

التشغيلية، لكن سيكون مقدرة لي في النهاية أن أصممه».

كان تنهد فوك بعمق ونظر إلى لونكويل ثم قال: «هل يمكننا أن نتابع ونسألك السؤال؟»

أشار إليه لونكويل أن ينتظر وسأل: «ما هذا الحاسوب الذي تتحدّث عنه؟»

قال الفكر العميق: «لن أتكلم عنه أكثر من ذلك في الوقت الراهن، الآن، سلاني ما الذي تريدانه مني كي أعمل. تكلما».

نظرا إلى بعضها وقد رفعا كتفيهما بشك، وهيأ فوك نفسه ثم قال: «يا حاسوب الفكر العميق، المهمة التي صممناك من أجل أن تنفذها هي التالية، نريدك أن تخبرنا»... توقف فوك للحظة ثم تابع: «... الإجابة!»

قال الفكر العميق: «الإجابة؟ الإجابة عمَّ؟»

استحثه فوك قائلًا: «الحياة!»

قال لونكويل: «الكون!»

صدحا معًا بصوت واحد: «كل شيء!»

توقف الفكر العميق اللحظة تفكير وقال في النهاية: «سؤال دقيق».

- «لكن هل تستطيع فعلها؟»

توقف مديد من جديد.

قال الفكر العميق: «نعم، أستطيع فعلها».

قال فوك وقد انقطع نفسه من الإثارة: «هل توجد إجابة؟»

أضاف لونكويل قائلًا: «إجابة بسيطة؟»

قال الفكر العميق: «نعم، الحياة، الكون، وكل شيء. هنالك إجابة، لكن، عليَّ أن أفكر فيها».

دمرت فوضى مفاجئة اللحظة، فقد انفتح الباب ودخل الغرفة رجلان غاضبان، من جامعة كروكسوان، يرتديان ثوبين من اللون الأزرق الخشن المضمحل وزنانير، دافعين بالخدم غير الفعالين الذين حاولوا سد طريقهما جانبًا.

صرخ الأصغر سنًّا بينهما: «نطالب بأحقية دخول!» ضاربة بكوعه سكرتيرًا جميلًا وشابًا على حنجرته.

صرخ الأكبر سنًا: «هيا، لا يمكنكم إبقاءنا في الخارج!» ودفع بمبرمج صغير إلى الخلف عبر الباب.

صاح الأصغر سنًا: «نحن نطالب بأنه لا يمكنكم الإبقاء علينا خارجًا!» بالرغم من أنّه كان في داخل الغرفة تمامًا ولم يقم أحد بمحاولات لإيقافه بعد ذلك.

قال لونكويل الذي نهض من مقعده بغضب: «من أنتما؟ ماذا تريدان؟»

أعلن الأكبر سنًا قائلًا: «أنا ماجيكثايز!»

صرخ الأصغر سنًّا: «وأنا أطالب بأن أكون ڤرومفاندل!»

استدار ماجيكثايز إلى ڤرومفاندل وشرح بغضب: «لا داعي لذلك، لا حاجة لك للمطالبة بذلك!»

صاح ڤرومفاندل وهو يضرب منضدة قريبة: «حسنًا! أنا ڤرومفاندل، وهذا ليس مطلبًا، هذه حقيقة ثابتة! ما نطالب به هو الحقائق الثابتة!»

هتف ماجيكثايز بغضب: «لا لسنا كذلك، ذلك بالتحديد ما لا نطالب به».

تابع ڤرومفاندل صياحه دون توقف: «نحن لا نطالب بحقائق ثابتة! ما نطالب به هو غياب كامل للحقائق الثابتة. أنا أطالب بأني قد أكون أو لا أكون ڤرومفاندل!»

هتف فوك الغاضب: «لكن من أنتما بحق الشيطان؟»

قال ماجيكثايز: «نحن، فيلسوفان».

قال ڤرومفاندل موجهًا إصبعه بشكل تحذيري إلى المبرمجين: «على الرغم من أننا قد لا نكون كذلك».

أصر ماجيكثايز قائلًا: «نعم، نحن كذلك. نحن بكل تأكيد هنا كممثلين عن اتحاد أمالغاماتيد للفلاسفة، المفكرين، الملهمين وأصحاب فكر آخرين، نريد أن تنطفي هذه الآلة ونريد إطفاءها الآن!»

قال لونكويل: «ما المشكلة؟»

قال ماجيكثايز: «سأخبرك ما المشكلة يا صاحبي، تحديد الوظائف، تلكم هي المشكلة!»

صاح ڤرومفاندل: «نحن نطالب أن يكون أو لا يكون تحديد الوظائف مشكلة!»

أخبرهما ماجيكثايز قائلًا: «استمر أنت في جعل الآلات تمضي بالمنطق، مشكورًا، وسنهتم نحن بالحقائق الأبدية، يجب أن تراجع الموضع القانوني الذي أنت به يا صاحبي. بحسب القانون فإن البحث عن الحقيقة المطلقة هو امتياز مفكريك العاملين غير القابل للنقض. إن قامت أي آلة لعينة بالبحث وبحق وجدت الإجابة نصبح جميعنا بلا عمل أليس كذلك؟ أقصد أنه ما النفع من جدالنا حتى منتصف الليل حول وجود الرب من عدمه إن كانت ستأتي هذه الآلة وتعطينا رقمه الهاتفي الخارق في صباح اليوم التالي؟»

صاح ڤرومفاندل قائلًا: «هذا صحيح! نحن نطالب بمجالات من الشك والريبة محددة المعالم!»

دوى فجأة صوت جهوري عبر الغرفة، كان الفكر العميق يتساءل: «هل يمكنني - أنا - أن أدلي بدلوي في هذه النقطة؟»

صاح ڤرومفاندل: «سنضرب عن العمل!»

وافقه ماجيكثايز: «هذا صحيح! ستشهدون إضرابًا وطنيًا للفلاسفة عن العمل قريبًا».

ازداد صوت الهمهمة في الغرفة على نحو مفاجئ مع تدخل بضع وحدات إضافية للصوت الجهوري، مركبة ضمن مجهارات في خزانة منحوتة ومصقولة برزانة وموزعة في أنحاء الغرفة، لتزيد من قوة صوت الفكر العميق بعض الشيء.

جار الحاسوب قائلًا: «كل ما أردت قوله هو أن داراتي الآن ملتزمة على نحو لا رجعة عنه في حساب إجابة السؤال الجوهري عن الحياة، الكون، وكل شيء» توقف قليلًا راضيًا بكونه قد جذب انتباه الجميع الآن قبل أن يستمر بهدوء أكبر: «لكن البرنامج سيتطلب مني بعض الوقت ليعمل».

نظر فوك بنفاد صبر إلى ساعته وقال: «كم من الوقت؟»

قال الفكر العميق: «سبعة ملايين ونصف المليون سنة».

طرف لونكويل وفوك عينيهما إلى بعضهما وانتحبا معًا في وقت واحد: «سبعة ملايين ونصف المليون سنة...!»

قال الفكر العميق مخاطبا إياهم: «نعم، قلت إن عليَّ أن أفكر في المسألة، أليس كذلك؟ ومن الجلي أن تشغيل برنامج كهذا منوط بإنشاء كمية هائلة من الدعاية الشعبيّة لمجال الفلسفة كاملًا بشكل عام. سيقوم الجميع بطرح نظرياتهم حول ما سيكون الجواب الذي سأصل إليه في النهاية، فمن يمكنه الاستفادة أكثر منها في سوق الإعلام هذا؟ ما دمتما تستطيعان الاختلاف مع بعضكما بعنف كافٍ وتنتقدان بعضكما على نحو لاذع في الصحافة الشعبية، يُمكنكما الاستمرار في كسب المال بسهولة مدى الحياة. كيف يبدو لك ذلك؟»

حدقه الفيلسوفان بدهشة.

قال ماجيكثايز: «يا للجحيم، هذا ما أدعوه تفكيرًا، يا ڤرومفاندل، لم لا نفكر أبدًا في أشياء كهذه؟»

قال ڤرومفاندل بلهجة مرتاعة: «لا أعرف، لا بد أن أدمغتنا مدربة على نحو أفضل».

ومع نهاية الحديث استدارا على عقبيهما وخرجا من الباب إلى نمط حياة يتخطى أعظم أحلامها.

الفصل السادس والعشرون

بعدما انتهى سلارتيبارتفاست من رواية أهم النقاط في القصة لآرثر قال الأخير: «نعم، مفيد جدًّا، لكنني لا أفهم ما علاقة كل ذلك بالأرض والفئران والأشياء الأخرى».

قال العجوز: «هذا ليس سوى النصف الأول من القصة أيها الأرضي، إن أحببت أن تعرف ما الذي حصل بعد سبعة ملايين ونصف من الأعوام، في يوم الإجابة العظيم، فتفضل إلى مكتبي حيث يُمكنك اختبار الأحداث بنفسك عبر تسجيلات سينس-و-تيب، إلا إن كنت تحب أن تأخذ مسيرة سريعة على سطح الأرض الجديدة. أخشى أنها نصف مكتملة فقط، فنحن لم ننته حتى من دفن هياكل الديناصورات العظمية الاصطناعية في قشرة الأرض، ومن ثم علينا وضع العهدان الثلثي والربعي من العصر الحديث، و»...

قال آرثر: «لا، شكرًا لك، لن تكون نفسها تمامًا».

قال سلارتيبارتفاست: «لا، لن تكون» وأدار السيارة الهوائية عائدًا إلى الحائط العملاق.

الفصل السابع والعشرون

كان مكتب سلارتيبارتفاست في حالة فوضى عارمة، مثل مكتبة عامّة حصل فيها انفجار. عبس العجوز وهو يدخل.

قال: «يا لشدة التعاسة، لقد انفجر صمام في أحد حواسيب دعم الحياة. عندما حاولنا إنعاش موظفي التنظيف اكتشفنا أنهم موتى من نحو الثلاثين ألف سنة. ما أريد معرفته هو من سيزيل الجثث، اسمع، لم لا تجلس هناك وتدعني أقوم أصِلك؟»

أشار إلى آرثر باتجاه كرسي بدا كأنه مصنوع من القفص الصدري للستيغوسورس.

شرح العجوز قائلًا: «إنّه مصنوع من القفص الصدري للستيغوسورس». وانشغل بجمع قطعات صغيرة من الأسلاك من تحت أكوام ورق متداعية ومعدات رسم. قال: «هنا، أمسك هذه». وأعطى زوجًا من الأسلاك المجرّدة في نهاياتها لآرثر.

في اللحظة التي أمسكها طار عصفور خلاله.

كان معلقًا في الجو وغير مرئي إطلاقًا، وكانت تحته ساحة مدينة جميلة محاطة بالأشجار، ومن حولها أبنية إسمنتية بيضاء على مد النظر بتصميم خيالي رائع، لكنّها بالية بشكل أو بآخر، الكثير منها كان متصدعًا ومبقعًا بالمطر. إنما، اليوم كانت الشمس ساطعة، وهبت نسمة عليلة بلطف عبر الأشجار، والإحساس الغريب بأن كل الأبنية كانت تهمهم عاد سببه في الأغلب إلى حقيقة أن الساحة وكل الشوارع المحيطة بها كانت محتشدة بأناس مبتهجين. كانت فرقة موسيقية تعزف في مكان ما، وكانت الرايات ذات الألوان البهيجة ترفرف في النسيم، وكان الجو عبقًا بروح المهرجان.

شعر آرثر بالوحدة على نحو غريب وهو معلق في الهواء فوق المدينة من دون جسم، لكن قبل أن يتسنى له التفكير في الأمر صدح صوت عبر الساحة طالبًا الانتباه من الجميع.

على منصة مزيّنة بشكل جميل تقع أمام المبنى الذي كان ولا شك مطلًا على الساحة وقف رجل وراح يخاطب الجمع عبر المذياع.

صاح قائلًا: «أيها الناس المنتظرون في ظل الفكر العميق، السلالة الشريفة لڤرومفاندل وماجيكثايز، أعظم وأكثر المعلمين أهميّة في تاريخ الكون... زمن الانتظار انتهى!»

انطلقت هتافات حماسية بين الجموع، وسرت الأعلام والرايات الخفاقة وعويل الذئاب في الجو. بدت الشوارع الأضيق كأنها حشرات أم أربع وأربعين رجلًا مقلوبة على ظهورها وهي تحرك أرجلها بجنون في الهواء.

صاح مدير الحفل: «لقد انتظرت سلالتنا سبعة ملايين ونصف المليون سنة لهذا اليوم العظيم الذي نأمل أن يكون منيرًا، يوم الإجابة».

انطلقت هتافات الفرح من الجمع المبتهج.

صاح الرجل: «لن نستيقظ بعد الآن في الصباح لنفكر من أنا؟ ما غايتي في الحياة؟ هل يهم حقًّا، على مستوى الكون، إن لم أنهض وأذهب إلى العمل؟ لأننا سنعلم اليوم، مرة واحدة وإلى الأبد، الإجابة الواضحة والبسيطة عن كل هذا التذمر من مشكلات الحياة، والكون، وكل شيء!»

مع اهتياج الجمع من جديد، وجد آرثر نفسه ينسل إلى الأسفل عبر الهواء باتجاه إحدى النوافذ الفخمة في الطابق الأول من المبنى الذي يقع خلف المنصة التي كان يستعملها المتحدث ليخاطب الجموع.

شعر آرثر بلحظة من الرعب عندما توجه مباشرة باتجاه النافذة التي عبرها عندما وجد نفسه بعد ثانية تقريبًا قد مر عبر الزجاج الصلب من دون أن يلمسه.

لم يلحظ أحد في الغرفة وصوله الغريب، الذي لم يكن مفاجئًا لأنّه لم يكن هناك. بدأ يدرك أن التجربة ككل لم تكن سوى عرض صوري فاجأ آرثر على نحو كامل وتفوق عليه.

بدت الغرفة كما وصفها سلارتيبارتفاست تقريبًا، اعتني بها على نحو جيد ونُظفت بانتظام كل قرن تقريبًا إبّان سبعة الملايين ونصف المليون سنة. بدت منضدة الماهاغوني الفاخر بالية قليلًا في الأطراف، وتلاشي لون السجادة بعض الشيء، لكن منصة الحاسوب الضخمة كانت متموضعة بتألق رائع على الجلد الذي كسا المنضدة، ساطعة كأنها شيدت أمس.

جلس رجلان بسيطا الملابس باحترام أمام المنصة وانتظرا.

قال أحدهما: «لقد حان الوقت تقريبًا». وفوجي آرثر لرؤية كلمة تتشكل في الهواء بالقرب من عنق الرجل، كانت الكلمة لونكوال، ومضت الكلمة مرات عدة ثم اختفت مجددًا. قبل أن يتمكّن آرثر من استيعاب ذلك تكلّم الرجل الآخر وظهرت كلمة فاوتش بالقرب من عنقه.

قال الرجل الثاني: «منذ خمسة وسبعين ألف جيل شغل أسلافنا هذا البرنامج، وبعد كل هذا الوقت سنكون أول من يسمع الحاسوب يتكلم».

وافق الرجل الأول قائلًا: «مشهد مذهل يا فاوتش». أدرك آرثر فجأة أنه كان يشاهد تسجيلًا مع ترجمته.

قال فاوتش: «سنكون أول من يسمع إجابة السؤال العظيم عن الحياة...!»

قال لونكوال: «الكون...!»

- «وكل شيء...!»

قال لونكوال بإشارة صغيرة من يده: «صه، أعتقد أن الفكر العميق يتجهز للكلام».

كانت هنالك لحظة من الانتظار، في حين أخذت اللوحات في مقدمة المنصة تعود إلى الحياة. لمعت الأضواء، وفي حالة تجريبية من التشغيل وإيقاف التشغيل، واستقرت على نمط فقال. جاء صوت همهمة خفيفة من قنوات الاتصال.

قال الفكر العميق في النهاية: «صباح الخير».

قال لونكوال بتوتر: «إي... صباح الخير، أيها الفكر العميق، هل لديك... الـ، التي»...

قاطعه الفكر العميق بفخامة: «إجابة لكم؟ نعم لديَّ».

ارتجف الرجلان من شدّة الشوق، فانتظارهما لم يذهب سدى.

قال فاوتش لاهثًا: «هل توجد إجابة حقًّا؟»

أكد الفكر العميق: «توجد إجابة حقًّا».

- «لكل شي؟ للسؤال العظيم عن الحياة، والكون، وكل شيء؟»

- «نعم».

تم تدريب الرجلين لأجل هذه اللحظة، حياتهما كانت عبارة عن تحضير لها، تم انتقاؤهما منذ الولادة ليكونا الشخصين اللذين سيشهدان الإجابة، ومع كل هذا وجدا نفسيهما متلهفين ومرتبكين كطفلين يشعران بالإثارة.

ألح لونكوال قائلًا: «وهل أنت مستعد لإعطائنا إياها؟»

- «أنا كذلك».

- «الآن؟»

قال الفكر العميق: «الآن».

لعق كل منهما شفته الجافة.

أضاف الفكر العميق: «على الرغم من أنني لا أظن أنكما ستحبانها».

قال فاوتش: «لا يهم! يجب أن نعرفها! الآن!»

استفسر الفكر العميق: «الآن؟»

«نعم! الآن»...

قال الحاسوب: «حسنًا». وصمت من جديد، وتململ الرجلان، فالتوتر كان لا يطاق.

علق الفكر العميق: «حقًّا لن تعجبكما الإجابة».

- «أخبرنا!»

قال الفكر العميق: «حسنًا، إجابة السؤال العظيم»...

- «نعم...!»

قال الفكر العميق: «عن الحياة، الكون، وكل شيء»...

- «نعم...!»

قال الفكر العميق: «هي»... وتوقف.

- «نعم...!»

- «هي»...

- «نعم...!!!...؟»

قال الفكر العميق بعظمة ورصانة لا نهائيتين: «اثنان وأربعون».

الفصل الثامن والعشرون

مضى وقت طويل قبل أن يتكلم أحد.

من طرف عينه كان فاوتش يستطيع رؤية بحر من الوجوه المتوترة والمتلهفة في الساحة بالخارج.

قائلا: «سيجري إعدامنا من دون محاكمة أليس كذلك؟»

قال الفكر العميق ببرود: «كانت مهمّة قاسية».

صاح لونكوال: «اثنان وأربعون! هل هذا كل ما تمكنت منه في سبعة ملايين ونصف المليون سنة من عملك؟»

قال الحاسوب: «لقد تفحصت الإجابة بشكل كامل، وهذه هي حتمًا. أعتقد أن المشكلة، لأكون صادقًا معكما، تكمن في أنكما لم تعرفا السؤال».

صرخ لونكوال: «لكنه السؤال العظيم! السؤال الجوهري عن الحياة، الكون، وكل شيء!»

قال الفكر العميق بنبرة من يتحمل المغفلين بسرور: «نعم، لكن ما هو فعليًا؟»

انسلَّ صمت حذر إلى الرجلين وهما يحدقان إلى الحاسوب ومن ثم إلى بعضهما.

اقترح فاوتش بضعف: «حسنًا، كما تعلم، إنّه كل شيء... كل شيء»...

قال الفكر العميق: «بالضبط! لذا فحين تعرفان ما هو السؤال فعليًا، فستعرفان ما تعنيه الإجابة».

دمدم فاوتش قائلًا: «آه، رائع». وقد قذف بمفكرته جانبًا ومسح دمعة صغيرة.

قال لونكوال: «حسنًا، اسمع، اسمع، هل يُمكنك من فضلك أن تخبرنا السؤال؟»

- «السؤال الجوهري؟»

- «نعم!»

- «عن الحياة، الكون، وكل شيء؟»

- «نعم!»

تأمل الفكر العميق في ذلك قليلًا وقال: «سؤال دقيق».

ناح لونكوال قائلًا: «إنما، هل يُمكنك عمل ذلك؟»

تأمل الفكر العميق في ذلك للحظة أطول، وفي النهاية قال بحزم: «لا».

انهار كلا الرجلين على مقعديها بقنوط.

قال الفكر العميق: «لكني سأخبركما بمن يستطيع».

نظرا كلاهما إلى الأعلى بعنف وقالا: «من؟ أخبرنا!»

شعر آرثر فجأة بأن فروة رأسه غير الموجودة تتخدر عندما أحسّ بنفسه يتحرك باتجاه المنصة ببطء وعناد، لكنه افترض أنه تقريب مسرحي من طرف من صنع التسجيل.

ترم الفكر العميق قائلًا: «لا أتحدث سوى عن الحاسوب الذي سيأتي من بعدي، وقد استعاد صوته نبرته الخطابية المعتادة، «حاسوب لست جديرًا بحساب أبسط متحولاته التشغيلية - ومع ذلك سأصممه لكما. حاسوب يمكنه حساب الإجابة الجوهرية، حاسوب مطلق وبارع التعقيد إلى درجة أن الحياة العضوية ستكون جزءًا من مصفوفته التشغيلية. وأنتما أنفسكما ستأخذان شكلين جديدين وستهبطان إلى الحاسوب لتقودا برنامجه ذا عشرة الملايين عام! نعم! سأصمم هذا الحاسوب لأجلكما، وسأسميه أيضًا لكما، وسيكون اسمه... الأرض».

حدق فاوتش الفكر العميق وهو فاغر فاه ثم قال: «يا له من اسم غبي». ظهرت تشققات كبيرة على طول جسمه، وفجأة جُرح لونكوال أيضًا من العدم. تلطخت منصة الحاسوب وتصدعت، واضطربت حيطان الغرفة واهتزت وهي تتساقط إلى الأعلى على سقفها...

كان سلارتيبارتفاست يقف أمام آرثر ممسكًا بالسلكين وهو يقول: «نهاية الشريط».

الفصل التاسع والعشرون

«زيفود! استيقظ!»

«امممممههههمم؟»

«هيا، استيقظ».

تمتم زيفود: «دعني أمارس ما أجيده، موافق؟» وعاد لينام مديرًا ظهره إلى مصدر الصوت.

قال فورد: «هل تريدني أن أركلك؟»

قال زيفود بتعب: «هل ستمنحك الكثير من المتعة؟»

- «لا».

لف زيفود نفسه وقال: «ولا أنا، فما القصد؟ توقف عن مضايقتي».

قالت تريليان وهي تنظر إليه: «لقد استنشق جرعة مضاعفة من الغاز، ضعف حجم القصبات الهوائية».

قال زيفود: «وتوقفي عن الكلام، من الصعب العودة إلى النوم بطبيعة الحال، ما خطب الأرض؟ إنها قاسية وباردة».

قال فورد: «إنها ذهبية».

بحركة باليه مذهلة كان زيفود واقفًا وهو يتفحّص الأفق، لأن الأفق هو الحد الذي امتد إليه الذهب في كل اتجاه، أملس وصلبًا بشكل تام. راح يومض مثل... من المستحيل قول مثل ماذا كان يومض فلا شيء في الكون يومض مثلما يفعل كوكب من الذهب الصلب.

قال زيفود وقد جحظت عيناه: «من وضع كل ذلك هناك؟»

قال فورد: «لا داعي للحماس، إنِّه مجرد عرض».

- «ماذا؟»

قالت تريليان: «عرض، وهم».

صاح زيفود قائلًا وقد سقط على أيديه وركبتيه وراح يحدّق إلى الأرض: «كيف يُمكنك قول ذلك؟» لكزها وكزها بأظافره، كانت ثقيلة جدًّا وناعمة جدًّا، كان من الممكن له أن يضع عليها علامة بظفره. كانت صفراء جدة وبراقة جدًّا، ولما تنفس عليها تبخر نفسه عنها وفق الطريقة الخاصّة والمميزة نفسها التي يتبخر بها النفس عن الذهب الصلب.

قال فورد: «استعدنا وعينا أنا وتريليان منذ مدة، صحنا وصرخنا حتى أتى أحدهم ثم تابعنا الصراخ والصياح حتى انزعجوا ووضعونا في معرض كوكبهم ليشغلونا إلى أن يكونوا جاهزين للتعامل معنا. هذا ليس سوى سينس-و-تيب».

بمرارة حدقه زيفود وقال: «اللعنة، توقظني من منامي الرائع حتى تريني منام شخص آخر». ثم جلس بغضب وقال: «ما سلسلة الوديان تلك التي هناك؟»

هي قال فورد: «مجرد علامات تمييز، لقد ألقينا نظرة عليها».

قالت تريليان: «لم نوقظك في وقت أبكر، الكوكب السابق كان ممتلئًا بالأسماك».

- «أسماك؟»

- «بعض الناس يحبون أغرب الأشياء».

- «وقبله كان من البلاتين، ممل قليلًا، لكننا اعتقدنا أنك تحب أن ترى هذا».

توهجت عليهم بحار من الأنوار ببريق متواصل من كل اتجاه.

قال زيفود بفظاظة: «جميل جدًا».

ظهر في السماء رقم عرض أخضر كبير، لمع ثم تغير، ولما نظروا حولهم كانت الأرض قد تغيرت أيضًا.

قالوا معًا بصوت واحد: «يا للقرف».

كان البحر أرجوانيًا، وكان الشاطئ مكونًا من بلورات صخرية خضراء وصفراء، من المفترض المفترض أن تكون أحجارًا نفيسة بشدة. بدت الجبال في الأفق لينة وهي تتموج بقممها الحمر. انتصبت بالقرب منهم طاولة شاطئ من الفضة الصلبة مع مظلة بنفسجية مهذبة ودعائم فضية.

ظهرت في السماء لافتة مكان رقم العرض كُتب عليها: مهما كان ذوقكم، يمكن لماغراثيا أن تخدمكم. لسنا فخورين.

وسقطت من السماء بالمظلات خمسمئة من النساء العاريات بشكل كامل.

تلاشى المشهد على الفور تاركًا إياهم في مرج ربيعي ممتلئ بالأبقار.

قال زيفود: «آخ، دماغي!»

قال فورد: «هل تريد التحدّث في الأمر؟»

قال زيفود: «نعم، حسنًا». وجلسوا ثلاثتهم متجاهلين المشاهد التي راحت تتغير من حولهم.

قال زيفود: «اكتشفت أنه إن حصل أي شيء لدماغي فأنا من فعل ذلك، ولقد فعلتها بطريقة لا يمكن كشفها من قبل الاختبارات التصويرية التي تجريها الحكومة. ولم ينبغ لي معرفة أي شيء

عن ذلك، إنّه أمر جنوني، أليس كذلك؟»

أومأ الآخران برأسيها دليلًا على الموافقة.

«لذا أفكر، ما هو السر الذي لا يمكنني أن أدع أحدًا يعرف أنني أعرفه، بمن فيهم الحكومة المجرّية وأنا نفسي؟ والإجابة هي أنني، كما هو واضح، لا أعرف. لكني رتبت بعض الأمور ويمكنني البدء بالتخمين. متى قررت أن أترشح للرئاسة؟ بعد وفاة الرئيس يودن فرانكس بفترة قصيرة. ألا تتذكر بودن يا فورد؟»

قال فورد: «نعم، كان ذلك الشخص الذي قابلناه عندما كنا طفلين، القبطان الأركتوري. لقد أعطانا كونكير عندما دخلت سفينة الشحن الهائلة خاصته. وقال إنك أكثر الأولاد الذين قابلهم إثارة للدهشة».

قالت تريليان: «ما كل هذا؟»

قال فورد: «تاريخ عتيق، عندما كنا طفلين معًا على بيتلجوس. كانت سفن الشحن الأركتورية الهائلة تنقل معظم التجارة الضخمة بين المركز المجري والمناطق النائية. كان كشافة بيتلجوس التجاريون يجدون الأسواق ويزودهم الأركتوريون بالمؤن. كان هنالك الكثير من المتاعب مع قراصنة الفضاء قبل أن يتم تدميرهم في حروب دورديليس، وكان يجب تزويد سفن الشحن الهائلة بأروع الدروع الدفاعية التي عرفها العلم المجرّي. كانت هذه السفن ووحوشًا ضخمة مقارنة ببقية السفن، بمدار حول كوكب كان يمكن لها أن تتسبب بكسوف الشمس.

وفي أحد الأيام، قرر زيفود الشاب أن يُغير على إحداها باستخدام دراجة ثلاثية الدفع مصممة لأعمال الطبقة العليا في الغلاف الجوي، كان مجرد ولد. أقصد أنه مستحيل، كان ذلك أكثر جنونًا من حمار مخبول. ذهبت معه لأنني كنت سأحصل على مال من رهاني بأنه لن يفعلها، ولم أرده العودة ومعه دليل زائف. فما الذي حصل؟ ركبنا دراجته التي كان قد حسن من أداء محركاتها إلى شيء آخر كليًا، قطعنا ثلاثة فراسخ نجمية في أسابيع، واقتحمنا سفينة الشحن الهائلة بطريقة لا أزال لا أعرفها. خطونا حتى وصلنا إلى المنصة ملوحين بمسدسات ألعاب ومطالبين بكونكير. شيء جامح لم أعرفه من قبل، كلفني مصروف سنة. من أجل ماذا؟ كونكير».

قال زيفود: «كان القبطان يودن فرانكس شخصًا رائعًا، لقد أعطانا الطعام والشراب الروحي - أشياء من أماكن غريبة من المجرة - والكثير من الكونكير بالطبع، وأمضينا أروع الأوقات. ومن ثم أعادنا إلى الجناح الأكثر حماية من سجن بيتلجوس. كان شخصًا لطيفًا، أصبح فيما بعد رئيسًا للمجرة».

توقف زيفود لوهلة.

كان المشهد من حولهم غارقًا في الكآبة، لف ضباب داكن حولهم واختبأت أشكال فيلية بشكل مبهم في الظلال، كان صوت مخلوقات وهمية تقتل مخلوقات وهمية أخرى يمزق الهواء بين الفينة والأخرى. من الجلي أن الناس قد أحبوا هذا النوع من الأشياء حتى يتم دفع المال لقاءها.

قال زيفود بهدوء: «فورد».

- «نعم؟»

- «أتى بودن لرؤيتي قبل أن يموت».

- «ماذا؟ لم تخبرني قط».

- «لا».

- «ما الذي قاله؟ ما السبب الذي دفعه إلى رؤيتك؟»

- «أخبرني عن قلب الذهب، كانت فكرته أن عليَّ سرقتها».

- «فكرته؟»

قال زيفود: «نعم، والطريقة الوحيدة لسرقتها كانت بحضور مراسم إطلاقها».

حدقه فورد لوهلة بذهول ثم انفجر ضاحكًا، قال: «هل تقول لي إنك جهزت نفسك لتصبح رئيسًا للمجرة لتسرق تلك السفينة فقط؟»

قال زيفود: «بالضبط». وكشر بطريقة يمكن أن تتسبب بسجن معظم الناس في غرفة ذات جدران مريحة[10].

قال فورد: «لكن لِمَ؟ ما الشيء المهم في امتلاكها؟»

قال زيفود: «لا أعلم، أعتقد أنني لو كنت مدركة لأهميتها وسبب حاجتي إليها لكان ظهر ذلك في اختبارات تصوير الدماغ وما كنت لأجتازها، وأعتقد أن بودن أخبرني كثيرًا من الأشياء التي لا تزال حبيسة».

- «لذا، تظن أنك دخلت دماغك بقلة اكتراث بسبب حديث بودن إليك».

- «لقد كان متحدثًا بارعًا».

- «نعم، لكن يا صديقي القديم زيفود، عليك أن تعتني بنفسك كما تعلم».

هر زيفود كتفيه.

سأله فورد: «أقصد أليس لديك أي مسوغات ولو طفيفة لكل هذا؟»

فكر زيفود في الموضوع بجديّة وبدا عليه أن الشكوك تعبر عقله، وقال في النهاية: «لا، لا أبدو أنني أسمح لنفسي بالولوج إلى أي من أسراري» وأضاف بعد تفكر: «لكنني أتفهم ذلك، فلست أثق بنفسي أكثر من البصق على جرذ».

بعد وهلة، اختفى آخر كوكب في العرض من تحتهم وحلَّ العالم الحقيقي من جديد.

كانوا جالسين في غرفة انتظار مترفة ممتلئة بالطاولات التي يعلوها الزجاج ومكافآت التصميم.

كان يقف أمامهم رجل ماغراثي طويل، قال: «سيراكم الفأران الآن».

الفصل الثلاثون

قال سلارتيبارتفاست: «ها قد علمت بالأمر»، وهو يقوم بمحاولة روتينية ضعيفة لإزالة بعض الفوضى المرعبة من مكتبه. التقط ورقة من أعلى الكومة لكنه لم يدر أين يضعها فأعادها إلى مكانها على الكومة التي انهارت من غير إبطاء. «صمم الفكر العميق الأرض، بنيناها نحن، وأنتم عشتم عليها».

أضاف آرثر بمرارة: «ثم أتى الڤوغونيون فدمروها قبل أن يكتمل عمل البرنامج بخمس دقائق». قال العجوز: «نعم». وتوقف ليحدق الغرفة بيأس. «عشرة ملايين سنة من التخطيط والعمل ذهبت سدى. عشرة ملايين سنة أيها الأرضي.... هل يُمكنك فهم دورة زمنية كتلك؟ يمكن لحضارة مجرّية أن تنمو مبتدئة بدودة واحدة خمس مرات في وقت كهذا. كل ذلك اختفى». توقف قليلًا ثم أضاف: «حسنًا، تلك هي البيروقراطية بالنسبة إليك».

قال آرثر بتمعن: «أتعلم؟ هذا يفسر الكثير من الأشياء، طوال حياتي رافقني هذا الإحساس الغريب غير القابل للتفسير بأن شيئًا ما كان يحصل في العالم، شيئًا ضخمًا، حتى إنِّه شرير، ولم يكن لأحد أن يخبرني بماهيته».

قال العجوز: «لا، هذا جنون ارتياب طبيعي، كل من في الكون مصاب به».

قال آرثر: «الكل؟ إذًا بما أن الكل، فلربما عنى شيئًا! من الممكن أن يكون في مكان ما خارج الكون الذي نعرفه»...

قال سلاتيبارتفاست قبل أن تزداد حماسة آرثر: «ربما، من يهتم؟ ربا أنا متعب وهرم لكنني دائم الاعتقاد بأن فرص اكتشاف ما يجري حقًّا بعيدة على نحو كبير إلى درجة أن الشيء الوحيد الذي يمكن فعله هو التخفيف من الإحساس بالأمر قدر المستطاع وإبقاء نفسك مشغولًا. انظر إليَّ، أنا أصمم الخطوط الساحلية، لقد كوفئت لأجل النرويج».

تفحص كومة من الحطام وأخرج قالبًا بلاستيكيًا ضخمًا نقش عليه اسمه وأنموذج النرويج.

قال: «أين المعنى في ذلك؟ حاولت اكتشافه لكنه غير موجود. أمضيت حياتي وأنا أصنع المضائق البحرية. للحظة زائلة يصبحون أنيقين وأحصل على مكافأة كبيرة».

قلبه بين يديه بلا مبالاة ومن ثم رماه بعيدًا بقلة اكتراث، لكن ليس بالكثير من قلة الاكتراث فلا يهبط على شيء لين.

في هذه الأرض البديلة التي نصنعها تم توكيلي بصنع أفريقيا، وبالطبع أنا أصنعها بكل المضائق البحرية من جديد لأنني أحببتهم، وأنا قديم الطراز إلى درجة أنني أظن أنهم يعطون القارة إحساسًا بعدم الاتساق. وهم يقولون لي إنها غير استوائية على نحو كافٍ. استوائية!» ضحك ضحكة عميقة وتابع: «ماذا يهم الأمر؟ لقد حقق العلم بعض الأشياء الرائعة بالطبع، لكنني دائمًا أفضل أن أكون سعيدًا على أن أكون محقًّا».

- «وهل أنت سعيد؟»

- «لا، وهنا يفشل كل شيء بالطبع».

قال آرثر بتعاطف: «يا للأسف، كان ليبدو نمط حياة جيدًا لولا ذلك».

لمع ضوء أبيض صغير في مكان ما على الحائط.

قال سلارتيبارتفاست: «تعال، سوف تقابل الفئران، إن وصولكم إلى الكوكب تسبب بإثارة كبيرة. لقد تم الترحيب به، حسب علمي، على أنه ثالث أكثر حدث غير محتمل الحصول في تاريخ الكون».

«ما كان أول اثنين؟»

قال سلارتيبارتفاست بلا مبالاة: «أوه، مجرد مصادفات في الأغلب». وفتح الباب منتظرًا آرثر ليتبعه.

نظر آرثر من حوله مرّة أخرى، ومن ثم إلى نفسه، إلى الملابس غير المرتبة التي كان يستلقي بها في الوحل صباح يوم الخميس.

دمدم لنفسه: «يبدو أنني أعاني من صعوبة فائقة في نمط حياتي».

قال العجوز بلطف: «أستميحك عذرًا؟»

قال آرثر: «لا شيء، كنت أمزح».

الفصل الحادي والثلاثون

من المعروف بالطبع أن الكلام الطائش قد يودي بالحياة، لكن المشكلة بأبعادها الكاملة لا تدرك دائمًا.

ففي سبيل المثال، في اللحظة التي قال فيها آرثر: «يبدو أنني أعاني من صعوبة فائقة في نمط حياتي». انفتح ثقب دودي غريب في الفضاء وحمل كلماته بعيدًا في الزمان عبر الامتداد اللانهائي تقريبًا للفضاء إلى مجرة بعيدة حيث التقت مخلوقات حربية غريبة على حافة حرب نجمية مرعبة.

كان القائدان المتناحران يلتقيان لآخر مرة.

خيم صمت رهيب على طاولة المؤتمر في حين نظر قائد الڤلهورغيين، الذي كان يلمع بسرواله الحربي القصير الأسود والمرصع بالجواهر، بشكل مباشر إلى قائد الجيغوغثونتيين، الذي كان يجثم في الجهة المقابلة في غيمة من البخار الأخضر طيب الرائحة، وبانتظار أمره مليون طرّاد نجمي أنيق ومسلح على نحو رهيب مستعدين لإطلاق موت كهربائي، وطالب المخلوق الشرير بسحب ما قاله عن أمّه.

تحرك المخلوق في بخاره الساخن الشاحب، وفي تلك اللحظة عبرت هذه الكلمات بالضبط طاولة المؤتمر: يبدو أنني أعاني من صعوبة فائقة في نمط حياتي.

يا للأسف، فإن هذه الكلمات في لغة الڤلهورغيين كانت أشنع إهانة يمكن تخيلها، ولم يتبق حل سوى شن حرب طاحنة لقرون.

في نهاية الأمر، بالطبع، وبعد أن تم تدمير مجرتهم بشكل شبه كامل على مدى بضعة آلاف من السنوات، تم اكتشاف أن الأمر برمته كان خطأً شنيعًا، لذا سوّت الأساطيل الحربية المتناحرة خلافاتهم القليلة المتبقية لشن هجوم مشترك على مجرتهم، المعروفة يقينيًا الآن بأنها مصدر التعليق المهين.

لبضعة آلاف من السنين، اندفعت السفن العظيمة بسرعة عبر فراغ الفضاء القاحل، وفي النهاية هبطت صارخة على أول كوكب مرّت به - الذي اتفق له أن يكون الأرض - حيث إنّه وبسبب خطأ حسابي فظيع بالقياسات، ابتلع كلب صغير الأساطيل الحربية بالكامل مصادفة.

إن الذين يدرسون التفاعل بين السبب والنتيجة في تاريخ الكون يقولون إن أشياء كهذه تحدث طيلة الوقت، لكن لا حول لنا ولا قوة على برهان ذلك، فيقولون: «إنها الحياة فحسب».

جلبت رحلة سيارة هوائية قصيرة كلا من آرثر والماغراثي العجوز إلى باب. تركا السيارة ودخلا عبره غرفة انتظار ممتلئة بالطاولات التي يعلوها زجاج والمكافآت البلاستيكية. مباشرة تقريبًا، لمع ضوء فوق الباب في الجهة المقابلة من الغرفة ودخلا.

صاح صوت: «آرثر! أنت سالم!»

قال آرثر وقد جفل: «أأكون كذلك؟ آه جيد».

تلطفت الإضاءة ولزمه بعض الوقت لرؤية فورد، وتريليان وزيفود جالسين حول طاولة كبيرة مزيّنة بشكل جميل بأطباق دخيلة، ومربيات غريبة وفواكه عجيبة. كانوا يأكلون بنهم.

تساءل آرثر: «ما الذي حل بكم؟»

قال زيفود وهو يهجم على قطعة لحم مشوية: «حسنًا، مضيفونا هؤلاء كانوا يعرضّوننا للغاز ويهاجمون عقولنا ويتصرفون على العموم بغرابة، والآن قدموا لنا وجبة شهية ليعوضوا لنا. خذ،» رفع قطعة من اللحم رديئة الرائحة من الوعاء، وتابع: «بعض من لحم وحيد القرن النباتي. إنها شهية إن صودف أنك تحب هذه الأشياء».

قال آرثر: «مضيفون؟ أي مضيفون؟ لا يمكنني رؤية أي»...

قال صوت ضعيف: «أهلًا بك إلى الغداء، أيها المخلوق الأرضي».

تمعن آرثر حوله وصاح فجأة: «يا للقرف! ثمّة فئران على الطاولة!»

عم صمت مربك وراح الجميع ينظرون إلى آرثر.

كان مشغولًا بالنظر إلى فأرين يجلسان، فيما بدا أنها كؤوس ويسكي على الطاولة. سمع الصمت ونظر حوله إلى الجميع.

قال بإدراك مفاجئ: «أوه! أوه، أعتذر، لم أكن مستعدة تمامًا ل-»...

قالت تريليان: «دعني أعرّفك، هذا الفأر بينجي يا آرثر».

قال أحد الفأرين: «مرحبًا». ولامس شارباه ما ينبغي أن يكون لوحة حساسة للمس داخل كأس الويسكي، وتحرك إلى الأمام قليلًا.

«وهذا الفأر فرانكي».

قال الفأر الآخر: «سررت بمعرفتك». وفعل مثل صاحبه.

حدّق آرثر فاغرًا فاه ثم قال: «لكن أليسا»...

قالت تريليان: «نعم، إنهما الفأران اللذان أحضرتها معي من الأرض».

نظرت في عينيه واعتقد آرثر أنه لحظ إذعانًا دقيقًا.

قالت: «هل يمكن أن تمرر لي الوعاء الذي يحتوي الحمار الأركتوري الهائل المبشور؟»

سعل سلارتيبارتفاست بلطف وقال: «اعذروني».

قال الفأر بنجي بحدة: «نعم، شكرًا لك يا سلارتيبارتفاست، يُمكنك الانصراف».

قال العجوز وقد بوغت قليلًا: «ماذا؟ أوه.... حسنًا، سأذهب إذًا وأتابع بعض من مضائقي البحرية».

قال الفأر فرانكي: «حسنًا، في الواقع لن يكون ذلك ضروريًّا، يبدو جليًا أننا لن نكون بحاجة إلى الأرض الجديدة بعد الآن». أدار عينيه الزهريتين الصغيرتين وتابع: «ليس بعد أن وجدنا مواطنًا من الكوكب كان موجودًا عليه قبل ثوان من تدميره».

صاح سلار تيبارتفاست برعب: «ماذا؟ لا يمكن أن تقصد ذلك! لدي الآلاف من أنهار الجليد المتوقفة في انتظار أن تجري فوق أفريقيا!»

قال فرانكي على نحو لاذع: «يُمكنك أن تأخذ عطلة للتزلج قبل أن تفككها».

صاح العجوز: «عطلة تزلج! أنهار الجليد هذه قطع فنية! خطوط منحوتة بأناقة، قمم محلقة من الجليد، وديان عميقة فخمة! سيكون التزلج على فن راق تدنيسًا!»

قال بنجي بحزم: «شكرًا لك يا سلارتيبارتفاست، هذا كل شيء».

قال العجوز بضعف: «حاضر يا سيدي، شكرًا جزيلًا لك». وقال لآرثر: «إلى اللقاء أيها الأرضي، أتمنى أن يتعافي نمط الحياة».

بايماءة صغيرة إلى بقية الجماعة استدار وخرج من الغرفة بحزن.

حدقه آرثر من الخلف غير عارف ما يمكن قوله.

قال الفأر بينجي: «إلى العمل الآن».

صلصل فورد وزيفود كأسيهما ببعضها. قالا: «إلى العمل!» قال بنجي: «أستميحكها عذرًا؟»

نظر فورد حوله وقال: «عذرًا، ظننتك تقترح نخبًا».

راح الفأران يعدوان بنفاد صبر في وسائط نقلهما الزجاجيّة. هدَّأا نفسيهما في النهاية وتحرك بينجي إلى الأمام ليخاطب آرثر.

قال: «إن الوضع الراهن هو على النحو التالي أيها المخلوق الأرضي، كما تعلم فلقد كنا بشكل أو بآخر ندير كوكبك في عشر الملايين سنة الماضية في محاولة منا كي نوجد هذا الشيء الحقير الذي يدعى بالسؤال الجوهري».

قال آرثر بحدة: «لم؟»

قال فرانكي مقاطعًا إياه: «لا، لقد فكرنا مسبقًا في هذا السؤال، لكنه لا يناسب الإجابة. لِمَ؟ اثنان وأربعون... أرأيت، غير مناسب».

قال آرثر: «لا، أقصد لم كنتم تفعلون ذلك؟»

قال فرانكي: «حسنًا فهمت، في النهاية هي مجرد عادة على ما أظن، لأكون صريحًا بقسوة. وهذه هي المشكلة بشكل أو بآخر، لقد سئمنا بشدة الأمر برمته، وإمكان القيام به مجددًا بسبب

هؤلاء القوغونيين المجانين يسبب لي الهيستيريا، هل تفهم ما أعنيه؟ بمحض المصادفة أنهينا أنا وبنجي عملنا الخاص وغادرنا الكوكب باكرًا من أجل عطلة سريعة، ومنذ ذلك الحين غيرنا طريقنا واتجهنا إلى ماغراثيا بوساطة أصدقائك».

أضاف بنجي: «إن ماغراثيا هي معبر يعيدنا إلى بعدنا».

تابع زميله القارض: «منذ ذلك الوقت قبلنا عرضًا بعقد ضخم جدًّا لتنفيذ برنامج حوار خماسي الأبعاد وحلقة محاضرة في بعدنا المحلي، ونحن ميالان للقبول به».

قال زيفود مشجعًا: «كنت لأقبل به، ألا تقبل به يا فورد؟»

قال فورد: «آه، نعم، أقفز عليه كطلقة».

نظر إليها آرثر متسائلًا عما سيقود إليه كل ذلك.

قال فرانكي: «لكننا حصلنا على المنتج كما ترى، لكن لنكون مثاليين فإننا لا نزال نحتاج إلى السؤال الجوهري بطريقة أو بأخرى».

انحنى زيفود باتجاه آرثر وقال: «كما تعلم، إن هما جلسا في الاستوديو متظاهرين بالراحة و، كما تعلم، يقومان فقط بذكر أنه تصادف لهما معرفة الإجابة للحياة، الكون وكل شيء، ومن بعد ذلك في النهاية يعترفان بأنها في الحقيقة اثنان وأربعون، فسيكون البرنامج قصيرًا بعض الشيء، ولن يُبنى عليه شيء كما تعلم».

قال بنجي: «يجب أن يكون لدينا شيء ما يبدو جيدًا».

هتف آرثر: «شيء ما يبدو جيدًا؟ سؤال جوهري يبدو جيدًا؟ زوج من الفئران؟»

انتصب الفأران بخشونة.

- «حسنًا، أقصد، نعم للمثالية، نعم لنُبل البحث العلمي النقي، نعم للبحث عن الحقيقة في كل أشكالها، لكنك تصل إلى مرحلة حيث أخشى أنك تبدأ بالشك بأنه إن كانت هنالك أي حقيقة حقيقيّة فهي أن اللانهاية متعددة الأبعاد للكون تكاد تكون تديرها بالكامل مجموعة من المجانين. وإذا وضعنا أمام خيار تمضية عشرة ملايين سنة أخرى لإيجاد الإجابة، أو أخذ المال والهرب من ناحية أخرى، فإنني أستطيع القيام بالتمرين».

ابتدأ آرثر كلامه بيأس: «لكن»...

قاطعه زيفود: «هيه، هلا فهمت ذلك أيها الأرضي، أنت منتَج آخر جيل من مصفوفة حاسوب، وكنت موجودًا هناك حتى اللحظة التي لقي فيها كوكبك مصيره، أليس كذلك؟»

- «إي-»...

قال فورد، بشكل واضح كما ظن: «لذا كان دماغك الجزء العضوي للشكل ما قبل الأخير لبرنامج حاسوب».

قال زيفود: «صحيح؟»

قال آرثر بشك: «حسنًا» لم يكن مدركًا أنه شعر بأنه جزء عضوي من أي شيء على الإطلاق، ولطالما عدَّ هذه النقطة إحدى مشكلاته.

قال بنجي وهو يقود مركبته الغريبة باتجاه آرثر: «بمعنى آخر، هناك فرصة كبيرة بأن تكون بنية السؤال مشفرة في بنية دماغك، لذا نريد شراءه منك».

قال آرثر: «ماذا، السؤال؟»

قال فورد وتريليان: «نعم».

قال زيفود: «مقابل مبلغ كبير من المال».

قال فرانكي: «لا، لا، ما نريد شراءه هو الدماغ».

- «ماذا!»

تساءل بنجي: «من سيفتقده؟»

اعترض فورد قائلًا: «أظنك قلت إنك تستطيع قراءة دماغه إلكترونيًا».

قال فرانكي: «آه، نعم، لكن يجب أن نخرجه أولًا. يجب أن يتم تحضيره».

قال بنجي: «معالجته».

- «تقطيعه إلى مكعبات صغيرة».

صاح آرثر قافزًا عن كرسيه ومبتعدًا عن الطاولة بذعر: «شكرًا لك» قال بنجي بتعقل: «من الممكن دائمًا استبداله إن كنت تظن أنه مهم».

قال فرانكي: «نعم، دماغ إلكتروني بسيط سيكون كافيًا».

انتحب آرثر: «بسيط!»

قال زيفود بابتسامة شر مفاجئة: «نعم، ما عليك سوى برمجته ليقول ماذا؟ وأنا لا أفهم وأين الشاي؟ من سيعرف الفرق؟»

صاح آرثر: «ماذا؟» وقد تراجع أكثر إلى الخلف.

قال زيفود: «أعرفت ما أقصد». وصرخ من الألم بسبب شيء فعلته تريليان في تلك اللحظة.

قال آرثر: «سألاحظ أنا الفرق».

قال الفأر فرانكي: «لا، لن تلاحظه، سيتم برمجتك كي لا تلاحظه».

اتجه فورد نحو الباب وقال: «حسنًا، أعتذر منك يا صديقي الفأرين العزيزين، لا أعتقد أننا اتفقنا».

قال الفأران معًا وبصوت واحد: «أحب أن أعتقد أننا اتفقنا». وقد اختفى كل الجمال من صوتيهما الحادين الجميلين في لحظة. بطنّة صغيرة كانت وسيلتا نقلهما الزجاجيّة قد رفعت نفسها عن الطاولة وسبحت عبر الهواء باتجاه آرثر الذي تعثّر وهو يتراجع باتجاه زاوية ميتة، غير قادر على التفكير أو احتمال أي شيء إطلاقًا.

بيأس التقطته تريليان من ذراعه وحاولت سحبه إلى الباب، الذي كان فورد وزيفود يكافحان لفتحه، لكن آرثر كان جامدًا، بدا منومًا مغناطيسيًا من قبل القوارض المجوقلة التي تتجه نحوه.

صرخت فيه، لكنه حدّق فاغرًا فاه.

تمكن فورد وزيفود من فتح الباب بخلعة أخرى، من الناحية المقابلة كانت هنالك مجموعة صغيرة من الرجال القبيحين الذين لم يستطيعوا أن يفترضوا سوى أنهم عصابات ماغراثيا الخطرة. لم يكونوا قبيحين فحسب، بل إن المعدات الطبية التي كانت بحوزتهم أبعد ما تكون عن الجمال. هجموا.

إذًا، كان آرثر قد أوشك أن يُفتح رأسه، وكانت تريليان غير قادرة على مساعدته، وكان فورد وزيفود يوشكان أن تهاجمها بضعة سفاحين أثقل بكثير وأكثر تسليحًا منها.

في كل الأحوال، كان انطلاق صفارات الإنذار في تلك اللحظة، بضجيج يصم الآذان، من حسن حظهم الفائق.

الفصل الثاني والثلاثون

دوّت أبواق الإنذار عبر ماغراثيا: «طوارئ! طوارئ! هبطت سفينة معادية على الكوكب، دخلاء مسلحون في القطاع (٨أ)، مراكز الدفاع، مراكز الدفاع!»

شمّ الفأران بغضب حول شظايا وسيلتي نقلهما الزجاجيّة حيث تحطمتا على الأرض. دمدم الفأر فرانكي: «اللعنة، كل هذه الجلبة من أجل دماغ أرضي يزن باوندين». وراح يعدو في المكان، عيناه الزهريتان تلمعان، كساؤه الأبيض الجميل منتصب بثبات. قال بنجي جاثمًا وهو يداعب شاربيه: «الشيء الوحيد الذي يمكننا فعله الآن هو أن نجرب سؤالًا مزيفًا، نخترع واحدًا جديرًا بالتصديق».

قال فرانكي: «صعب» فكر قليلًا ثم أضاف: «ما رأيك في هذا السؤال ما هو الشيء الأصفر والخطير؟»

فكر فيه بنجي لوهلة ثم قال: «لا، ليس جيدًا، لا يناسب الإجابة».

غاصا في صمت لثوان عدة، وقال بنجي: «حسنًا، علام تحصل إن ضربت ستة بسبعة؟»

قال فرانكي: «لا، لا، بسيط جدًّا، واقعي جدًّا، لن يغذي اهتمام المقامرين».

فكرا من جديد. عندئذٍ قال فرانكي: «هاك فكرة، ما عدد الطرقات التي ينبغي للمرء أن يسلكها؟»

قال بنجي «آه، أها، يبدو هذا واعدًا!» قلب العبارة قليلًا وقال: «نعم، إنّه ممتاز! يبدو مهمًا جدًّا من دون أن يربطك بتفسير على الإطلاق. ما عدد الطرقات التي ينبغي للمرء أن يسلكها؟ اثنان وأربعون. ممتاز، ممتاز، ذلك سيخدعهم، عزيزي فرانكي، لقد نجحنا!»

رقصا برشاقة من فرط حماسهما.

تمدد إلى جانبهما على الأرض عدد من الرجال القبيحين الذين ضُربوا على رؤوسهم بمكافآت تصميم ثقيلة.

على بعد نصف ميل راحت أربعة أشكال تقرقع على طول الرواق في بحثهم عن مخرج. خرجوا إلى قاعة حاسوب واسعة ونظروا حولهم بهيجان.

قال فورد: «أي طريق نعتمد يا زيفود؟»

قال زيفود: «كتخمين محض، أقول من هنا». وراح يركض إلى جهة اليمين بين مقعد حاسوب والحائط. مع انطلاق الآخرين خلفه أوقفه سهم طاقة كيل-و-زاب شقّ الهواء أمامه على بعد إنشات وخرق جزءًا صغيرًا من الحائط المجاور.

قال صوت عبر مكبر الصوت: «حسنًا يا بيبلبروكس، توقف مكانك. نحن نحيط بك».

هسهس زيفود قائلًا: «شرطة!» واستدار جاثمًا ثم تابع: «هل تريد التخمين يا فورد؟»

قال فورد: «حسنًا من هذا الطريق». وركضوا أربعتهم في ممر بين مقعدي حاسوب.

ظهر في نهاية الممر جسم مدرع بشكل كبير ويرتدي بزة فضاء، ملوحة بمسدس كيل-و-زاب خبيث.

صاح صاحب الجسم: «لا نريد إطلاق النار عليك يا بيبلبروكس!»

رد عليه زيفود صائحًا: «ذلك يناسبني جدًّا!» وهبط في فجوة عريضة بين وحدتي معالجة بيانات.

انخفض الآخرون خلفه.

قالت تريليان: «هنالك اثنان منهم، نحن محاصرون».

حشروا أنفسهم في زاوية بين الحائط ومخزن بيانات حاسوب كبير.

قطعوا أنفاسهم وانتظروا.

طقطق الهواء على حين غرة بسبب سهام الطاقة إذ إن الشرطيين فتحا النار عليهم في وقت واحد.

قال آرثر وقد تكور على نفسه بإحكام: «إنهما يطلقان النار علينا، ظننتهما قالا أنهما لا يريدان فعل ذلك».

وافقه فورد: «نعم، ظننتهما قالا ذلك».

للحظة خطرة رفع زيفود أحد رأسيه وقال: «هيه، ظننتكما قلتما إنكما لا تريدان إطلاق النار علينا!» وانخفض مجددًا.

انتظروا.

بعد لحظة رد الصوت: «ليس من السهل أن تكون شرطيًا!»

همس فورد بذهول: «ما الذي قاله؟»

- «لقد قال إنّه ليس من السهل أن تكون شرطيًا».

- «حسنًا، من المؤكد أنها مشكلته أليس كذلك؟»

- «ظننت ذلك».

صاح فورد قائلًا: «اسمعا! يكفينا مشكلات على ما أظن أنكما تطلقان النار علينا، وأعتقد أننا سنجد سهولة في تجاوز الوضع إن تجنبتما عرض مشكلاتكما علينا أيضًا!»

توقف مؤقت آخر، ثم عادت أبواق الإنذار من جديد.

قال الصوت: «اسمع أيها الشخص، أنت لا تتعامل مع مغفلين غبيين عديمي النفع لا يسعهما سوى الضغط على الزناد وشعرهما منخفض الحواف، عيونهما غبية الهيئة ولا يمكن التحدّث إليهما، نحن زوج من الأشخاص الأذكياء الودودين ولو أنك قابلتنا اجتماعيًا لكنت على الأغلب قد أحببتنا! أنا لا أقتل الناس في الأرجاء بلا مسوغ، ومن ثم أتفاخر بالأمر في حانات شرطة-الفضاء القذرة، مثل بعض الشرطيين الذين أعرفهم! أنا أقتل الناس في الأرجاء بلا مسوغ ومن ثم أشكو عذابي من الأمر لساعات عند صديقتي!»

أقحم الشرطي الآخر تعليقه: «وأنا أكتب الروايات، على الرغم من أنني لم أتمكن من نشر أي منها بعد، لذا من الأفضل أن أحذركم من أنني في مزاج خبيث!»

جحظت عينا فورد وكادتا تخرجان من محجريهما، قال: «من هذان الشخصان؟»

قال زيفود: «لا أعرف، أظن أنني كنت أفضل عندما كانا يطلقان النار».

صاح أحد الشرطيين مجددًا: «إذًا، هل ستخرجون بهدوء، أو نجبركم على الخروج بقوّة السلاح؟»

صاح فورد: «أيهما تفضل؟»

بعد جزء من الألف الثانية بدأ الهواء يحترق من جديد مع دفع سهام الكيل-و-زاب بنفسها إلى مقعد الحاسوب أمامهم.

استمر وابل الطلقات بكثافة لا تطاق لثوان عدة.

لما توقف الوابل كانت هنالك ثوان عدة من الهدوء شبه التام وتخافتت الأصداء.

صاح أحد الشرطيين: «هل ما زلتم هناك؟»

ردّوا عليه: «نعم».

صاح الشرطي الآخر: «لم نستمتع بذلك إطلاقًا».

صاح فورد: «لاحظنا ذلك».

- «الآن أصغ إلى ما سأقول يا بيبلبروكس، ومن الأفضل لك أن تصغي بإنصات».

صاح زيفود: «لماذا؟»

صاح الشرطي: «لأنّه سيكون بارعًا جدًا ومثيرًا للاهتمام وعطوفًا! فإما أن تستسلموا جميعكم الآن وتدعونا نضربكم قليلًا، ليس كثيرًا بالطبع لأننا ضدّ العنف غير اللازم، وإما أن نفجر هذا الكوكب بأسره، ومن الممكن أن نفجر كوكبين آخرين لاحظناهما في طريقنا إلى هنا!»

انتحبت تريليان قائلة: «لكن هذا جنوني! لن تفعلا ذلك!»

صاح الشرطي: «بلي، سنفعل ذلك»، وسأل الآخر: «أليس كذلك»

تساءلت تريليان: «لكن لماذا؟»

أجابها الشرطي: «لأنّه عليك فعل بعض الأشياء، حتى لو كنت شرطيًا متحررًا ومتنورًا ويعرف كل شيء عن الحساسية وكل شيء!»

تمتم فورد وهو يهز رأسه: «لا أستطيع فهم هذين الشخصين».

صاح أحد الشرطيين للآخر: «هل نطلق عليهم النار مرّة أخرى؟»

- «نعم، لم لا؟»

لا أطلقا وابلًا كهربائيًا آخر.

كانت كمية الضجيج والحرارة كبيرة، وبدأ مقعد الحاسوب يتحطم ببطء. ذابت معظم مقدمته وراحت أنهار صغيرة من المعدن المصهور تلتف عائدة إلى حيث كانوا جاثمين. ربضوا إلى الخلف أكثر وانتظروا النهاية.

الفصل الثالث والثلاثون

إلا أنّ النهاية لم تأت مطلقًا، في الأقل ليس في حينها.

توقف الوابل فجأة وقوطع الصمت المفاجئ بقرقرتين مخنوقتين وأصوات مكتومة.

حدق الأربعة بعضهم.

قال آرثر: «ما الذي حصل؟»

قال زيفود بهزة من كتفه: «لقد توقفا».

- «لِمَ؟»

- «لا أعلم، هل تريد أن تذهب وتسألها؟»

- «لا».

انتظروا.

صاح فورد: «مرحبًا؟»

ما من مجيب.

- «هذا غريب».

- «لربما كان فخًا».

- «ليسا بهذا الذكاء».

- «ما كانت تلك الأصوات المكتومة؟»

- «لا أعلم».

انتظروا بضع ثوان أخرى.

قال فورد: «حسنًا، سأذهب لألقي نظرة».

نظر حوله إلى الآخرين.

«ألا يوجد أحد يقول، لا يُمكنك الذهاب، دعني أذهب عوضًا عنك؟»

هزوا رؤوسهم جميعًا.

قال: «آه حسنًا». ووقف.

لوهلة لم يحصل شيء.

بعدها، بعد ثانية تقريبًا، استمر الشيء بعدم الحصول. حدق فورد عبر الدخان الكثيف الذي كان يتشكل من الحاسوب المحترق.

خطا إلى الخارج بحذر.

لم يحصل شيء.

تمكن على نحو مبهم، وعلى مسافة عشرين ياردة، عبر الدخان، من رؤية جسم أحد الشرطيين مرتدية بزة فضائيّة. كان مستلقيًا في كومة مجعدة على الأرض. وعلى مسافة عشرين ياردة من الجهة المقابلة استلقى الرجل الثاني، لم يكن هنالك أحد في أي مكان.

صدم هذا الأمر فورد كواحد من الأشياء الغريبة جدًّا.

اتجه نحو الأول ببطء وتوتر، مع اقترابه منه كان الجسم ساكنًا بشكل مطمئن، وتابع الاستلقاء ساكنًا على نحو مطمئن مع وصوله إليه ووضع قدمه على مسدس كيل-و-زاب الذي كان لا يزال متدليًا من أصابعه الرخوة.

انحنى والتقطه من دون أن يواجه أي مقاومة.

كان من الواضح أن الشرطي ميت.

كشف فحص سريع أنه من بلاغولون كابا، كان من أشكال الحياة التي تتنفس غاز الميثان، ويعتمد على بزته الفضائية للبقاء في غلاف ماغراثيا الجوي ذي الأكسيجن الرقيق.

بدا أن حاسوب نظام دعم الحياة الصغير الموجود في حقيبة ظهره قد انفجر على نحو غير متوقّع.

بفضول، بحث فورد في الأرجاء، وبدهشة كبيرة، فحواسيب البدلات المصغرة هذه عادة ما يكون لها نسخة احتياطية كاملة من الحاسوب الأساسي الموجود على السفينة التي يرتبطون بها مباشرة عن طريق السب-إيثا. الفشل في كل الظروف لهذه الأنظمة غير وارد، إلا أن يكون قصورًا تامًا في المتابعة، وهو الشيء الذي لم يُسمع به.

أسرع إلى الجسم الآخر المنبطح، واكتشف أن ما حدث له كان بالضبط الشيء المستحيل نفسه، وفي الأغلب في الوقت نفسه.

نادى الآخرين لينظروا. أتوا وشاركوه دهشته لكن ليس فضوله.

قال زيفود: «لننطلق من هذا الجحر، إذا كان الشيء الذي يفترض بي أن أبحث عنه هنا، فأنا لا أريده». انتزع مسدس الكيل-و-زاب الثاني، ودمر حاسوب محاسبة غير مؤذ وأسرع خارجًا إلى الرواق يتبعه الآخرون. كان قد أوشك أن يدمّر سيارة هوائية كانت تقف بانتظارهم على بعد بضع ياردات. كانت السيارة الهوائية فارغة، لكن آرثر ميزها بأنها تخص سلارتيبارتفاست.

كانت فيها ملاحظة منه معلقة على جزء من لوحة أدواتها البسيطة. رُسِم على الملاحظة سهم

يشير إلى أحد متحكماتها.

كانت الملاحظة تقول: هذا في الأغلب أفضل زر للضغط.

الفصل الرابع والثلاثون

انطلقت بهم السيارة الهوائية بسرعة تجاوزت (ر١٧) عبر القنوات المعدنية التي تقود خارجًا إلى سطح الكوكب المروع الذي كان يحكمه الآن فجر كئيب آخر. تجمدت أضواء رماديّة شاحبة على الأرض.

(ر) هو مقياس السرعة، مُعرف بكونه سرعة سفر معقولة متناسبة مع الصحة، سلامة العقل، وألا تكون متأخرة أكثر من خمس دقائق. لذا فهي رقم لانهائي التغير تقريبًا بحسب الظروف، بما أن أول عاملين يختلفان ليس بسبب السرعة بشكل جوهري، بل أيضًا بسبب وعي العامل الثالث. وإن لم يتم التعامل معها بهدوء فإن هذه المعادلة قد تتسبب بإجهاد كبير، وقروح، بل حتى الموت.

(ر١٧) ليست سرعة ثابتة، لكنّها بالتأكيد أسرع بكثير.

دفعت السيارة الهوائية نفسها بسرعة (ر١٧) وما فوق، وأودعتهم إلى جانب قلب الذهب التي وقفت بصلابة على الأرض المتجمدة كأنها عظمة مبيّضة، من ثم دفعت نفسها بتهور في الاتجاه الذي أتوا منه للتو، أغلب الظن لأجل عمل مهم يخصها.

وقفوا أربعتهم ونظروا إلى السفينة وهم يرتجفون.

وقفت إلى جانبها سفينة أخرى.

كانت مركبة شرطة بلاغولون كابا، منتفخة وتشبه سمكة القرش، لونها أخضر داكن مغطى بحروف سود مطبوعة بالإستنسل بدرجات مختلفة من الحجم والعداوة. كانت هذه الحروف تُعلم المهتمين بقراءتها عن مصدر هذه السفينة، قسم الشرطة الذي كانت تابعة له، وأين يجب وصل مغذيات الطاقة.

بدت بطريقة أو بأخرى داكنة وصامتة بشكل غريب، حتى لدى سفينة كان طاقمها المكون من شخصين في تلك اللحظة ممددًا على الأرض ومختنقًا في حجرة تقع على عمق أميال عدة عن سطح الأرض. إنِّه واحد من الأشياء الغريبة التي يستحيل تفسيرها، لكن المرء يستطيع استشعار متى تكون المركبة ميتة بشكل كامل.

أحس فورد بذلك ووجده الأكثر غرابة، سفينة ورجلا شرطة بدا أنهما ماتا عفويًا. حسب خبرته فإن الكون لم يكن يعمل وفق هذا النحو ببساطة.

تمكن الثلاثة الآخرون من استشعارها أيضًا، لكنهم استشعروا البرد القارس أكثر، وأسرعوا إلى داخل قلب الذهب وهم يعانون من نوبة لافضول حادة.

بقي فورد وذهب لتفحص السفينة البلاغولونية، مع بدئه بالمشي كاد يتعثر بجسم معدني خامل مستلق على الغبار البارد ووجهه إلى الأسفل.

هتف: «مارڤن! ما الذي تفعله؟»

ردّت دندنة مكتومة الصوت: «رجاء لا تشعر بأن عليك ملاحظتي».

قال فورد: «لكن كيف حالك أيها الرجل المعدني؟»

- «يائس جدًا».

- «ما الجديد؟»

قال مارڤن: «لا أعلم ما الجديد».

جثم فورد إلى جانبه وهو يرتجف، وقال: «لم أنت مستلق ووجهك في الغبار؟»

قال مارڤن: «إنها طريقة فعالة لتكون حقيرًا، لا تتظاهر بأنك تريد التكلم معي، أعلم أنك تكرهني».

- «لا، لا أكرهك».

- «نعم أنت تكرهني، الكل يكرهني، إنِّه جزء من نظام الكون، كل ما عليَّ فعله هو أن أتحدث إلى أحدهم وسيبدأ بكرهي، حتى الروبوتات تكرهني، إن تجاهلتني وحسب أتوقع بأن علي الابتعاد».

رفع نفسه على قدميه ووقف مصمما بمواجهة الاتجاه المقابل.

قال باكتئاب: «لقد كرهتني تلك السفينة». وأشار إلى مركبة الشرطة.

قال فورد ببهجة مفاجئة: «تلك السفينة؟ ما الذي حصل لها؟ هل تعلم؟»

- «كرهتني لأنني كلّمتها».

هتف فورد: «كلّمتها؟ ما الذي تقصده بذلك؟»

قال مارڤن: «بسيطة، شعرت بيأس وملل كبيرين فذهبت ووصلت نفسي إلى تغذية الحاسوب الداخلية. تحدّثت إلى الحاسوب مطولًا وشرحت له وجهة نظري عن الكون».

ألح فورد: «وماذا حصل؟»

قال مارڤن: «انتحر». ومشى عائدًا إلى قلب الذهب.

الفصل الخامس والثلاثون

في تلك الليلة، وبينما أخذت قلب الذهب تبتعد عن سحابة هورسهيد بضع سنوات ضوئية، كان زيفود يتكاسل تحت شجرة نخيل صغيرة على المنصة محاولًا إجبار دماغيه على التفكير بوساطة كأس بان غالاكتيك غارغل بلاستر كبيرة، وجلس فورد وتريليان في الزاوية يناقشان الحياة وقضايا أخرى تنبثق منها، وذهب آرثر إلى فراشه ومعه نسخة فورد من دليل المسافر إلى المجرة. بما أنه سيعيش في هذا المكان فإنّ عليه اكتشافه، هكذا كان يفكر.

وصل إلى هذا المدخل الذي يقول: «يميل تاريخ كل حضارة مجرّية رئيسة إلى المرور بثلاث مراحل مميزة، مرحلة البقاء، مرحلة الاستفسار ومرحلة التعقيد، والمعروفة أيضًا بمراحل الكيف؟ اللماذا؟ الأين؟

في سبيل المثال، تتميز المرحلة الأولى بالسؤال التالي: كيف نستطيع الأكل؟ الثانية بالسؤال: لم نأكل؟ الثالثة بالسؤال: أين يجب أن نتناول الغداء؟

لم يقرأ المزيد قبل أن يضج نظام الاتصال الداخلي للسفينة بالحياة.

قال صوت زيفود: «أيها الأرضي؟ أأنت جائع يا فتى؟»

قال آرثر: «حسنًا، نعم، جائع قليلًا على ما أعتقد».

قال زيفود: «حسنًا يا عزيزي، تمسك جيدًا، سنتناول طعامنا بسرعة في المطعم في نهاية الكون».

دوغلاس آدامز (١٩٥٢-٢٠٠١)

- كاتب بريطاني وروائي؛
- عمل في هيئة الإذاعة البريطانية (BBC)
- من أعماله المؤلفة:

وكالة ديرك جنتلي للتحقيقات الشمولية، ١٩٨٧

علي ريشة

- مترجم سوري؛
- من أعماله المترجمة:

أبناء أودن

المحتويات

Notes

[←1]

النجم سول Sol هو الشمس.

[←2]

رئيس: اللقب الكامل، رئيس حكومة المجرة الإمبراطورية.

لقد تم الاحتفاظ بلقب إمبراطوري على الرغم من أن الأمر أصبح الآن مفارقة تاريخية، الإمبراطور الوراثي ميت تقريبًا وهو على هذه الحال منذ قرون عدة. تم الإغلاق عليه في آخر لحظات غيبوبته ضمن حقل ساكن يحافظ على جسده في حالة أبدية من انعدام التغيّر. مات جميع ورثته منذ مدة طويلة، وهذا يعني أنه من دون أي ثورة سياسية عنيفة تم إنزال السلطة درجة أو درجتين، وهي الآن منوطة بجسم سياسي يتصرّف كمستشارين للإمبراطور - وهم جمعية حكومية تشريعية يرأسهم رئيس انتخبته هذه الجمعية. في الواقع، لا يُعهد لها أي شيء.

الرئيس تحديدًا هو واجهة - لا يملك أي قوة حقيقيّة على الإطلاق، اختارته على ما يبدو الحكومة لكن الصفات التي يجب أن يتحلى بها ليست قيادية إنها صفات تعد انتهاكية بامتياز. لهذا السبب فإن الرئيس دائمًا خيار مثير للجدل، شخصيّة آسرة ومغيظة. عمله ليس أن يدير دفة الحكم، بل أن يبعدها عن الأنظار. بناء على هذه المعايير فإن زيفود بيبلبروكس هو أحد أنجح الرؤساء الذين مروا على المجرة، فهو أمضى للتو سنتين من سنوات رئاسته العشر في السجن بتهم الاحتيال. قلة قليلة جدًّا من الناس علموا أن الرئيس والحكومة لا يملكان نظريًا أية قوة على الإطلاق، ومن بين هؤلاء القلة ستة فقط عرفوا من أين تتم السيطرة المطلقة على القوة السياسية. معظم الآخرين يعتقدون في السر أن عملية صنع القرار المطلّق تتم عبر حاسوب، لا يمكن أن يكونوا على خطأ أكثر من ذلك.

[←3]

الاسم الأصلي لفورد بريفيكت لا يمكن لفظه إلا بلهجة بيتلجوسية غامضة، وهي الآن منقرضة افتراضيًا منذ كارثة انهيار هرانغ العظيمة في سنة غال. سيد. ۰۳۷۵۸ التي محت كل مجتمعات براكسيبيتل القديمة من على وجه بيتلجوس السابع. والد فورد كان الشخص الوحيد الذي نجا من كارثة انهيار هرانغ العظيمة في ذلك الكوكب بمحض مصادفة غريبة لم يتمكّن من تفسيرها بشكل يرضيه. الحادث برمته محاط بغموض كبيرة في الحقيقة لم يعرف أحد ماذا يكون هرانغ ولا سبب اختياره لبيتلجوس السابع تحديدًا لينهار عليه. بشهامة أبعد والد فورد سحب الشك التي كان لا بد لها أن تحيط به، فانتقل للعيش على بيتلجوس الخامس حيث قام بدوره كوالد وعم لفورد، وفي ذكرى جنسه، المنقرض حاليًا، عمّد فورد بلغة براكسيبيتل القديمة.

ولأن فورد لم يتعلم قط نطق اسمه الأصلي فلقد مات أبوه من العار، الذي لا يزال مرضًا عضالًا في بعض أجزاء المجرة. الأطفال الآخرون في المدرسة أطلقوا عليه لقب إيكس الذي يمكن ترجمته في لغة كوكب بيتلجوس الخامس على نحو: «الولد الذي لا يتمكّن من تفسير ماهية هرانغ على نحو مرض، ولا السبب الذي دفعه إلى الانهيار على بيتلجرس السابع.»

[←4]

عمود نيلسون Nelson's Column: هو نصب تذكاري في ميدان ترافالغار وسط لندن، بُني للاحتفال بذكرى الأدميرال هوراتيو نيلسون. - المترجم

[←5]

همفري بوغارت Humphrey Bogart: ممثل أمريكي راحل.

[←6]

في النص الأصلي استخدم الكاتب دوغلاس آدامز كلمة Harmless وهي تعني «غير مؤذ» فكان احتجاج آرثر على أن الكتاب لم يقل إلا كلمة واحدة عن الأرض. – المترجم

[←7]

هذا شخص حقيقي قام الكاتب آدامز بتعديل اسمه من بول نيل ميلني جونستون، Paul Neil Milne Johnstone، وبعض من شعره موجود على الصفحة:

http://www.pictographics.com/poetry.html - المترجم

[←8]

Hamlet مسرحيّة لشيكسبير – المترجم.

[←9]

سلارتي. بارت. فاست.

[←10]

إشارة إلى المصحات العقليّة - المترجم.